

القصص والروايات
للمرأة الفلسطينية

اغاثا كركيسيتي



جريمة في قطار الشرق



الجيل
للطباعة والنشر



الجيل
للطباعة والنشر

Agatha Christie



Murder on the Orient Express



رسم كينجلى شارل



الكتاب
الرقم 1

Chassey



الجيل
www.jilas.com



1954.000

جريدة في قطار الشرق

تحدث القوم المتمدن في قطار الشرق
بعضهم البعض في

قد كان قطار الشرق السريع حارساً
بالقرب، وهو لم يترك في هذا الوقت
من العام، القوم لم يترك قطار الشرق
قد الصبح، وقد أوجد استعبدت لآخر
المشورة، ولي حصة، التي كانت قطار
والتي كانت مشورة، التي كانت قطار

التي كانت مشورة، التي كانت قطار
والتي كانت مشورة، التي كانت قطار

والتي كانت مشورة، التي كانت قطار
والتي كانت مشورة، التي كانت قطار
والتي كانت مشورة، التي كانت قطار
والتي كانت مشورة، التي كانت قطار

الجزء الأول

الحقائق

الفصل الأول

راكب مهم على قطار طوروس السريع

كانت الساعة الخامسة من صباح يوم من أيام الشتاء في سوريا، وقد وقف على طول الرصيف في حلب ذلك القطار الذي أشارت إليه بتعظيم منشورات سكة الحديد بعد أن أسمته قطار طوروس السريع، وكان يتكون من عربة مطعم ومطبخ وعربة نوم وعربتين أخريين.

وعند الدرجات التي تصعد إلى عربة النوم وقف ملازم فرنسي شاب متألق بزيه يتحدث إلى رجل نحيل ضئيل الحجم غارق بالملابس حتى أذنيه بحيث لا يظهر منه سوى أنف احمرت أرتبته وطرفي شاربيه المفتولين إلى الأعلى.

كان الطقس بارداً جداً لدرجة التجمد ولم يكن الملازم دوبوسك ليحسد على مهمته هذه في وداع رجل غريب بارز. إلا أنه أدى دوره برجولة، إذ كانت عبارات الإطراء تنبعث من شفثيه بلغة فرنسية مهذبة رغم أنه لم يكن يعلم ما هو الموضوع كله. انتشرت إشاعات بالطبع كما هي العادة في مثل هذه الحالات، وقد بدأ مزاج الجنرال (جنرال هو) يسوء ويسوء، ثم جاء هذا البلجيكي الغريب

قاطعاً الطريق كله من إنكلترا فيما يبدو. ثم حل أسبوع من التوتر الغريب. ثم حدثت بعض الأمور، إذ انتحر ضابط متميز واستقال آخر فانفجرت بعض الوجوه المتوترة وتم تخفيف بعض الإجراءات العسكرية الاحترازية. وفجأة بدأ الجنرال (جنرال الملازم دويوسك) أصغر من ستة عشر سنوات.

كان دويوسك قد سمع بعضاً من الحديث الذي دار بين الجنرال وبين الغريب.

قال الجنرال بشيء من العاطفة وقد ارتجف شارباه الأبيضان وهو يتحدث: لقد أنقذتنا يا عزيزي! لقد أنقذت شرف الجيش الفرنسي وجنبتنا الكثير من سفك الدماء! كيف أستطيع أن أشكرك على قبول طلبي؟ أن تأتي كل هذه المسافة...

أجاب الغريب (واسمه هيركيول بوارو) إجابة مناسبة، وكان من ضمنها عبارة: وكيف لا أتذكر أنك أنقذت حياتي مرة؟

ثم أجابه الجنرال -بدوره- إجابة مناسبة نافياً أي فضل له في تلك الخدمة السابقة. وبعد المزيد من الإشارة إلى فرنسا وبلجيكا والعظمة والشرف ومثل هذه الأمور، تعانق الاثنان بمحبة وانتهت المحادثة.

لم يعلم الملازم دويوسك كنه هذا الأمر ولكن ثم توكيله بمهمة وداع السيد بوارو عند قطار طوروس السريع، وقد مضى ينفذ هذه المهمة بكل الحماسة والاندفاع اللذين يناسبان ضابطاً صغيراً ذا مستقبل مبشر بالخير.

قال الملازم دويوسك: اليوم هو الأحد، وغداً مساء سوف تكون في إسطنبول.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يدلي بها بهذه الملاحظة، إذ يبدو أن المحادثات على رصيف المحطة قبل مغادرة القطار تنصف دوماً بتكرار بعض العبارات.

وافقه السيد بوارو: هذا صحيح.

- وأظنك تنوي البقاء هناك لبضعة أيام، أليس كذلك؟

- بلى؛ فإسطنبول مدينة لم أزرها من قبل، وسوف يكون مؤسفاً لو تجاوزتها هكذا.

ثم حرك أصابعه ملمحاً إلى السرعة وأضاف: لا يوجد ما يدعوني إلى العجلة، سأمكث هناك سائحاً لبضعة أيام.

هبت ريح باردة عبر الرصيف فارتعش الرجلان، واستطاع الملازم دويوسك أن يختلس نظرة نحو ساعته. كانت تشير إلى الخامسة إلا خمس دقائق، ولم يبق سوى خمس دقائق. ولظنه أن الرجل الآخر لاحظ نظره تلك فقد أسرع إلى الكلام مرة أخرى قائلاً وهو ينظر نحو نوافذ عربة النوم فوقهما: يوجد القليل من المسافرين في هذا الوقت من السنة.

وافقه السيد بوارو قائلاً: هذا صحيح.

- فلنأمل ألا تغمركم الثلوج في طوروس.

- وهل يحدث مثل هذا الأمر؟

- نعم؛ لقد حدث هذا من قبل، ولكنه لم يحدث هذا العام بعد.

قال بوارو: "لنأمل ألا يحدث إذن". ثم أضاف: إن تقارير الطقس القادمة من أوروبا سيئة.

- سيئة جداً، مع وجود الكثير من الثلوج في البلدان.

- وفي ألمانيا أيضاً كما سمعت.

قال الملازم دويوسك ذلك بسرعة، وحين بدأ أن الحديث قد يتوقف مرة أخرى أضاف: حسناً، ستكون في القسطنطينية غداً مساءً في الساعة وأربعين دقيقة.

قال بوارو: نعم.

وفوق رأسيهما أزيحت ستارة إحدى مقصورات النوم ونظرت امرأة شابة خارج النافذة.

* * *

لم تكن ماري دينهام قد نامت كثيراً منذ أن غادرت بغداد يوم الخميس الماضي، لا في القطار المتجه إلى كركوك ولا في الاستراحة في الموصل، كما لم تنم بشكل مناسب في القطار ليلة أمس. أما وقد ستمت من الاستلقاء بقطعة في مقصورتها شديدة التدفئة فقد قامت ونظرت خارج النافذة.

لا بد وأن هذه هي حلب. لا يوجد كثير مما يُرى طبعاً؛ مجرد رصيف طويل ذي إضاءة خافتة، ومشاحنات كلامية غاضبة بالعربية تجري في مكان ما. كان رجلان يتحدثان أسفل نافذتها بالفرنسية، وكان أحدهما ضابطاً فرنسياً، أما الآخر فكان رجلاً ضئيل الحجم عظيم الشاربين. ابتسمت ابتسامة باهتة؛ فهي لم تر قط أحداً يلبس ملابس ثقيلة بهذا الكم من قبل. لا بد وأن الطقس بارد جداً في الخارج، وهذا هو السبب وراء التدفئة العالية في القطار. حاولت بقوة أن تُنزل النافذة إلا أنها لم تتحرك.

تقدم مسؤول تذاكر عربات النوم نحو الرجلين وأخبرهما أن القطار على وشك المغادرة وأن من الأفضل أن يصعد السيد إلى القطار. رفع الرجل الصغير قبعته. يا لرأسه البضاوي! وعلى الرغم من شرورها إلا أنها ابتسمت لمرأى الرجل الضئيل المضحك. إنه من نوع أولئك الرجال الذين لا يؤخذون مأخذ الجد.

كان الملازم دويوسك يلقي خطبة الوداع. كان قد أعد هذه الخطبة من قبل واحتفظ بها حتى اللحظة الأخيرة، وقد كانت خطبة جميلة ومنمقة. ولكن السيد بوارو ما كان يُقبل أن يتفوق عليه أحد؛ فرد عليه التحية بأحسن منها.

وأخيراً قال مسؤول التذاكر: تفضل يا سيدي.

وتردد شديد صعد السيد بوارو إلى القطار وصعد المسؤول خلفه، ثم لوح السيد بوارو بيده فأدى الملازم دويوسك التحية له. بعد ذلك، وبهزة عظيمة، تحرك القطار ببطء متقدماً.

تمت السيد هيركيول بوارو: أخيراً!



قال مسزول التذاكر وهو يشير بيده إلى جمال مقصورة نوم بوارو والترتيب الأنيق لأمعته: تفضل يا سيدي! لقد وضعت حقيبتك الصغيرة هنا.

كان لامتداد يده مغزى واضح، فوضع بوارو فيها ورقة نقد مطوية. وعندئذ قال مسزول التذاكر وقد أصبحت نبرته سريعة عملية: شكرًا يا سيدي. تذاكرك معي يا سيدي، وسوف آخذ جواز سفرك أيضاً إذا سمحت. هل أفهم - يا سيدي - أنك سوف تقطع رحلتك في إسطنبول؟

أوماً له بوارو موافقاً وقال: لا يوجد الكثير من المسافرين على ما أظن؟

- هذا صحيح يا سيدي. معنا مسافران آخران فقط وكلاهما إنكليزي؛ عقيد من الهند وفنانة إنكليزية من بغداد. هل يحتاج سيدي إلى شيء؟

طلب السيد زجاجة صغيرة من المياه المعدنية.

إن ركوب القطار في الخامسة صباحاً مسألة فظيعة؛ فقد بقيت لشروق الشمس ساعتان لا غير. تتوقع السيد بوارو للمنوم في زاوية وهو يفكر في ليلة نام فيها قليلاً وفي مهمة حساسة قام بها بنجاح، وعندما استيقظ كانت الساعة التاسعة والنصف، فانطلق إلى عربة

المطعم باحثاً عن قهوة ساخنة.

كان هناك شخص آخر فقط في هذه اللحظة، ومن الواضح أنها الشابة الإنكليزية التي أشار إليها مسزول التذاكر. كانت طويلة نحيلة داكنة البشرة في نحو الثامنة والعشرين من عمرها، وقد ظهر شيء من الكفاءة الباردة في طريقة أكلها فطورها وفي الطريقة التي نادت بها النادل ليحضر لها مزيداً من القهوة، مما يدل على معرفة بالعالم وبالسفر. كانت تلبس ثوباً يصلح للسفر، داكن اللون ذا قماش رفيع يناسب التدفئة الباردة في القطار.

ولما لم يكن للسيد هيركيول بوارو ما يفعله فقد تسلى بدراستها عن كتب دون أن يظهر عليه ذلك، وقد حكم عليها بأنها من النوع القادر على الاعتناء بنفسها بسهولة أينما ذهبت. كانت مثلاً للهدوء والكفاءة والانضباط، وقد أعجبه الانتظام الحاد في ملامحها والشحوب اللطيف لبشرتها، كما أعجبه لمعان شعرها الأسود المتعرج وعيناتها الرماديتان الباردتان اللتان توجيان بالحياد، ولكنه رأى أن كفاءتها أكثر قليلاً من أن توصف بأنها امرأة مرحة.

في هذه اللحظة دخل شخص آخر إلى عربة المطعم. كان رجلاً طويلاً بين الأربعين والخمسين من عمره ذا جسم نحيل وبشرة بيضاء، وقد بدأ شعر صدغيه يشيب. قال بوارو في نفسه: هذا هو العقيد القادم من الهند.

انحنى القادم الجديد انحناء بسيطة نحو الفتاة قائلاً: صباح الخير يا آنسة دينهام.

- صباح الخير أيها العقيد أربوثنوت.

سألها العقيد وهو يقف واضعاً يده على الكرسي الذي يقابلها:
هل تمانعين؟

- كلا بالطبع، تفضل.

- حسناً، إن الإفطار -كما تعلمين- ليس من الوجبات التي يروق للمرأة التحدث أثناءها.

- أمل ألا يكون الأمر كذلك، ولكنني لا أعض.

جلس العقيد ونادى بحزم: "يا ولد"، ثم طلب بيضاً وقهوة.

توقفت عيناها للمحطة على هيركيول بوارو ثم ابتعد بنظره بعيداً
بلامبالاة، وعرف بوارو (وهو الذي يقرأ العقل الإنكليزي بدقة) أن
العقيد قال في نفسه: "أجني لعين، ليس إلا!"

وكشأن الإنكليز دائماً، لم يتبادل هذان الشخصان الكثير من
الحديث؛ فقط بعض الملاحظات العابرة، وبعد ذلك قامت الفتاة
وعادت إلى مقصورتها.

وفي وقت الغداء اشترك الاثنان في طاولة واحدة من جديد،
ومرة أخرى أيضاً أهملوا المسافر الثالث تماماً. كان حديثهما أكثر
نشاطاً عما كان عليه وقت الفطور، وقد تحدث العقيد أربوثنوت
عن البنجاب وأحياناً كان يسأل الفتاة عن بغداد، وبدأ واضحاً أنها
كانت تعمل مربية هنالك. وأثناء الحديث اكتشفا أن لديهما أصدقاء
مشتركين؛ مما زاد الود بينهما وقتل من الرسمية الصارمة. تحدثا

عن بعض الأشخاص، ثم سألها العقيد عما إذا كانت مستتمة في
رحلتها إلى لندن أم أنها ستوقف في (سطنبول).

- بل أنا ذاهبة إلى لندن مباشرة.

- أليس هذا مؤسفاً؟

- لقد قمت بهذه السفرة قبل سنتين وقضيت ثلاثة أيام في
إسطنبول حينئذ.

- آه، فهمت. حسناً، أستطيع أن أقول إنني سعيد جداً لمروك
مباشرة دون توقف لأنني سأفعل ذلك أيضاً.

اتحنى انحناءً مرتبكة، وتورد خداه وهو يفعل ذلك. وقال
بوارو في نفسه بشيء من السرور: إن عقيدنا سريع التأثير. إن الفطار
خطير كخطورة الرحلات البحرية!

قالت الأندسة ديينهام -بلا عواطف- إن ذلك سيكون جيداً،
وكان في طريقة كلامها ما يوحي بالحزم.

لاحظ بوارو أن العقيد رافقها وهي تعود إلى مقصورتها. وفي
وقت لاحق مر الفطار بالمناظر الرائعة في جبال طوروس، وقد كان
الاثنان يقفان جنباً إلى جنب في ممر الفطار عندما نظرا إلى الأسفل
باتجاه الممر الجبلي المسمى «بوابات سيليسبا»، وفجأة تهتدت الفتاة
بعمق. وقد كان بوارو واقفاً بالقرب منهما فسمعها وهي تنتمن: إنها
رائعة جداً... أتمنى... أتمنى...

- نعم.

- أتمنى لو أستطيع التمتع بها!

لم يجيبها أربوثنوت على الفور، وبدأ الخط المربع لفكه أنسى وأكثر نهجاً. ثم قال: أتمنى حقاً لو أنك خارج هذا الأمر كله.

- صبر أرجوك، استك.

- آه، لا بأس.

ألقي نظرة انزعاج باتجاه بوارو ثم تابع كلامه: ولكن لا تروق لي فكرة كونك مربية، حيث تكونين تحت رحمة الأمهات المشبطات وأبنائهن المزعجين.

ضحكت وفي صوتها أثر بسيط للاسترخاء وقالت: آه. لا تفكر هكذا؛ فالمرية المضطهدة أسطورة متقرضة، وأنا أؤكد لك أن الآباء والأمهات هم الذين يخافون من المربيات في هذه الأيام.

توقفاً عن الكلام، وربما أحس أربوثنوت بالخلج بسبب فورة انفعاله.

قال بوارو لنفسه مفكراً: "إنها لكوميديا غريبة هذه التي أشاهدها هنا!" وقد قُدر له أن يتذكر لاحقاً فكرته هذه.

وصلوا قوتية تلك الليلة في نحو الحادية عشرة والنصف، وخرج المسافران الإنكليزيان لتأمين أرجلهما بالمسير جيتة وذهاباً على الرصيف المليء بالثلوج. أما السيد بوارو فقد اكتفى بمشاهدة

النشاط المكثف في المحطة من خلال نافذته، ولكن بعد نحو عشر دقائق قرر أن بعض الهواء النقي في الخارج لن يكون سيئاً؛ فاستعد بحرص للخروج فليس عدة معاطف ولفاعات عنق وانتعل حذاءً مطاطياً رقيقاً فوق حذائه ثم انحدر ببطء نحو الرصيف وبدأ يسير على امتداده حتى تعذى قاطرة المحرك.

كانت الأصوات هي التي نبهته إلى وجود الشخصين. كانا يقفان في ظل إحدى الحافلات الصغيرة وكان أربوثنوت يتحدث: ماري...

قاطعته الفتاة: ليس الآن، ليس الآن. عندما ينتهي كل شيء، عندما يصبح الأمر خلفنا. عندها...

ويحذر استدار بوارو مبتعداً وهو يتعجب، وقال في نفسه: غريب!

في اليوم التالي تساءل فيما إذا كانا قد تشاجرا؛ إذ قليلاً ما تحدث أحدهما مع الآخر، ورأى أن الفتاة بدت مضطربة، وقد ظهرت حلقات داكنة أسفل عينيها.

وفي نحو الثانية والنصف بعد الظهر توقف القطار وخرجت الرؤوس تطل من النوافذ. كان عدد من الرجال مجتمعين بجانب السكة ينظرون إلى شيء ما أسفل عربة المطعم ويشيرون إليه. وأطل بوارو من النافذة وتحدث إلى مسؤول التذاكر الذي كان يمر أمامه مسرعاً، فأجابه الرجل وعاد بوارو إلى الداخل. وعندما التفت كاد أن يرتطم بماري ديبهام التي كانت تقف خلفه مباشرة.

سألت بالفرنسية وهي تلهث قليلاً: ما الأمر؟ لماذا توقفتما؟

- لا تخافي يا آنسة. لقد شبت النار في شيء أسفل عربة المطعم. لا خطورة في الأمر، فقد تم إخماد النار وهم يصلحون الخراب الآن. لا يوجد خطر أبداً، أؤكد لك ذلك.

صدرت عنها إيماءة سريعة وكأنها تستبعد فكرة الخطر كونها شيئاً غير مهم أبداً، ثم قالت: نعم، نعم، أفهم ذلك. ولكن الوقت!

- الوقت؟

- نعم؛ هذا سوف يؤخرنا.

وافقها بوارو قائلاً: هذا محتمل، نعم.

- ولكنني لا أملك أن أتأخر؛ فمن المقرر أن يصل القطار في السادسة وخمسة وخمسين دقيقة، وعليّ أن أقطع البوسفور للتحاق بقطار الشرق السريع في الجانب الآخر في الساعة التاسعة. ولو حدث تأخير لساعة أو ساعتين فيسببنا القطار.

اعترف قائلاً: نعم، هذا محتمل.

نظر إليها متعجباً. لم تكن يدها التي تمسك بمقبض الناقذة ثابتة تماماً، وكانت شفتاها أيضاً ترتعشان. سألتها: أيهمك هذا كثيراً يا آنسة؟

قالت بسرعة: "نعم، نعم، إنه يهمني. يجب... يجب أن ألحق

بذلك القطار". ثم التفتت مبتعدة عنه وسارت عبر الممر لتنضم إلى العقيد آربوشنوت.

ولكن قلقها لم يكن في محله؛ فبعد عشر دقائق بدأ القطار سيره ثانية، ووصل هيدابسا متأخراً خمس دقائق فقط، إذ استطاع القطار أن يسرع قليلاً ويعوض بعضاً من الوقت الضائع.

كان البوسفور مائجاً ولم يستمتع بوارو بالعبور، وقد انفصل عن رفيقه المسافرين أثناء وجوده على القارب ولم يرها ثانية.

وعندما وصل إلى جسر غالانا توجه من فوره إلى فندق توكاتليان.

* * *

- بالتأكيد يا سيدي ! فلا توجد صعوبة في مثل هذا الوقت من السنة والقطارات تكاد تكون خالية. درجة أولى أم ثانية؟

- أولى.

- إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى لندن.

- سأحصل لك على تذكرة إلى لندن وأحجز لك مقصورة نوم في عربة إسطنبول كاليه.

نظر بوارو نحو الساعة مرة أخرى وكانت تشير إلى الثامنة إلا عشر دقائق. ثم سأل: هل لدي وقت للعشاء؟

- بالتأكيد يا سيدي.

هو البلجيكي الضيف رأسه، ثم ذهب وألقى حجز الغرفة في الفندق وعبر القاعة إلى المطعم. وفيما كان يعطي طلباته إلى النادل استقرت يده على كتفه وقال صوت خلفه: صديقي العزيز، يا لها من سعادة غير متوقعة!

كان المتحدث كهلاً قصيراً يديناً قد قص شعره قصيراً، وكان يتسم بسرور. نهض بوارو بسرعة وقال: سيد بوك!

- سيد بوارو.

كان السيد بوك بلجيكياً ومديراً للشركة العالمية لعربات القطارات، وكانت علاقته مع النجم السابق لجهاز الشرطة البلجيكية

الفصل الثاني فندق توكاتليان

في فندق توكاتليان طلب هيركيول بوارو غرفة بحمام، ثم توجه إلى قسم استعلامات الفندق وسأل إن كان له رسائل.

كانت في انتظاره ثلاث رسائل وبرقية، وارتفع حاجباه بشيء من الدهشة لرؤية البرقية، فقد كانت غير متوقعة. ثم فتحها بهدوء وتأمله المعهودين فظهرت الكلمات المطبوعة بوضوح: "التطور الذي توقعته في قضية كاسنر ظهر بصورة غير متوقعة. نرجو أن تعود فوراً".

تمتم بوارو بغضب، ثم نظر نحو الساعة وقال لمسؤول الفندق: إنني مضطر للمضي في السفر الليلة. متى يغادر قطار الشرق السريع؟

- في الساعة التاسعة يا سيدي.

- هل تستطيع أن تحصل لي على مقصورة نوم؟

تعود لعدة سنوات ماضية.

قال السيد بوك: أراك بعيداً عن الوطن يا عزيزي.

- قضية بسيطة في سوريا.

- آه. ومتى تعود إلى الوطن؟

- الليلة.

- رائع، وأنا كذلك. أعني أنني سأذهب حتى لوزان حيث لدي بعض الأمور. أنت مسافر على قطار الشرق السريع على ما أظن؟

- نعم. لقد طلبت منهم لتوي أن يحجزوا لي مقصورة نوم. كنت أنوي أن أقضي بضعة أيام هنا ولكنني استلمت برقية تدعوني للعودة إلى إنكلترا بسبب أعمال مهمة.

تهنئ السيد بوك وقال: آه، أعمال، أعمال! ولكنك... ولكنك في أوج مجدك هذه الأيام يا صديقي العزيز.

- ربما حصلت على بعض النجاح.

حاول بووارو أن يبدو متواضعاً لكنه أخفق في ذلك تماماً. وضحك بوك وقال: ستتقابل فيما بعد.

ركز بووارو على مهمة إبعاد شاريه خارج طبق الشربة. وبعدما نَقَذَ هذه المهمة الصعبة نظر حوله فيما كان ينتظر طبقه التالي. لم يكن في المطعم سوى نحو ستة أشخاص، ومن بين هؤلاء الستة اثنان فقط جذبا اهتمام هيركيول بووارو.

جلس هذان الاثنان على طاولة غير بعيدة. كان الأصغر منهما رجلاً حسن المنظر في الثلاثين من عمره ومن الواضح أنه أمريكي، ولكنه لم يكن هو الذي جلب انتباه رجل التحري الضئيل، وإنما رفيقه.

كان رجلاً بين الستين والسبعين من عمره، ومن مسافة قريبة بدا من أهل الإحسان والخير، فقد بدا رأسه الأصلع قليلاً وجهته المحدبة ووجهه المبسم الذي يبدي طقم أسنان صناعية بيضاء، كل هذا بدا وكأنه يتحدث عن شخصية كثيرة، وحدهما العينان هما اللتان كَلَبَتَا هذا الحَدْس! كانتا صغيرتين وغائرتين وماكرتين. وليس هذا فحسب، إذ بينما كان الرجل يحدث رفيقه الشاب نظر عبر الغرفة واستقرت عيناه على بووارو للحظة، وفي هذه اللحظة فقط ظهر حقد غريب وتوتر غير طبيعي في نظراته.

ثم نهض قائلاً: ادفع الفانورة يا هيكتور.

كان صوته أجش بعض الشيء، وكانت لذلك الصوت نوعية غريبة ناعمة وخطيرة.

عندما انضم بووارو إلي رفيقه في القاعة كان الآخران على وشك مغادرة الفندق وقد أُنزلت أمتعتهما، وكان الأصغر منهما يشرف على الأمور، ثم فَتَحَ الباب الزجاجي وقال: جاهزون الآن يا سيد راتشيت.

دمدم الرجل الكبير موافقاً واندفع خارجاً.

قال بووارو: حسناً، ما رأيك بهذين الاثنتين؟

قال السيد بوك: إنهما أميركيان.

- إنهما أميركيان بالتأكيد، ولكنني عانيت سؤالك عن شخصيتهما؟

- يبدو أن الشاب لطيف تماماً.

- والآخر؟

- في الحقيقة إنني لا آبه به يا صديقي، فقد ترك لدي انطباعاً كريهاً. وأنت؟

صمت هيركيول بوارو لدقيقة قبل أن يجيبه. وأخيراً قال: عندما مرّ بجاني في المطعم كان لدي شعور غريب وكأن حيواناً متوحشاً... متوحشاً تماماً قد مرّ بجاني.

- ومع ذلك فقد بدا وكأنه محترم جداً.

- بالضببط! إن الجسد (القفص...) يبدو محترماً جداً، ولكن من خلال القفصان يُطلّ الحيوان المتوحش.

قال السيد بوك: إنك تتوهم يا صديقي العزيز.

- قد يكون الأمر كذلك، ولكنني لا أستطيع أن أبعد عن نفسي الانطباع بأن شراً قد مرّ بالقرب مني.

- ذلك السيد الأميركي المحترم؟

- نعم، ذلك السيد الأميركي المحترم.

قال السيد بوك بسرور: حسناً، قد يكون الأمر كذلك، ففي العالم شر كثير.

في تلك اللحظة فُتح الباب وجاء مسؤول استعلامات الفندق نحوهما. بدا قلقاً ومعتذراً وقال لبوارو: إنه شيء عجيب يا سيدي؛ فلا توجد مقصورة نوم واحدة فارغة في الدرجة الأولى في القطار.

صاح السيد بوك: ماذا؟ في مثل هذا الوقت من السنة؟! آه، لا شك في أن مجموعة من الصحفيين، أو السياسيين...

التفت المسؤول نحوه باحترام وقال: لا أعلم يا سيدي، ولكن الأمر كذلك.

التفت السيد بوك نحو بوارو وقال: حسناً، حسناً. لا تخف يا صديقي، ستندبر الأمر؛ إذ توجد دائماً مقصورة تبقى غير مشغولة وهي المقصورة رقم ١٦، وهذا ما يحرص عليه مسؤول التذاكر دائماً.

ابتسم ثم نظر نحو الساعة وقال: هيا، لقد حان وقت الرحيل.

في المحطة استقبل مسؤول التذاكر بزيّه البني السيد بوك باحترام بالغ: مساء الخير يا سيدي، مقصورتك هي المقصورة رقم ١.

نادى الحماليين الذين حملوا الأمتعة على عربات إلى وسط عربة القطار وقد كُتب على صفائح حديدية وجهة تلك العربة: «إسطنبول-تريستي-كاليه».

- القطار ممتلئ هذه الليلة كما سمعت؟

- شيء فظيع يا سيدي؛ فالعالم كله اختار السفر هذه الليلة!

- لا يهم، يجب أن تجدوا مكاناً لهذا السيد هنا. إنه صديق لي، ويمكن أن تعطوه المقصورة رقم ١٦.

- لقد أخذت يا سيدي.

- ماذا؟ رقم ١٦؟

تبادلا نظرة تفاهم ثم ابتسم مسؤول التذاكر. كان رجلاً طويلاً وشاحباً في وسط العمر وقال: نعم يا سيدي؛ فالقطار مليء كما أخبرتك... مليء في كل مكان.

سأل السيد بوك غاضباً: "ولكن ما الذي يحدث؟"، ثم أضاف: هل يوجد مؤتمر في مكان ما؟ هل هي مناسبة لمجموعة ما؟

- لا يا سيدي، إنها الصدفة فقط. كل ما في الأمر أن العديد من الناس اختاروا أن يسافروا هذه الليلة.

أصدر السيد بوك صوتاً يعبر عن الانزعاج وقال: في بلغراد مستنظم قاطرة إضافية قادمة من أثينا، بالإضافة إلى قاطرة بوخارست باريس، ولكننا لن نصل بلغراد حتى مساء الغد، فالمشكلة هي في هذه الليلة فقط. ألا توجد مقصورة فارغة في الدرجة الثانية؟

- توجد مقصورة فارغة في الدرجة الثانية.

- حسناً، إذن...

- ولكنها مقصورة سيدة، وفيها سيدة ألمانية. إنها خادمة.

قال السيد بوك: هذا صعب.

قال بوراوو: لا تزعج نفسك يا صديقي؛ سأسافر في عربة عادية.

- أبدأ، أبدأ.

التفت ثانية نحو مسؤول التذاكر وقال: هل وصل الجميع؟

قال الرجل ببطء وتردد: في الواقع مسافر لم يصل بعد.

- تكلم. ثم؟

- المقصورة رقم ٧ في الدرجة الثانية. لم يصل الرجل بعد والساعة الآن التاسعة إلا أربع دقائق.

- من هو؟

- رجل إنكليزي.

نظر مسؤول التذاكر في قائمته ثم أكمل: السيد هاريس.

قال بوراوو: اسم ذو فال حسن. إنني أقرأ روايات ديكنز، والسيد هاريس لن يأتي.

قال السيد بوك: ضع أمتعة السيد في المقصورة رقم ٧، وإذا وصل السيد هاريس هذا فسنقول له إنه قد تأخر وأنه لا يمكن حجز المقصورات إلى هذا الوقت... سنتدبر الأمر بطريقة ما. ماذا يهمني من أمر السيد هاريس؟

قال مسؤول التذاكر: كما يحب سيدي.

ثم كلم الحمال الذي كان يحمل أمتعة بوارو وأرشده إلى أين يذهب، وبعد ذلك تنحى عن الدرجات ليدع بوارو يدخل القطار وقال: المقصورة قبل الأخيرة.

مر بوارو عبر الممر ببطء نوعاً ما لأن معظم المسافرين كانوا يقفون خارج مقصوراتهم، وكانت اعتذاراته تصدر بانتظام يشابه انتظام الساعة، وأخيراً وصل إلى المقصورة المنشودة وبدأخلها كأن الشاب الأمريكي الطويل (الذي رآه في فندق توكاتليان) يمد يده إلى الأعلى نحو حقيقته. وعندما رأى بوارو يدخل قَطَبَ حاجبيه وقال: اعذرني؛ أظن أنك ارتكبت خطأ.

ثم قال جاهداً بالفرنسية: أظن أن هذا المكان محجوز.

أجابه بوارو بالإنكليزية: أنت السيد هاريس؟

- لا. اسمي ماكوين. إنني...

وفي هذه اللحظة جاء صوت مسؤول التذاكر من خلف بوارو بشرة اعتذارية ونَفَسَ مقطوع: لا يوجد سرير آخر على القطار يا سيدي، ويجب أن يبقى هذا السيد هنا.

كان يرفع نافذة الممر وهو يتكلم، ثم بدأ يرفع أمتعة بوارو.

ولاحظ بوارو الاعتذار في صوته بشيء من التعجب. لا يد وأنه وُعد بمكافأة سخية لو استطاع أن يُبقي المقصورة لاستعمال المسافرين الآخر فقط، ولكن حتى أكبر المكافآت سخاء تفقد تأثيرها إذا كان

رئيس الشركة على متن القطار يعطي أوامره.

خرج مسؤول التذاكر من المقصورة بعد أن رفع الحجاب على الرف وقال: حسناً يا سيدي، لقد تم ترتيب كل شيء. سريرك هو العلوي، رقم ٧. سنطلق بعد دقيقة.

سار مسرعاً عبر الممر، ودخل بوارو إلى المقصورة ثانية وقال بانسراح: "ظاهرة نادراً ما رأيته". ثم أضاف: مسؤول التذاكر يرفع الأمتعة بنفسه؟ لم أسمع بهذا من قبل!

ابتسم رفيق سفره، وقد بدا واضحاً أنه تخطى الانزعاج الذي أصابه. ولعله رأى أن من المستحسن أن ينظر إلى الأمر بصورة فلسفية؛ فقد قال: إن القطار ممتلئ بصورة عجيبة.

صوتت صافرة وصدر عن المحرك صوت كتيب وخرج الرجلان إلى الممر. صاح صوت في الخارج: "انطلاق"، فقال ماكوين: لقد تحركنا.

ولكنهم لم يتحركوا حقاً، وصوتت الصافرة مرة أخرى.

قال الشاب فجأة: أقول يا سيدي، إذا كنت تفضل السرير السفلي (للسهولة وما إلى ذلك) فليس لدي مانع.

اعترض بوارو قائلاً: لا، لا. لن أحرمك...

- لا بأس بذلك.

- إنك لطيف جداً.

صدرت اعتراضات مؤدية من الطرفين، ثم أوضح بوارو: إنها
لليلة واحدة فقط، ففي بلغراد...

- آه، فهمت. ستغادر القطار في بلغراد.

- ليس تماماً. أترى...؟

وقعت هزة مفاجئة، والتفت الرجلان نحو النافذة ونظرا نحو
الرصيف الطويل وهو يمر مبتعداً عنهم.

لقد بدأ قطار الشرق السريع رحلته لثلاثة أيام عبر أوروبا.

* * *

تأخر السيد هيركيول بوارو قليلاً في الدخول إلى عربة المطعم
لتناول الغداء في اليوم التالي. كان قد صبحاً مبكراً وأفطر وحده تقريباً
وأمضى صباحه يراجع ملاحظات القضية التي دعتة للعودة إلى لندن،
ولم يَرَ إلا القليل من رفيقه في السفر.

كان السيد بوك جالساً قبله، وأشار بتحية نحوه ودعاه إلى
كرسي فارغ أمامه. جلس بوارو وأدرك -على الفور- أنه يجلس في
مكان متميز حيث كانت الطاولة تُخَدَّم قبل غيرها، وكان الطعام
جيداً على غير العادة. ولم يخرج السيد بوك عن موضوعات الطعام
إلا وهما بهمان يتناول طبق من جبة الكريمة. كان قد بلغ في طعامه
مرحلة يصيح المرء فيها متثلسفاً. تنهد وقال: آه، لو أن لي قلم بلزك
لكنت وصفت هذا العنظر.

ثم أشار بيده، فقال بوارو: إنها فكرة جيدة.

- آه، أتوافقني؟ لم يقم أحد بمثل هذا الأمر على ما أظن،

خفيفة ونهضت. والتفت نظراتها بنظرة بوارو لها فرمته من أعلى إلى أسفل بطريقة الأرستقراطية غير العائنة.

قال السيد بولك بصوت خافت: تلك هي الأميرة دراغوميروف. إنها روسية، وقد حصل زوجها على كل هذا المال قبل الثورة واستمره في الخارج. إنها ثرية جداً، وتعرف العالم كله.

أوما بوارو برأسه، فقد سمع عن الأميرة دراغوميروف.

قال السيد بولك: "إنها شخصية متميزة". ثم أضاف: إنها شديدة القبح، ولكن لها حضوراً. ألا توافقني؟

وافقها بوارو.

وعلى طاولة أخرى كبيرة جلست ماري ديتنهام مع امرأتين أخريين. إحداهما كانت طويلة في وسط العمر تلبس قميصاً ذا نسج مربع وتوترو من القماش الإنكليزي الثقيل، وقد صفقت شعرها الأصفر على شكل كعكة على رأسها. كانت تلبس نظارات ولها وجه طويل خانع ودود كوجه النعجة، وكانت تنصت إلى المرأة الثالثة التي كانت كهلة بدنية ذات وجه لطيف وتحدثت بصوت بطيء وواضح ومتصل بحيث لم يُظهر أية إشارة تدل على التوقف لالتقاط الأنفاس أو للتوقف عن الكلام. ولذلك قالت ابنتي: "لا يمكنك تطبيق الطرق الأميركية في هذا البلد، فمن الطبيعي أن يكون الناس هنا كسالى". وقالت: "لا يوجد عندهم دافع يدفعهم إلى العجلة". ولكني لم أهتم بهذا، وسوف تُفاجئين لو تعلمين ما الذي تقوم به كليتنا هناك. إن لدينا هيئة تدريسية جيدة وأظن أنه لا يوجد شيء

كالتعليم. تقول ابنتي...

مر القطار في نفق فضاء ذلك الصوت الهادئ وسط الضجيج.

وعلى الطاولة الصغيرة التي تلي تلك جلس العقيد آريونوت وحده. كان يحدق إلى مؤخرة رأس ماري ديتنهام. لم يجلسا معاً رغم أنه كان من السهل ترتيب ذلك. لماذا؟

فكر بوارو أن ماري ديتنهام ربما تكون قد احتشمت قليلاً؛ فالمرية تعلم كيف تكون حريصة لأن المظاهر مهمة، وفناة تعمل من أجل العيش عادة ما تكون متحفظة.

انتقلت نظرتة إلى الجانب الآخر من العربة. كانت امرأة تلبس السواد تجلس في الطرف البعيد قرب الحائط، وكانت ذات وجه عريض عديم المشاعر. وفكر في أنها قد تكون ألمانية أو إسكندنافية... ربما تكون خادمة ألمانية.

وبعدها كان ثمة زوجان متكئان إلى الأمام يتحادثان ويؤثران بأيديهما. كان الرجل يلبس ملابس فضفاضة مصنوعة من قماش إنكليزي ثقيل ولكنه لم يكن إنكليزياً، وعلى الرغم من أنه كان يجلس وظهره إلى بوارو إلا أن مؤخرة رأسه ووضعته كتفيه أظهرتا جنسيته. كان رجلاً ضخماً ذا بنية متينة، وأدار رأسه فجأة فأبصر بوارو جانب وجهه. كان رجلاً وسيماً جداً في الثلاثينيات من عمره وقد أطلق شاربين أشقرين كبيرين.

أما المرأة المقابلة له فكانت شابة صغيرة السن، وخمن أن عمرها عشرون عاماً. كانت تلبس معطفاً قصاً أسود وقميصاً من

الساتان الأبيض ، وقد وضعت على رأسها قبعة سوداء صغيرة وجميلة تميل بزاوية حادة. كان لها وجه جميل أجنتي المنظر وجلد شديد البياض وعينان بنيتان واسعتان وشعر أسود داكن. وترين يدها باقوتة ضخمة في إطار من البلاتين. وكان في نظرتها وفي صوتها شيء من الدلال.

تمتم بوارو: إنها جميلة وأنيقة! رجل وزوجته، ها؟

أوما السيد بولك موافقاً وقال: من السفارة الهنغارية كما أظن. زوجان جميلان.

كان في العربة مسافران آخران فقط، وهما رفيق بوارو في السفر ماكوين وريثيه السيد رانشيت. وقد جلس الأخير مقابلاً لبوارو. وللمرة الثانية تمنع بوارو في ذلك الوجه غير الجذاب ملاحظاً عينيه الصغيرتين القاسيتين.

لا شك في أن السيد بولك رأى تغيراً في تعابير وجه صديقه، إذ سأله: أترالك تنظر إلى حيوانك المتوحش؟

أوما بوارو بالإيجاب. وعندما أحضرت قهوته نهض السيد بولك على قدميه، ولأنه بدأ قبل بوارو فقد أنهى وجهه قبل مدة. قال: أنا عائد إلى مقصوري. تعال عندي عندما تنتهي ودعنا نتحدث.

- بكل سرور.

رشف بوارو قهوته فيما كان النادل ينتقل من طاولة إلى أخرى حاملاً صندوق نقوده جامعاً قيم الفواتير المختلفة، وارتفع صوت

المرأة الأميركية حاداً شاكياً: قالت ابنتي: "ابتاعي دفتر تذاكر الطعام ولن تواجهي أية متاعب... ولن تواجهي متاعب أبداً. ولكن لا يبدو هذا صحيحاً الآن؛ إذ يبدو أنهم يطالبون بنسبة عشرة بالمئة إكرامية، بالإضافة إلى زجاجة المياه المعدنية أيضاً، ويا لها من مياه غريبة! فليس لديهم مياه من نوع إيفيان أو فيشي، وهذا يبدو غريباً لي.

قالت السيدة ذات الوجه الخانع كوجه نعجة: إنهم مضطرون لتقديم مياه البلد الذي نكون فيه.

- إن الأمر يبدو غريباً بالنسبة لي.

نظرت باشمزاز إلى كومة النقود الصغيرة على الطاولة أمامها، ثم أضافت: وانظروا إلى هذه الأشياء الغريبة التي أعطائها! إنها لا تبدو محترمة مثل نقودنا. لقد قالت ابنتي...

دفعت ماري دينهام كرسيتها إلى الخلف وغادرت وهي تنحني انحناءة بسيطة نحو المرأتين، ثم قام العقيد أربوثنوت وتبعها. جمعت السيدة الأميركية نقودها المحترمة وغادرت أيضاً، وتبعها السيدة التي تشبه النعجة. وكان الهنغاريان قد غادرا من قبل فأصبحت عربة المطعم خالية إلا من بوارو وانشيت وماكوين.

تحدث رانشيت مع رفيقه الذي نهض وغادر العربة، ثم نهض هو الآخر، ولكنه بدل أن يتبع ماكوين جلس بصورة غير متوقعة في المقعد المقابل لبوارو وقال: أسمح لي بشقاب؟

كان صوته ناعماً في أثر يوحى وكأنه يخرج من أنفه. ثم قال: اسمي رانشيت.

اتحتى له بوارو قليلاً ووضع يده في جيبه وأخرج عليه نقاب
وناولها للرجل الآخر الذي أخذها بدوره ولكنه لم يشعل عوداً منها،
بل تابع كلامه قائلاً: أظن أنني أحظى بشرف التحدث إلى السيد
هيركيول بوارو، أليس كذلك؟

أحتى بوارو رأسه ثانية وقال: لقد أعطيت معلومات صحيحة
يا سيدي.

كان رجل التحري واعياً لتلكما العينين الغريبتين وهما تقيمانه
قبل أن يتكلم الرجل مرة أخرى: نحن، في بلدي، ندخل إلى صلب
الموضوع مباشرة يا سيد بوارو. أريدك أن تتولى لي مهمة.

ارتفع حاجبا هيركيول بوارو قليلاً وقال: إن زبائني محدودون
هذه الأيام يا سيدي، وأنا لا أقبل إلا القليل من القضايا.

ردّ الرجل: "إنني أنفهم الوضع بطبيعة الحال، ولكن هذا
الامر ينطوي على أموال طائلة يا سيد بوارو". ثم كرر بصوته الناعم
والمغري: أموال طائلة!

صمت هيركيول بوارو لدقيقة أو اثنتين ثم قال: ما الذي تريدني
أن أفعله لك يا سيد... راتشيت؟

- إنني رجل ثري يا سيد بوارو... ثري جداً. وأي رجل في مثل
هذا الموقف يكون لديه أعداء، وأنا لديّ عدو.

- عدو واحد فقط؟

سأل راتشيت بحدة: ما الذي تعنيه بهذا السؤال؟

- تنفيذ خبرتي، يا سيدي، بأن الرجل إذا كان في موضع يجلب
له الأعداء - كما تقول - فعادة ما لا يقتصر الأمر على واحد.

بدأ راتشيت مرتاحاً لجواب بوارو فقال بسرعة: آه، نعم. أقدر
لك هذه النقطة، ولكن لا يهم أعدو واحد هو أم أعداء متعددون...
المهم هو سلامتي.

- سلامتك؟

- لقد هدد أحدهم حياتي. وأنا رجل أستطيع أن أعطي بنفسي
جيداً يا سيد بوارو...

أخرج من جيب معطفه مسدساً ثم تابع متجهماً: لا أظنني من
نوع الرجال الذين يمكن أن يؤخذوا على حين غرة، ولكنني أود أن
أكون متأكد جداً من سلامتي، وأظن أنك الرجل الذي يستحق مالي
يا سيد بوارو... وتذكر أنها أموال طائلة.

نظر إليه بوارو مفكراً لبعض الوقت بوجه خال تماماً من أي
تعبير، وما كان للرجل الآخر أن يتكهن بما يدور في خلدته. وبعد
بعض الصمت قال: أنا أسف يا سيدي لأنني لا أستطيع أن أقبل
الامر.

نظر إليه الآخر بحدة وقال: حدد المبلغ الذي تريد إذن؟

هز بوارو رأسه نافياً وقال: أنت لا تفهمني يا سيدي. لقد كنتُ
محظوظاً جداً في مهنتي، وقد حصلت من المال على ما يكفي لإشباع
حاجاتي كلها، وأنا لا أقبل من القضايا الآن إلا ما يثير اهتمامي.

قال رانشيت: إن لديك إصراراً كبيراً. هل يغريك مبلغ عشرين ألف دولار؟

- لن يغريني.

- إذا كنت ترفض بغية الحصول على المزيد فإنك لن تنال ذلك؛ لأنني أعرف قيمة كل شيء بالنسبة لي.

- وكذلك أنا... يا سيد رانشيت.

- وما هو العيب في عرضي؟

نهض بوارو وقال: اعذري إذا كنت ذاتياً في هذا الأمر... إنني لا أحب وجهك يا سيد رانشيت!

ثم غادر عربة المطعم.

وصل قطار الشرق السريع إلى بلغراد في التاسعة إلا ربعاً من تلك الليلة. ولم يكن مقرراً أن يغادر حتى التاسعة والربع، لذلك نزل بوارو إلى الرصيف، ولكنه لم يستمر هناك طويلاً؛ فقد كان البرد قارساً، وعلى الرغم من أن الرصيف نفسه كان محمياً إلا أن الثلج كان يساقط بشدة خارجه، فرجع بوارو إلى مقصورته.

وهناك قال له مسؤول التذاكر الذي كان يضرب قدميه على الرصيف ويلوح بيديه طلباً للدفء: لقد تم وضع أمتعتك في المقصورة رقم ١ + مقصورة السيد بوك.

- ولكن أين السيد بوك إذن؟

- لقد انتقل إلى العربة القادمة من أثينا والتي تم وصلها بالقطار للتو.

ذهب بوارو باحثاً عن صديقه بوك الذي أبدى رفضه لاعتراضات بوارو قائلاً: أنا لم أفعل شيئاً، لم أفعل شيئاً؛ فالوضع هكذا مريح

الفصل الرابع صبيحة في الليل

أكثر. أنت ستمكث طوال الرحلة وصولاً إلى إنكلترا، ولذلك فإن من الأفضل أن تبقى في العربة التي ستمضي إلى كاليه، أما أنا فإني مرتاح هنا، فالمقصورة هادئة جداً وليس فيها إلا أنا وطبيب يوناني. آه، يا صديقي، يا لها من ليلة! يقولون إن الثلوج لم تهطل بهذه الغزارة منذ سنوات. لنأمل ألا احتجزنا، ودعني أخبرك بأني غير سعيد بهذا الوضع.

تحرك القطار من المحطة في الساعة التاسعة والربع بالضبط، وبعد ذلك بقليل نهض بوارو وتمنى لصديقه ليلة سعيدة، ثم مشى عبر الممر عائداً إلى عربته التي كانت في المقدمة بعد عربة المطعم.

وفي هذا اليوم (اليوم الثاني من الرحلة) بدأت الحواجز تسقط بين المسافرين؛ فقد وقف العقيد آربوثنوت أمام مقصورته يتحدث إلى ماكوين. وقطع ماكوين حديثه عندما رأى بوارو وقد بدت عليه المفاجأة وصاح قائلاً: ماذا؟ اعتقدت أنك غادرتنا. لقد قلت إنك ستغادر القطار في بلغراد.

قال بوارو وهو يتسهم: لقد أسأت فهمي. أذكر أن القطار تحرك من إسطنبول في اللحظة التي كنا نتحدث فيها عن الموضوع.

- ولكن حقاً إنك يا رجل... لقد اختفت.

- لقد تُفِلْتُ إلى مقصورة أخرى، هذا كل ما في الأمر.

- آه، فهمت.

تابع محادثته مع آربوثنوت ومضى بوارو عبر الممر. وقبل

مقصورته يباين كانت تقف المرأة الأميركية الكهلة، السيدة هوبارد، تتحدث إلى المرأة الشبيهة بالنعجة، والتي كانت سويدية.

كانت السيدة هوبارد تقدم مجلة إلى المرأة الأخرى قائلة: أبدأ! خذها يا عزيزتي، فلدي أشياء أخرى كثيرة للقراءة. يا إلهي! أليس البرد شتاً مخيفاً؟

ثم أومأت برأسها ودياً لبوارو، فيما قالت السيدة السويدية: أنت لطيفة جداً.

- لا عليك. أرجو أن تنامي جيداً وأن يزول صداعك في الصباح.

- إنه البرد فقط. سأصنع لنفسني كوباً من الشاي.

- هل لديك بعض الأسيرين؟ هل أنت متأكدة؟ فلدي الكثير منه. حسناً، طابت ليلتك يا عزيزتي.

التفتت نحو بوارو متحذرة بعد أن غادرت المرأة الأخرى: يا للمسكينة! إنها سويدية، وكما فهمت فإنها تعمل معلمة من نوع ما. إنها لطيفة غير أنها لا تتكلم الإنكليزية جيداً، وقد اهتمت كثيراً بما أخبرتها به عن ابنتي.

كان بوارو قد عرف -عندئذ- كل شيء عن ابنة السيدة هوبارد، بل إن كل من يفهم الإنكليزية على متن القطار عرف كل شيء عن ابنتها التي كانت وزوجها من أعضاء الهيئة التدريسية في كلية أميركية كبيرة في سميرنا.

فُتِحَ الباب الذي يليهم وخرج منه الخادم التحيل الشاحب، ولمح بوارو في داخل المقصورة السيد رانشيت جالساً على السرير، وعندما رأى بوارو تغير وجهه غضباً، ثم أغلق الباب.

تحت السيدة هوبارد ببوارو جانباً وقالت: أنا خائفة لدرجة الموت من ذلك الرجل. آه، ليس الخادم، وإنما الآخر، سيده. ياله من سيد! فيه شيء غير طبيعي. ابتي تقول دائماً إن حديسي صادق: "عندما تخش أمي شيئاً فإن حديسها يكون صحيحاً تماماً..." هذا ما نقوله ابتي. إن لدي إحساساً إزاء ذلك الرجل. إنه يقيم في المقصورة التي بجاني ولا أحب ذلك. لقد وضعتُ حقائلي أمام الباب الذي يفصل مقصورتنا ليلة أمس، وأظنني سمعته يحاول العبث بيد الباب. أتعلم؟ لن أعجب إذا تبين أن ذلك الرجل قاتل، أو أنه واحد ممن تقرأ عنهم من الذين يسطون على القطارات. قد نظنني غبية ولكن هذا ما أظنه. إنني خائفة جداً من ذلك الرجل! قالت ابتي إنني سأفضي رحلة سهلة، ولكنني لست سعيدة بهذه الرحلة. قد يكون هذا غياف ولكنني أشعر أن أي شيء قد يحدث... أي شيء، ولا أستطيع أن أفهم كيف يتحمل ذلك الشاب اللطيف أن يكون سكرتيه.

كان العقيد آربوثنوت وماكوين يتقدمان باتجاههما في الممر، وماكوين يقول لصاحبه: تعال إلى مقصورتى؛ فلم يتم ترتيبها للنوم بعد. إن ما أود فهمه عن سياستكم في الهند هو...

مرّ الرجلان وابتعدا عنهما عبر الممر نحو مقصورة ماكوين، وتمنت السيدة هوبارد ليلة سعيدة لبوارو قائلة: أظنني سأذهب من فوري إلى السرير وأقرأ. طابت ليلتك.

- طابت ليلتك يا سيدي.

ذهب بوارو إلى مقصورته التي كانت بعد مقصورة رانشيت مباشرة، حيث ذهب إلى سريريه وقرأ لمدة نصف ساعة تقريباً وبعدها أطفأ النور.

ولكنه صبحاً جافلاً بعد عدة ساعات وقد أدرك ما الذي أيقظه. كانت آفة عالية... تكاد تكون صيحة، في مكان ما قريب. وفي نفس اللحظة سمع رنة جرس حادة.

جلس بوارو وأشعل الضوء ولاحظ أن القطار كان واقفاً... ربما في محطة ما. أجفأ تلك الصيحة، وتذكر أن رانشيت هو الذي يقطن المقصورة التي بجانيه. نهض من السرير وفتح الباب في نفس اللحظة التي أتى بها مسؤول التذاكر مسرعاً عبر الممر وطوق على باب رانشيت. أبقي بوارو بابه مفتوحاً فتحة صغيرة وبدأ يراقب. طرق المسؤول الباب مرة ثانية ثم قرع جرساً وظهر ضوء من باب آخر في الممر، فالتفت المسؤول نحو ذلك الضوء.

وفي نفس اللحظة سمع صوت داخل المقصورة التي بجانيه يقول بالفرنسية: لا يوجد شيء، كان ذلك خطأ مني.

قال مسؤول التذاكر: "حسناً يا سيدي". ثم أسرع ليدي على الباب الذي ظهر الضوء فوقه.

عاد بوارو إلى سريريه وقد ارتاح ذهنه وأطفأ النور. نظر إلى ساعته وكانت تشير إلى الواحدة إلا ثلاث وعشرين دقيقة.

قُرِعَ الجرس مرة بعد أخرى. أين هو الرجل؟ لقد نفذ صبر أحدهم. إن قارع الجرس، أبأ كان، قد أبقي إصبعه على الجرس.

فجأة أتى الرجل بسرعة وصوت وقع أقدامه يتردد عبر الممر. طَرَقَ باباً ليس بعيداً عن مقصورة بوارو، ثم أنت الأصوات: صوت المسؤول وفيه نبرة احترام واعتذار، وصوت امرأة، مُلَحَّة مهذرة.

السيدة هوبارد... ابتسم بوارو مع نفسه.

استمر الجدل لبعض الوقت، واستولت السيدة هوبارد على تسعين بالمئة من الحديث بينما اكتفى المسؤول بعشرة بالمئة قضائها وهو يحاول تهدئة الموقف. وأخيراً بدا أن المشكلة قد حُلَّت، فقد سمع بوارو بوضوح: "تصباحين على خير يا سيدتي"، ثم صوت باب يغلق.

ضغط بوارو بإصبعه على الجرس، فوصل المسؤول في الحال وبدا مغتاضاً قلقلًا.

- زجاجة مياه معدنية من فضلك.

- حسنًا يا سيدي.

ولعل الرجل رأى لعة في عيني بوارو دعتة إلى أن ييوح بما في نفسه: المرأة الأميركية...

- نعم؟

مسح جبينه وقال: تخيل الوقت العصب الذي قضيته معها!

الفصل الخامس

الجريمة

وجد بوارو صعوبة في العودة مباشرة إلى النوم، فقد افتقد حركة القطار الرتيبة. ولئن كانت هذه محطة فلا ريب في أنها هادئة بصورة غريبة. وفي المقابل كانت الأصوات داخل القطار عالية على غير العادة. استطاع أن يسمع راتشيت يتحرك في المقصورة التي بجانبه وسمع صوتاً صادراً عن فتح المغسلة وصوت الماء يجري من الصنبور وصوت ارتطام الماء على المغسلة، ثم شُمع صوت آخر دُلَّ على إغلاق الماء، وصوت أقدام تمر في الممر خارجاً وكانت صوت أقدام شخص يلبس نعالاً خفيفاً.

استلقى بوارو يقطاً يحدق إلى السقف. لماذا كانت المحطة هادئة لهذه الدرجة في الخارج؟ شعر بجفاف في حلقه وقد نسي أن يطلب زجاجته المعهودة من المياه المعدنية. نظر إلى ساعته مرة أخرى وكانت تشير إلى الواحدة والربع. سيقر الجرس ويطلب من المسؤول بعض المياه المعدنية. وتحرك إصبعه نحو الجرس، ولكنه توقف عندما سمع قرع جرس آخر في هدوء الليل، فلا يمكن لذلك الرجل أن يجيب على جميع الأجراس مرة واحدة.

إنها نصرٌ ونصرٌ على أن في مفصورتها رجلاً! تخيل يا سيدي. في مساحة بهذا الحجم؟

حرك ذراعاً مشيراً إلى حجم الغرفة ثم أضاف قائلاً: أين يمكن أن يخفى؟ لقد نجادلت معها وبينت لها أن ذلك مستحيل، ولكنها نصرٌ على أنها استيقظت ورأت رجلاً هناك. فسألتها: "وكيف خرج وأقفل الباب من الداخل؟"، ولكنها لا تريد سماع صوت العقل. وكأنتا بحاجة لمنعصات جديدة، ألا تكفي هذه الثلوج...؟

- الثلوج؟

- نعم يا سيدي، ألم تلاحظ؟ لقد توقفت القطار بسبب كثافة الثلوج، ولا يعلم إلا الله كم سيقى هنا. أذكر مرة أن الثلوج أعاقتنا لعدة سبعة أيام.

- أين نحن؟

- بين فينكوفي وبرود.

قال بوارو بحق: يا إلهي!

انسحب الرجل ثم عاد بالماء وقال: طابت ليلتك يا سيدي.

شرب بوارو كأساً من الماء، ثم حاول النوم ثانية. وكان في بداية غفوته عندما أيقظ -ثانية- صوت آخر، ولكنه بدا هذه المرة وكأنه صوت شيء ثقيل يرتطم بالباب.

قفز مسرعاً وفتح الباب ونظر خارجه... لا شيء. ولكن عن يمينه وفي نهاية الممر كانت امرأة ملتفة بقميص نوم قرمزي تمشي.

متعددة عنه. وفي الطرف الآخر جلس المسؤول في كرسيه الصغير يسجل أرقاماً على أوراق كبيرة. وكان كل شيء ساكناً سكون الموت.

قال بوارو: "ربما كانت أعصابي مجتهدة". ثم ذهب إلى فراشه. وفي هذه المرة نام حتى الصباح.

* * *

عندما استيقظ كان القطار ما يزال واقفاً، فرقع الستارة ونظر خارجاً. كانت أكوام من الثلوج تحيط بالقطار. ونظر إلى ساعته فوجد أن الوقت قد تعدى التاسعة.

وفي العاشرة إلا ربعاً أتجه نحو عربة المطعم مرتباً ومثاقفاً كعادته فوجدها تعج بأصوات الساخطين. ولش كانت بعض الحواجز بين الركاب قد بقيت حتى ذلك الحين فإنها قد سقطت كلها؛ إذ وخذ سوء الطالع بين مصائر الناس. وكانت السيدة هوبارد صاحبة الصوت الأعلى في اعتراضاتها؛ قالت ابنتي إنها أسهل وسيلة في العالم للسفر... "ما عليك سوى أن تجلسي في القطار حتى تصلبي إلى باريس"، أما الآن فقد تجلس هنا لعدة أيام، وسوف يبحر القارب بعد غد، فكيف أستطيع أن ألحق به الآن؟ بل إنني لا أستطيع أن أبرق لإلغاء الحجز. أشعر بالجنون وأنا أتحدث عن ذلك.

وقال الإيطالي إن لديه أعمالاً عاجلة في ميلانو، أما الأميركي الضخم فقد وجه كلامه إلى السيدة مخففاً عنها وقال إنه يأمل في أن يتمكن القطار من تعويض الوقت الذي أضاعوه.

لم تكن الأميرة دراغومبروف موجودة ولا الزوجان الهنغاريان، وكذلك رانشيت وخادمتها والخادمة الألمانية، كلهم كانوا غائبين.

مسحت المرأة السويدية عينيها وقالت: أنا غبية. إتني أبكي كالأطفال، لن يحدث إلا ما يريد الله.

إلا أن هذه الروح العملية لم تكن موجودة لدى الجميع، فقد قال ماركوس منزعجاً: قد يكون هذا جيداً، ولكننا قد نُحتَجَزُ هنا لأيام.

سألت السيدة هوبارد باكية: ما اسم هذا البلد على أية حال؟ عندما أُخِيرَتْ أنها يوغوسلافيا قالت: آه! إنها واحدة من دول البلقان تلك. ماذا تتوقعون منهم؟

قال يوارو لثلاثة دينينهم: أنت الصبورة الوحيدة هنا يا آنسة. هزت كتفيها قليلاً وقالت: وما الذي يستطيع أن يفعله المرأة؟ - أنت فيلسوفة يا آنسة.

- هذا يدنّ على موقف المنسحب المنعزل، وأحسب أن موقفني أقرب للأنانية. لقد تعلمت أن أوفر على نفسي العواطف غير المفيدة.

لم تكن تنظر إليه، وإنما تعدّته نظرتها إلى خارج النافذة حيث تراكت كميات كبيرة من الثلوج. وقال يوارو بلطف: إن شخصيتك قوية يا آنسة، وأظن أنها الأقوى من بين شخصياتنا جميعاً.

بكت المرأة السويدية وقالت: "إن אחتي وأولادها ينتظرونني"، ثم أضافت: لا أستطيع أن أعلمهم عما حدث. بماذا سيفكرون؟ سيقلّون أن امرأة سيئاً قد حدث لي.

سألت ماري دينينهم بالهجة الأمر: كم من الوقت سيقى هنا؟ ألا يعلم أحد ذلك؟

بدت نافذة الصبر، ولكن يوارو لاحظ أنها لم يَدُ عليها أثر لذلك القلق الذي أبدته عندما كانت في قطار طوروس السريع.

انطلقت السيدة هوبارد ثانية: لا يوجد أي شخص على هذا القطار يعلم شيئاً، ولا أحد يحاول أن يفعل شيئاً. مجرد زمرة من الأجانب عديمي الفائدة، فلو حدث هذا الأمر في بلدي لحاول أحد أن يفعل شيئاً على الأقل.

التفت آربوثنوت إلى يوارو وتكلم بالفرنسية ولكنه إنكليزية قائلاً: إنك مدير هذه الخطوط كما أظن يا سيدي، فهل لديك أي رأي...

صحّحه يوارو بالإنكليزية وهو يتنسم: لا، لا... لست أنا. لقد خلطت بيني وبين صديقي السيد بوك.

- آه، أنا آسف.

- لا عليك، إنه أمر طبيعي؛ فانا أمكث الآن في المقصورة التي كان يشغلها.

لم يكن السيد بوك موجوداً في عربة المطعم، ونظر يوارو حوله ليرى من غيره كان غائباً.

- آه، لا، بالتأكيد لا، أعرف شخصاً آخر ذا شخصية أقوى
منى بكثير.

- وهو...؟

فجأة بدا أنها استعادت التركيز على أفكارها وأدركت أنها
تحدث إلى أجنبي غريب لم تتبادل معه سوى بعض العبارات حتى
هذا الصباح. صحتك ضحكة غريبة ومؤدية لم قالت: تلك المرأة
المتقدمة في السن مثلاً... ربما لاحظتها. إنها امرأة كبيرة وشديدة
الشاع، ولكنها تسحر القلب. ما عليها سوى أن تحرك إصبعها
وتطلب شيئاً بصوت مؤدب حتى يتركض جميع من في القطار.

قال يوارو: وكذلك يتركضون لصديقي السيد بوك، ولكن ذلك
عائد إلى كونه مدير الخط وليس لأن له شخصية قوية.

استمت ماري ديتنهام.

مضى انصباح وبقي عدد من الناس في عربة المطعم، ومن
ضمنهم يوارو. بدا أن اتباع حياة اجتماعية هي الطريقة الأفضل
لإضاعة الوقت، وقد سمع المزيد عن أيتة السيدة هوبارد، وسمع عن
عادات حياة السيد هوبارد المتوفى، منذ أن كان يستيقظ في الصباح
ويتناول فطوراً من الحبوب إلى أن يأوي إلى فراشه ليلاً بجوارب
النوم التي اعتادت السيدة هوبارد أن تغزلها له بنفسها.

ولمها كان يستمع إلى هذه التفصيلات جاء أحد مسؤولي

التذاكر ووقف بجانبه قائلاً: اعذرني يا سيدي.

- نعم؟

- السيد بوك يرسل تحياته، وسوف يُسَرُّ لو تُلطفَتِ وذهبت
عنده لبضع دقائق.

نهض يوارو واعتذر للسيدة وتبع الرجل خارج عربة المطعم. لم
يكن مسؤول التذاكر الذي يعرفه بل كان رجلاً أشقر ضخماً، وتبعه
يوارو عبر ممر العربة التي يمكث بها وممر العربة التالية أيضاً. طرق
الرجل الباب وتفتح جانباً ليفتح المجال أمام يوارو للدخول.

لم تكن تلك مقصورة السيد بوك وإنما مقصورة من الدرجة
الثانية، ولربما تم اختيارها لكونها أكبر قليلاً، ولكن على الرغم من
ذلك فقد كانت مكتظة. كان السيد بوك يجلس على مقعد صغير
في الزاوية المقابلة، وفي الزاوية التي تليها، بجانب النافذة ومقابلها
تماماً، جلس رجل ضئيل أسمر البشرة ينظر خارجاً نحو الثلوج. كان
مسؤول القطار يقف أمامه مباشرة يزيه الأزرق بحيث كان يوارو عاجزاً
عن التقدم، وكان بجانب ذلك الأخير مسؤول التذاكر الذي يعرفه.

هتف السيد بوك: آه، صديقي العزيز! ادخل! فنحن بحاجة
إليك.

انزع الرجل الصغير قرب النافذة على مقعده وانحشر يوارو
متقدماً بين الرجلين الآخرين وجلس مقابل صديقه. وقد دفعه التعبير
على وجه السيد بوك إلى التفكير بعمق، فقد بدا واضحاً أن أمراً غير
عادي قد حدث. سأل: ما الأمر؟

- لك الحق في أن تسأل، ففي يادئ الأمر كانت الثلوج وهذا التوقف. والآن...

توقف وخرجت شهقة مخنوقة من مسؤول التذاكر.

- والآن ماذا؟

تحدث السيد بوك بشيء من اليأس الهادئ: والآن يتمدد مسافر ميت في سريره... مطعوناً.

- مسافر؟ أي مسافر؟

- أميركي. رجل يدعى... يدعى...

نظر إلى ملاحظات أمامه ثم قال: راتشيت... أهذا صحيح؟ راتشيت؟

قال مسؤول التذاكر: نعم يا سيدي.

نظر بوارو نحوه، ولثا وجهه أبيض الوجه بلون الكلس قال: من الأفضل أن تدعوا ذلك الرجل يجلس والآن فإنه سيغيب عن الوعي.

تحرك مسؤول القطار قليلاً فجلس الرجل في الزاوية وأخفى وجهه بين يديه.

قال بوارو: مممم... إنه لأمر جاد!

- إنه جاد بالتأكيد. جريمة قتل! وهذه بحد ذاتها مصيبة من الدرجة الأولى، ولكن ليس هذا فحسب، فظروف الجريمة غير

عادية؛ إذ أننا مجبرون على التوقف هنا، وقد تبقى لساعات وربما لأيام!

قال بوارو: إنه موقف صعب للغاية.

- ولكن الأمر يزداد سوءاً. إن الدكتور كونسانتين... لقد نسيت أن أعرف كلاً منكما بالآخر. الدكتور كونسانتين... السيد بوارو.

اتحنى الرجل الضئيل الأسمر ورد بوارو عليه.

- يرى الدكتور كونسانتين أن الوفاة قد حصلت في نحو الواحدة بعد منتصف الليل.

قال الطبيب: من الصعب أن يكون المرء دقيقاً في مثل هذه الأمور، ولكن أعتقد أنني أستطيع أن أقول بكل تأكيد إن الوفاة وقعت بين منتصف الليل وبين الثانية صباحاً.

سأل بوارو: متى شوهد السيد راتشيت حياً آخر مرة؟

قال السيد بوك: كان على قيد الحياة في نحو الواحدة إلا عشرين دقيقة عندما كلم مسؤول التذاكر.

قال بوارو: هذا صحيح تماماً، فقد سمعت الحديث. هل هذا آخر ما نعلم؟

- نعم.

التفت بوارو نحو الطبيب الذي تابع كلامه: لقد وُجِدَتْ نافذة السيد راتشيت مفتوحة مما يدعو المرء إلى الاعتقاد بأن القاتل قد هرب من هناك، ولكن برأيي أن تلك النافذة المفتوحة كانت

للنصلي؛ فلو خرج شخص من تلك الطريق لكان قد ترك أثراً واضحاً في الثلج، ولم تكن هناك أية آثار.

سأل بوارو: متى اكتشفت الجريمة؟

- ميشيل!

انتصب مسؤول التذاكر في مقعده. كان وجهه ما يزال شاحياً وخائفاً. وأمره السيد بوك قاتلاً: أخبر هذا السيد ما الذي حدث بالضبط.

تكلم الرجل بشيء من التلعثم: طرق خادم السيد راتشيت الباب عدة مرات هذا الصباح، ولكنه لم يسمع جواباً. وقبل نحو نصف ساعة ذهب تادل عربة المطعم وأراد أن يعرف إن كان السيد يريد إقطاراً. كانت الساعة الحادية عشرة، وفتح له الباب بمفتاحي، ولكن كانت السلسلة الحديدية مقفلة أيضاً. لم يكن هناك جواب وكان كل شيء هادئاً جداً في الداخل، وبارداً... بارداً جداً. كانت النافذة مفتوحة والثلوج تدخل، وظننت أن الرجل ربما أصيب بنوبة فطلبت مسؤول القطار، ثم كسرنا السلسلة ودخلنا. كان... آه، كان ذلك فظيلاً!

أخفى وجهه بين يديه ثانية. وسأل بوارو متأملاً: كان الباب مقفلاً بالسلسلة من الداخل؟ ألم يكن انتحاراً؟

ضحك الطبيب اليوناني ضحكة ساخنة وقال: إذا أراد رجل أن ينتحر فهل يظعن نفسه في عشرة مواضع... أو حتى في اثني عشر موضعاً، أو خمسة عشر؟

فتح بوارو عينيه وقال: تلك وحشية عظيمة!

قال مسؤول القطار في أول تعليق له: إنها امرأة. كن واثقاً من أنها امرأة؛ فلا يمكن أن يظعن بهذا الشكل سوى امرأة.

تجهم وجه الطبيب كونستانتين وهو يفكر وقال: لا بد من أنها كانت امرأة قوية جداً. لا أود أن أبحث في الأمور الفنية فذلك يزيد الأمور تعقيداً، ولكنني أستطيع أن أؤكد لك أن ضربة أو ضربتين شددتا بقوة كبيرة اجتازتا حواجز قاسية من العضل والعظم.

قال بوارو: من الواضح أنها لم تكن جريمة علمية.

قال الطبيب كونستانتين: إنها أبعد ما تكون عن العلم؛ إذ يبدو أن الضربات قد وُجعت بشكل عشوائي وغير مرتب، وبعضها ارتد دون أن يسبب أي ضرر. يبدو وكأن أحداً ما أغمض عينيه ثم راح يضرب مرات ومرات بوحشية عمية.

قال مسؤول القطار ثانية: "تلك هي المرأة! إن النساء كذلك، وعندما يغضبن قانهن يمتلكن قوة عظيمة". ثم هز رأسه بحكمة حتى ظن الجميع أنه مر بتلك التجربة شخصياً.

قال بوارو: قد يكون عندي شيء أضيقه إلى معلوماتكم. لقد تحدثت إلي السيد راتشيت يوم أمس وأخبرني -كما فهمت منه- أن حياته في خطر.

قال السيد بوك: "لقد تم تصريفه! هذا هو التعبير الأميركي، أليس كذلك؟". ثم أضاف: فهي إذن ليست امرأة، بل مجرم عاتٍ، أو قاتل محترف.

بدا مسؤول القطار متألماً لأن نظريته بدت فاشلة.

- ولكن افترض أنني لم أحلها؟

قال بوارو: إذا كان الأمر كذلك فيبدو لي أن الجريمة قد ارتكبت بأسلوب هواة.

قال السيد بوك: آه، يا عزيزي!

ثم أضاف وفي صوته الكثير من الإطراء: إنني أعرف عن سمعتك وأعرف شيئاً عن طرقتك، وهذه هي القضية المثلى بالنسبة لك. ألم أسمعك - مرة - تقول إنه إذا أراد الرجل أن يحل قضية ما فما عليه سوى أن يستلقي في مقعده ويفكر؟ افعل ذلك. قم بمقابلة الركاب على القطار وافحص الجثة وافحص الأدلة في أماكنها، فأنا متأكد من أن كلامك ذلك لم يكن مجرد عجرفة. استلق وفكر واستخدم - كما سمعتك تقول مراراً - الخلايا الرمادية الصغيرة في دماغك وسوف تعرف الحل!

كانت نبرته توحى بالمعارضة التي تنطلق من خبرة وحرفية. وقال السيد بوك متابعاً فكرته: على القطار رجل أميركي ضخم. شخص عادي المنظر ذو ثياب فظيعة ويمضغ اللبان، وهو أمر لا أظنه متبعاً في الطبقات المحترمة. أنعرف من أعني؟

أولاً مسؤول التذاكر برأسه، إذ كان السؤال موجهاً إليه: نعم يا سيدي، الرجل الذي يشغل المقصورة رقم ١٦. ولكن لا يمكن أن يكون هو لأنه كان بمقدوري أن أراه يدخل المقصورة أو يخرج منها.

- لعلك لم تره، لعلك لم تره. ستحدث في ذلك لاحقاً. السؤال هو: ماذا نفعل الآن؟

ثم نظر نحو بوارو الذي نظر إليه بدوره، فقال السيد بوك: يا صديقي! أنت تعرف ما الذي سأطلبه منك. إنني أعرف قدراتك وأريدك أن تتولى التحقيق! لا، لا. لا ترفض؛ فالأمر - كما ترى - جاد ومهم بالنسبة لنا، وأنا هنا أتحدث بالنيابة عن شركة الخطوط العالمية. كم سيكون الأمر بسيطاً عندما يصل الشرطة اليوغسلافية لو استطعنا أن نقدم لهم الحل، ولأصوف نواجه تأخيراً وتعقيداً في الأمور ومليون قضية مزعجة، ولكن بدلاً من ذلك تحل أنت الغموض، فنقول: لقد حصلت جريمة قتل وما هو المجرم!

مال إلى الأمام وهو ينظر إلى صديقه بمحبة، فقال بوارو بشيء من العاطفة: إن إيمانك هذا أثر بي يا صديقي. وكما تقول فإن هذه لن تكون قضية صعبة؛ قليلة أمس كنت أنا نفسي... ولكن دعنا لا نتحدث عن ذلك الآن. في الحقيقة إن هذه المشكلة أثارت اهتمامي، إذ كنت أقول قبل أقل من نصف ساعة إن أماننا عدة ساعات من الملل ونحن عالقون هنا، أما الآن فما هي ذي مشكلة تأتيني جاهرة.

قال السيد بوك بحماسة: أنت تقبل القضية إذن؟

- إنك تضع الأمر بين يدي.

- حسناً، نحن جميعاً في خدمتك.

- في البداية أريد مخططاً لعربة إسطنبول-كاليه مع ذكر الأشخاص الذين يشغلون مقصوراتها، كما أود أن أرى جوازات سفرهم وتذكرهم.

- سوف يحضرها لك ميشيل.

غادر مسؤول التذاكر المقصورة، فيما سأل بوارو: من هم المسافرون الآخرون على القطار؟

- لا يوجد في هذه العربة سوى الطيب كونستانتين وأنا، أما في العربة القادمة من بورخاست فلا يوجد سوى رجل متقدم في السن برجل مقطوعة، وهو معروف جيداً للمسؤول. وما عدا ذلك فهناك العربات العادية، إلا أنها لا تهمنا لأنها أقفلت بعد تقديم العشاء ليلة أمس، ولا يوجد أمام عربة إسطنبول-كاليه إلا عربة المطعم.

قال بوارو ببطء: إذن يبدو وكأننا يجب أن نبحث عن قاتلنا في عربة إسطنبول-كاليه.

التفت نحو الطيب وقال: هذا ما كنت ترمي إليه على ما أظن.

أوما اليوناني موافقاً وقال: بعد منتصف الليل بنصف ساعة واجهنا الثلوج، ولا يمكن أن يكون أحد قد غادر القطار منذ ذلك الوقت.

قال السيد بوك بنجهم: إن القاتل معنا... على القطار الآن!

الفصل السادس امرأة؟

قال بوارو: أودّ -أولاً- أن أتحدث إلى الشاب ماكوين، فقد يكون قادراً على إعطائنا معلومات شمية.

قال السيد بوك: "بالتأكيد". ثم التفت إلى مسؤول القطار قائلاً: استدع ماكوين.

غادر مسؤول القطار المقصورة، وعاد مسؤول التذاكر ومعه عدد من جوازات السفر والتذاكر، فأخذها السيد بوك منه قائلاً: شكراً يا ميشيل. أظن أن من الأفضل أن نعود إلى عملك الآن، وستأخذ إقادتك رسمياً في وقت لاحق.

- حسناً يا سيدي.

غادر ميشيل العربة، وقال بوارو: بعدما ترى الشاب ماكوين أرجو أن يأتي السيد الطيب معي إلى مقصورة الرجل الميت.

- بالتأكيد.

- وعندما تنتهي من هناك...

في هذه اللحظة عاد مسؤول القطار ومعه هيكتور ماكوين.

نهض السيد بوك قائلاً بلطف: إن المكان ضيق هنا. اجلس في مقعدي يا سيد ماكوين، وسيجلس السيد بوارو مقابلك... هكذا.

ثم التفت نحو مسؤول القطار وقال: أخرج الجميع من عربة المطعم ولتكن فارغة تحت تصرف السيد بوارو، أتحب أن تجري مقابلاتك هناك يا عزيزي؟

وافقه بوارو: نعم؛ سيكون ذلك مريحاً جداً.

وقف ماكوين ينظر من رجل إلى آخر وهو غير قادر تماماً على تتبع دفق الكلمات الفرنسية بينهما، ثم بدأ كلامه بالفرنسية بصعوبة قائلاً: ما الأمر؟ ولماذا...؟

أوماً له بوارو بإشارة حازمة أن يجلس في المقعد في الزاوية، فجلس وتمالك نفسه وبدأ يتحدث بلغته هو: ما الذي يجري في القطار؟ هل حدث شيء؟

ثم نظر من رجل إلى آخر، فأوماً بوارو برأسه موافقاً وقال: بالضبط، لقد حدث شيء، ويجب أن تكون جاهزاً للخدمة. لقد مات مستخدمك السيد راتشيت!

زَمَّ ماكوين شفتيه وأطلق صفرة، وفيما عدا لمعان بسيط في عينيه فإنه لم يُظهر أية إشارة تدل على صدمة أو حزن. قال: إذن فقد نالوا منه أخيراً!

- ما الذي تعنيه بالضبط بعبارتك هذه يا سيد ماكوين؟

تردد ماكوين قليلاً، فقال بوارو: أفترض أن السيد راتشيت قد قُتل؟

- ألم يُقتل؟

هذه المرة بدا ماكوين مذهوشاً، ثم قال ببطء: نعم، هذا بالضبط ما ظننته. هل تعني أنه مات أثناء نومه؟ كيف وقد كان الرجل أقوى من...

ثم توقف إذ أعوزته التشبیه، فقال له بوارو: نعم، نعم. كان افتراضك صحيحاً جداً، لقد قُتل السيد راتشيت... طعن، ولكنني أود أن أعرف لِمَ كنت متأكداً من أنها جريمة قتل بالفعل وليست موتاً عادياً.

تردد ماكوين ثم قال: أود أن تكون الأمور واضحة لي. من أنت بالضبط؟ وما هو مكانك في هذا الأمر؟

قال بوارو: "إنني أمثل شركة الخطوط العالمية". وتوقف قليلاً ثم أضاف: أنا رجل تحرّ، واسمي هيركيول بوارو.

ولئن كان قد توقع أثراً لاسمه فإنه لم يحصل عليه، فكل ما قاله ماكوين هو: "آه، حقاً"، ثم انتظر أن يتابع بوارو حديثه.

- لعلك تعرف اسمي؟

- إنه يبدو مألوفاً نوعاً ما... إلّا أنني كنت أظنه اسم خياط نسائي.

نظر بوارو نحوه باشممتاز وقال: هذا غير معقول!

- ما هو غير المعقول؟

- لا شيء. دعنا نستمر في موضوعنا. أريدك أن تخبرني - يا سيد ماکوين - بكل ما تعرفه عن الرجل الميت. أكنت من أقربائه؟

- لا. أنا سكرتيه... أو بالأحرى كنت كذلك.

- كم مضى عليك في هذا العمل؟

- أكثر من سنة بقليل.

- أرجو أن تعطيني كل ما تستطيعه من معلومات.

- حسناً، قابلت السيد رانشيت قبل أكثر من سنة عندما كنت

في إيران...

قاطعة بوارو: ماذا كنت تفعل هناك؟

- ذهبت إلى هناك من نيويورك للنظر في امتياز نفطي، ولا أظنك تد أن تسمع عن كل تلك القصة، فقد خدعوني وزملائي. وكان السيد رانشيت في نفس الفندق وكان قد تشاجر مع سكرتيه فعرض عليّ العمل معه وقبلت، وقد سرني أن وجدت عملاً جاهزاً براتب جيد.

- وماذا فعلت منذ ذلك الوقت؟

- سافرت كثيراً؛ فقد أراد السيد رانشيت أن يرى العالم، وكان يعيقه عدم معرفته باللغات الأخرى. لقد عملت معه دليلاً سياحياً أكثر من عملي سكرتيراً، وكانت تلك حياة سارة.

- والآن أخبرني كل ما تستطيعه عن مُستخدِمك.

رفع الشاب كتفيه، وارتسمت على وجهه ملامح الحيرة، ثم قال: هذا ليس سهلاً.

- ما اسمه الكامل؟

- صاموئيل إدوارد رانشيت.

- أكان مواطناً أميركياً؟

- نعم.

- من أي جزء من أميركا؟

- لا أعلم.

- حسناً، أخبرني بما تعرفه.

- الحقيقة هي أنني لا أعلم شيئاً أبداً يا سيد بوارو! فالسيد رانشيت لم يتحدث عن نفسه أبداً، أو عن حياته في أميركا.

- ولمَ لمَ يفعل ذلك برأيك؟

- لا أعلم. تخيل إليّ أنه ربما كان حَجَلاً من بداية حياته، فبعض الناس يشعرون بذلك.

- وهل هذا احتمال معقول برأيك؟

- بصراحة، لا.

- هل له أقارب؟

- لم يذكر أي أقارب له.

بقي بوارو مركزاً على هذه النقطة: لا بد وأن لديك رأياً ما
ياسيد ماكوين.

- نعم، لدي رأي، فمثلاً لا أحسب أن راتشيت هو اسمه
الحقيقي، وأظنه ترك أميركا هارباً من شخص ما أو شيء ما، وأظن
أنه نجح في ذلك... حتى عدة أسابيع ماضية.

- وبعد ذلك؟

- بدأ يستلم رسائل... رسائل تهديد.

- هل رأيته؟

- نعم؛ فمن طبيعة عملي أن أتابع مراسلاته، وقد وصلت أول
رسالة قبل أسبوعين.

- وهل تم تمزيق هذه الرسائل؟

- لا أظن. أنا ما أزال أحفظ بائتين في سجلاتي، وقد مزق
راتشيت واحدة في ثورة غضب. أتريدي أن أحضر لك الرسالتين؟

- لو سمحت.

غادر ماكوين المقصورة وعاد بعد عدة دقائق ووضع ورقتين
متسختين أمام بوارو.

كان نص الرسالة الأولى كالتالي:

اعتقدت أنك تستطيع أن تخدعنا وتنجو بعملك،

أليس كذلك؟ لقد خاب ظنك. لقد خرجنا للإيقاع بك
بإراتشيت، وسوف نوقع بك.

لم يكن هناك أي توقيع، ولم يُد بوارو أي تعليق سوى أنه رفع
حاجبيه ثم تناول الرسالة الثانية:

سوف نأخذك في نزهة بإراتشيت. في وقت قريب،
وسوف نصطادك، أنفهم؟

وضع بوارو الرسالة جانباً وقال: إن الأسلوب مكرور، على
عكس الخط.

حدّق به ماكوين، فقال بوارو بابتهاج: لن تستطيع ملاحظة
ذلك؛ فهذا الأمر يحتاج إلى عين اعتادت هذه المسائل. إن هذه
الرسالة لم تُكتب من قِبل شخص واحد يا سيد ماكوين، بل لقد قام
شخصان أو أكثر بكتابتها بحيث يكتب كل واحد منهم حرفاً واحداً من
كل كلمة وبالتناوب، وعلاوة على ذلك فإن الحروف مكتوبة بشكل
متفصل، مما يجعل مهمة التعرف على الخط صعبة للغاية.

توقف قليلاً ثم قال: هل تعلم أن السيد راتشيت لجأ إلي طلباً
للمساعدة؟

- إليك أنت؟

تأكد بوارو، من نبرة صوت ماكوين المستغربة، من أنه لم يكن
يعلم بذلك، ثم أومأ برأسه وقال: نعم؛ لقد كان خائفاً. قل لي: ماذا
كان رد فعله عندما استلمت الرسالة الأولى؟

- من الصعب قول ذلك. لقد... لقد تجاهل الأمر ضاحكاً
بهذوته المعهود. ولكن لأمر ما...

ارتعش قليلاً ثم أضاف: شعرت بأن تحت ذلك الهدوء الكثير
من الأشياء.

أوما بوارو برأسه ثم سأل سؤالاً غير متوقع: سيد ماكوين، هلأ
أخبرتني - بكل صراحة - ماذا كان شعورك بالضغط تجاه مستخدمك؟
هل أحبيته؟

صمت هيكثور ماكوين لدقيقة أو اثنتين ثم قال أخيراً: لا، لم
أحبه.

- لماذا؟

- لا أستطيع الجزم بالضغط.

صمت قليلاً ثم قال: سأخبرك الحقيقة يا سيد بوارو. لقد كنتُ
أكرهه ولا أثق به، وأنا واثق من أنه كان رجلاً قاسياً وخطيراً، ولكن
عليّ أن أعترف بأنني لا أملك تعليلاً لرأيي هذا.

- شكراً لك يا سيد ماكوين. سؤال آخر: متى رأيت السيد
راتشيت حياً آخر مرة؟

- ليلة أمس في نحو...

فكر قليلاً ثم قال: أستطيع أن أقول في الساعة العاشرة، حيث
ذهبت إلى مقصورته لتدوين بعض الملاحظات له.

- عن أي موضوع؟

- عن بعض البلاط والفخاريات الأثرية التي اشتراها من بلاد
فارس، فالضاعة التي وصلت لم تكن هي التي اشتراها، وقد جرت
مراسلات طويلة وساخنة حول الموضوع.

- وهل هذا هو آخر وقت شوهد فيه السيد راتشيت على قيد
الحياة؟

- نعم، أفترض ذلك.

- هل تعلم متى استلم السيد راتشيت آخر رسالة تهديد؟

- في صباح اليوم الذي غادرنا فيه إسطنبول.

- لدي سؤال آخر أريد طرحه عليك يا سيد ماكوين: هل كنت
على علاقة جيدة مع مستخدمك؟

فجأة لمعت عينا الشاب وقال: هذا هو السؤال الذي يفترض أن
ترتعد له فرائصي. ولكن كما تقول الروايات البولييسية الناجحة: "ليس
عندك ما يدينني". لقد كنت أنا وراتشيت على علاقة طيبة جداً.

- أرجو - يا سيد ماكوين - أن تكتب اسمك كاملاً وعنوانك
في أميركا.

كتب ماكوين اسمه وعنوانه في نيويورك، فانتكأ بوارو إلى
الخلف وقال: هذا كل ما لدينا الآن يا سيد ماكوين، وأرجو أن
تحتفظ بخير موت السيد راتشيت لنفسك في الوقت الحاضر.

- ولكن لا بد من أن يعرف خادمه ماسترمان.

قال بوارو بحفاة: لعله على علم الآن. وإذا كان الأمر كذلك فلا تَدَعُهُ يتكلم.

- لن يكون ذلك صعباً؛ فهو بريطاني ويعرف كيف يمسك لسانه كما يقول. إن احترامه للأمير كان قليلاً وليس لديه احترام لاية جنسية أخرى.

- شكراً لك يا سيد ماكوين.

غادر الأميركي المقصورة، وقال السيد بوك: حسناً، ماذا؟ هل تصدق ما يقوله هذا الشاب؟

- يبدو صادقاً وصريحاً؛ إذ لم يتظاهر بأية مودة تجاه مستخدمه كما كان من شأنه أن يفعل لو كان متورطاً في هذا الأمر. ويبدو أن السيد رانثيت لم يخبره فعلاً بأنه حاول أن يوظف خدماتي وفشل في ذلك! ولكن لا أظن أن هذا الأمر يحيطه بالشكوك، وأظن أن السيد رانثيت كان رجلاً يحتفظ بأموره الخاصة لنفسه كلما أمكن ذلك.

قال السيد بوك بسرور: إذن فأنت تعلن براءة شخص واحد على الأقل من الجريمة؟

نظر إليه بوارو نظرة تأنيب وقال: "أنا أشك في كل شخص حتى اللحظة الأخيرة". ثم أضاف: ولكني -مع ذلك- أعترف بأنني لا أستطيع أن أتخيل ماكوين الواعي والذكي فاقداً عقله يطعن ضحيته اثنتي عشرة أو أربع عشرة مرة؛ فهذا لا يتناسب نفسه أبداً.

قال السيد بوك مفكراً: نعم؛ لقد كان ذلك عمل رجل دفع إلى درجة الجنون نتيجة حقد أعمى، وهذا يعكس مزاجاً أقرب للمزاج اللاتيني، أم أنه يوحي بأن القاتل امرأة، كما يشير صاحبنا مسؤول الفطار.

* * *

ذلك، ولكن، إن كان هذا صحيحاً، فقد أخفق القاتل في هدفه هذا بسبب الثلوج.

فحص إطار النافذة بحرص ثم أخرج علبة صغيرة من جيبه ونفخ بعض المسحوق عليها ثم قال: لا توجد بصمات أبداً، مما يعني أنها قد مسحت. وحتى لو وجدت بصمات فلن نخبرنا إلا بالقليل، فهي إما أن تكون بصمات السيد رانشيت أو خادمه أو مسؤول التذاكر، فالمجرمون لا يتركون مثل هذه الأخطاء في أياها هذه.

ثم أضاف مسروراً: وبما أن الأمر كذلك فمن الأفضل أن نغلق النافذة. إنه مخزن بارد هنا بالفعل.

ثم قام بإغلاق النافذة فعلاً وحول انتباهه، وللمرة الأولى، نحو الجسد الذي لا يتحرك على السرير.

كان رانشيت ممدداً على ظهره وعلى سترة نومه بقع حمراء، وكانت الأزرار مفككة وقد تكشفت السترة عن صدره.

أوضح له الطبيب قائلاً: كان عليّ أن أرى طبيعة الجراح كما تعلم.

أوما بوارو برأسه موافقاً ومال فوق الجثة، ثم انتصب وفقاً وهو يعبس قليلاً وقال: ليس بالمنظر الجميل. لا بد وأن أحدهم وقف هنا وطقنه مرة بعد أخرى. كم عدد الجراح بالضبط؟

- اعتبرتها اثني عشر جرحاً، بالإضافة إلى جرح أو اثنتين طفيفتين للدرجة يمكن معها اعتبارهما خدشين بسيطين. وبالمقابل توجد ثلاثة جراح على الأقل يمكن لأي واحد منها أن يسبب الموت.

الفصل السابع الجثة

شق بوارو طريقه إلى العربة التالية يتبعه الدكتور كوستانتين، ثم إلى المقصورة التي كان يشغلها الرجل المقتول، وجاء مسؤول التذاكر وفتح لهما الباب بمفتاحه.

دخل الرجلان والتفت بوارو نحو صديقه مستفسراً: هل تم تغيير شيء في هذه المقصورة؟

- لم يلمس شيء، وقد كنت خريصاً على ألا أحرك الجثة أثناء فحصي.

هز بوارو رأسه ونظر حوله. كان أول شيء يُحس به المرء هو البرد القارس، فقد كانت النافذة مفتوحة إلى آخرها والستائر مسحوبة. ارتجف بوارو من البرد، فابتسم الآخر متفهماً وقال: لم أشأ أن أغلقها.

فحص بوارو النافذة بحرص ثم قال: أنت على حق. لم يغادر أحد العربة من هذا الطريق. ربما أريد من فتح النافذة أن يعتقد المرء

شيء ما في نبرة الطبيب لفت انتباه يوارو فنظر نحوه بحدة.
كان اليوناني الضئيل واقفاً محدقاً إلى الأسفل نحو الجثة وقد بدت
على وجهه نظرة حيرة، فسأله يوارو برقة: شيء ما يبدو لك غريباً،
أليس كذلك؟ تكلم يا صديقي، أوجد شيء يحيرك؟

اعترف الآخر قاتلاً: أنت على حق.

- ما الأمر؟

أوضح قاتلاً وهو يشير بيده: أترى هذين الجرحين، هذا
وهذا؟ إنهما عميقان، ولا بد من أن كل واحد منهما قد قطع بعض
الشرايين، ولكن -على الرغم من ذلك- فإنهما غير مفتوحين ولم
ينزفاً كما يتوقع المرء لهما.

- وعلى ماذا يدل هذا؟

- يدل على أن الرجل كان قد مات قبل مدة من توجيه هاتين
الطعنتين إليه، ولكن هذا يبدو شاذاً جداً.

قال يوارو مفكراً: نعم، يبدو الأمر كذلك. إلا إذا فكر القاتل
أنه لم ينجز مهمته على الوجه الأكمل فعاد ليتأكد من الأمر. ولكن
هذا يبدو غير معقول أبداً. هل من شيء آخر؟

- أمر واحد.

- وهو؟

- أترى هذا الجرح هنا أسفل الذراع الأيمن قرب الكتف؟ خذ
قلمي هذا. هل تستطيع أن توجه مثل هذه الطعنة؟

رفع يوارو يده وقال: لقد فهمت؛ إنها ضربة صعبة جداً باليد
اليمنى وتكاد تكون مستحيلة، على المرء أن يضرب ويده ملوثة
للمخلف. أما إذا وُجّهت الضربة باليد اليسرى...

- تماماً يا سيد يوارو. من المؤكد تقريباً أن هذه الضربة أنجزت
باليد اليسرى.

- قاتلنا أعسر إذن؟ إلا أن الأمر أعقد من هذا، أليس
كذلك؟

- كما قلت يا سيد يوارو: إن بعض الضربات الأخرى كانت
يعينية بكل وضوح.

نعم يوارو: "شخصان؟ لقد عدنا إلى نظرية الشخصين من
جديداً". ثم سأل فجأة: هل كان النور مُضاء؟

- يصعب الجزم بذلك؛ فمسؤول التذاكر يطفى الأنوار عادة
في العاشرة من كل صباح.

قال يوارو: ستخبرنا مفاتيح الإضاءة عن ذلك.

فحص مفتاح الضوء العلوي ومفتاح ضوء السرير فكانا مغلقين.
قال مفكراً: لدينا هنا فرضية القاتل الأول والقاتل الثاني كما كان من
شأن شكسبير العظيم أن يسميها. طعن القاتل الأول ضحيته وأطفأ
النور وغادر المقصورة، ثم أتى القاتل الثاني في الظلام ولم يعلم
(أو تعلم...) أن العمل قد أنجز، فطعن على الأقل مرتين في جثة
ميتة. هل يفسر هذا الأمر؟

قال الطبيب بشيء من الحماسة: عظيم.

لمعت عينا بوارو وقال: أنتظن ذلك؟ أنا سعيد بهذا، ولكن يبدو لي أن هذا التحليل هراء.

- وهل يوجد تحليل آخر؟

- هذا ما أسأل عنه نفسي، هل لدينا هنا صدفة أم ماذا؟ وهل سنجد المزيد من المتناقضات التي تشير إلى تورط شخصين في الموضوع؟

- أظنتي أستطيع الجواب بالإيجاب؛ فكما قلت لنوي: إن بعض هذه الضربات تشير إلى ضعف... إلى نقص إما في القوة أو في العزيمة، لقد كانت ضربات ضعيفة جداً. أما هذه هنا، وهذه أيضاً، فإن قوة كبيرة كانت وراءها، إذ أنها اخترقت العضلات.

- إذن هي ضربات رجل برّيك؟

- بالتأكيد.

- ألا يمكن أن تكون امرأة فعلت ذلك؟

- ربما، إذا كانت شابة رياضية قوية، وخاصة إذا كانت تحت تأثير فورة عاطفية جامحة. ولكن هذا في رأيي بعيد الاحتمال.

صمت بوارو لفترة، ثم قال الطبيب بقلق: هل تفهم قصدي؟

- تماماً، فالمسألة بدأت ببايضاح نفسها بشكل رائع! كان القاتل رجلاً يمتلك قوة كبيرة... وكان ضعيفاً... وكانت امرأة...

وكان شخصاً يستعمل يده اليمنى... وكان شخصاً أعسر...

ثم قال بغضب مفاجئ: والصحية... ماذا يفعل أثناء ذلك؟ هل يصرخ؟ هل يقاوم؟ هل يدافع عن نفسه؟

مذ يده أسفل الوسادة وسحب المسدس الذي أراه إياه رانثيت في اليوم الماضي، ثم قال: أترى؟ إنه مليء تماماً بالرصاص.

نظرا حولهما. كانت ملابس رانثيت النهارية معلقة على الحائط، وعلى غطاء المغسلة (والذي يؤدي دور طاولة صغيرة) كانت عدة أشياء: طبق أسنان في كأس ماء، وكأس أخرى فارغة، وزجاجة مياه معدنية، ومنفضة تدخين تحتوي على عقب سيجار ورماد ورقة محترقة وعودي ثقاب محترقين.

تناول الطبيب الكأس الفارغة وشتمها ثم قال بهدوء: هذا هو التفسير وراء كسل الضحية.

- هل خُذِر؟

- نعم.

هز بوارو رأسه وتناول عودَي الثقاب وتضمن بهما بدقة، فقال الطبيب بشغف: لذلك دليل إذن؟

قال بوارو: هذان العودان لهما من شكل واحد؛ أحدهما أرقُ من الآخر. أترى؟

- إنه من النوع الذي يمكن الحصول عليه على القطار، ذو غطاء كروتوني.

بدأ بوارو يفتش جيوب ملابس راتشيت ثم أخرج من إحداها علبة ثقاب وقارن الاثنين بدقة ثم قال: العود الأغلظ استعمله راتشيت. دعنا ننظر إن كان لديه ثقاب من النوعية الرقيقة أيضاً.

إلا أن المزيد من البحث لم يُسفر عن العثور على ذلك النوع.

كانت عينا بوارو تجولان عبر المقصورة، وكانتا لامعتين وحادتين كعيني طائر، ويشعر المرء أنه لا شيء سيفوت فحصهما. ثم انحنى وقد صدر عنه صوت ينم عن الدهشة والتقط شيئاً عن الأرض. كان منديلاً صغيراً مربعاً جميلاً.

قال الطبيب: لقد كان صديقنا مسؤول القطار على حق إذن، فامرأة على علاقة بهذا الأمر.

أجابه بوارو: وهي تترك منديلها خلفها بكل هذه البساطة؟ تماماً كما يحدث في الكتب والأفلام! وحتى تجعل الأمور أسهل علينا فإن المنديل مُعلَّم بأول حرف من اسم صاحبه.

قال الطبيب: يا لها من ضربة حظ لنا!

- أليس كذلك؟

شيء ما في نبرة بوارو أدهش الطبيب، ولكن قبل أن يطلب توضيحاً انحنى بوارو مرة أخرى على الأرض، وفي هذه المرة وقف وهو يحمل في كفه مظف غليون.

سأله الطبيب: أيمن أن يكون هذا للسيد راتشيت؟

- لم يكن في جيوبه أي غليون ولا تبغ ولا محفظة للتبغ.

- أهو دليل إذن؟

- آه، بالتأكيد! ومرة أخرى سقط سهواً لتسهيل الأمر علينا. ولكنه - في هذه المرة - دليل علي رجل كما تلاحظ. وبهذا لا يستطيع المرء أن يشكو من قلة الأدلة في هذه القضية؛ فالدلائل هنا متوفرة بكثرة. بالمناسبة، ماذا فعلت بسلح الجريمة؟

- لم أجد هنا أي إشارة تدل على السلاح. لا بد وأن القاتل قد أخذه معه.

تساءل بوارو متأملاً: أتعجب لماذا.

مضى الطبيب يستكشف جيوب ملابس ثوم القاتل بحذر، ثم قال: آه! لم أتنبه إلى هذا حين حللت أزرار السترة وكشفتها عن الصدر.

ومن الجيب العلوي عند الصدر أخرج ساعة ذهبية. كانت محطمة بعنف وعقاربها تشير إلى الواحدة والربع. وصاح كونستانتين بلهفة: أترى؟ إنها تدلنا على وقت حدوث الجريمة، وهو مطابق لحساباتي! فقد قلْتُ إنها وقعت بين منتصف الليل والثانية صباحاً، وربما نحو الواحدة، إلا أنه من الصعب أن يكون المرء دقيقاً في هذه الأمور. هذا هو الإثبات... الواحدة والربع هي ساعة وقوع الجريمة.

- نعم، هذا محتمل... إنه محتمل بالتأكيد.

نظر إليه الطبيب باستغراب وقال: أرجو أن تعذرني يا سيد
بوارو، ولكنني لا أفهمك تماماً.

- إنني لا أفهم نفسي، إنني لا أفهم شيئاً أبداً. وكما تلاحظ
فإن هذا يقلقني.

تنهد ثم انحنى فوق الطاولة الصغيرة يتفقد أجزاء الورقة
المحترقة، ثم تنهت لنفسه: ما أريد في هذه اللحظة هو صندوق
قبة تسائية من الطراز القديم.

احترار الدكتور كونستانتين كيف يفسر هذه الملاحظة، وعلى
أية حال فإن بوارو لم يسهله حتى يسأل أسئله إذ فتح باب الممر
وتنادى مسؤول التذاكر.

وصل الرجل راكضاً فسأله بوارو: كم عدد النساء في هذه
العربة؟

بدأ المسؤول يعد على أصابعه: واحدة، اثنتان، ثلاث...
ستاً يا سيدي، المرأة الأميركية والسيدة السويدية والشابة الإنكليزية
والكونتيسة أندريني والأميرة دراغومبروف وخادماتها.

فكر بوارو للحظة ثم قال: لديهن جميعاً صناديق قبعات،
أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي.

- إذن أحضر لي... دعني أفكر... نعم، صندوق السيدة
السويدية وصندوق الخادمة. هاتان هما أملنا الوحيد. أخبرهما أن

التعليمات الجمركية تتطلب ذلك، أو أي شيء يخطر ببالك.

- لا بأس يا سيدي؛ فهما ليستا في مقصورتهما الآن.

- أسرع إذن.

غادر مسؤول التذاكر، ثم عاد ومعه الصندوقان. فتح بوارو
صندوق الخادمة ثم رماء جانباً، ثم فتح صندوق السيدة السويدية
وتتمت عبارة تدل على الارتياح. أزاح القبعات بحرص وكشف عن
هيكل قبة من الشبك المصنوع من الأسلاك.

- آه، هذا ما أريده! كانت صناديق القبعات تصنع بهذا الشكل
قبل خمس عشرة سنة، حيث تُخزّن القبة وتثبت على قبة الأسلاك
باستخدام مخزخ القبعات.

وفيما كان يتحدث أزاح -بحرص- قبعتين مثبتتين في
الصندوق، ثم أعاد ترتيب صندوق القبعات وطلب من مسؤول
التذاكر أن يعيد الصندوقين إلى صاحبيتهما.

عندما أغلق الباب التفت نحو رفيقه وقال: انظر إلي يا عزيزي
الطبيب، فإني لست متأكد من يعتمدون على إجراءات الخبراء في العادة.
إن ما أبحث عنه هو الأمور النفسية، وليس البصمات وما يشبهها من
أدلة مادية... أما في هذه القضية فإني أرحب ببعض المعونة العلمية.
إن هذه المقصورة مليئة بالأدلة، ولكن هل أستطيع أن أكون متأكداً
من أنها أدلة حقيقية؟

- أنا لا أفهمك تماماً يا سيد بوارو.

- حسناً. سأعطيك مثلاً: لقد عثرنا على منديل نسائي، فهل سقط من امرأة؟ أم أن رجلاً ارتكب الجريمة وقال في نفسه: "سأجعل هذه تبدو وكأنها جريمة قامت بها امرأة"، سأطعن ضحيتي عدداً غير ضروري من المرات وأجعل بعض الضربات واهنة وغير مؤثرة. وسأسقط هذا المنديل بحيث لا يستطيع أي إنسان إلا أن يراه؟ هذا احتمال، ولكن يوجد احتمال آخر: هل قتلته امرأة وأسقطت عود تنظيف الغليون عائدة لتظهر الجريمة على أنها جريمة قام بها رجل؟ أم هل نستطيع أن نفترض بكل جدية - أن شخصين... رجلاً وامرأة... متورطان في هذا الأمر، كلٌّ على حدة، وأن كل واحد منهما كان قبل الحرس لدرجة أنه أسقط دليلاً يدل على هويته؟ إن هذا أكثر من أن يكون مجرد صدفة!

سأل الطبيب متحيراً: ولكن ما علاقة صناديق القبعات بالأمور؟

- آه، سأصل إلى هذه النقطة. ولكن كما كنت أقول، هذه دلائل: الساعة التي توقفت في الواحدة والربع، والمنديل، ومنظف الغليون... قد تكون جميعاً أدلة حقيقية أو قد تكون مُختلفة، ولا أستطيع أن أجزم الآن. إلا أنني أرى دليلاً واحداً أعتقد أنه ليس مختلفاً (ومرة أخرى، قد أكون مخطئاً) وأعني بذلك عود الثقاب المسطح هذا يا سيدي الطبيب. أظن أن هذا الثقاب لم يستعمله السيد راتشيت، بل القاتل هو الذي استعمله لإحراق ورقة قد تُدبِّنه، وربما كانت ملاحظة من نوع ما. فإن كان الأمر كذلك فقد كان في تلك الملاحظة شيء ما... خطأ ما قد يعطي دليلاً ضد القاتل، وسأحاول أن أجِد ما هو ذلك الشيء.

خرج من المقصورة ثم عاد بعد عدة دقائق وهو يحمل سحّاناً صغيراً يعمل بالكحول وملقطاً معقوفاً. قال متحدثاً عن الملقط: إنني استعمله لشاربي.

راقب الطبيب باهتمام شديد وهو ييسط قُتَيْتِي السلك الشبكي. ثم، وبعبارة فائقة، وضع قطعة الورقة المحترقة على إحداهما ووضع الأخرى فوقهما وأمسك الاثنتين معاً بالملقط ووضع المجموعة فوق نار السخان.

قال وهو يلتفت إلى صاحبه: إنها عملية بديلة مؤقتة، ولنأمل أنها ستفي بالغرض.

راقب الطبيب سير العملية بانتباه. وقد بدأ المعدن يتوهج، وفجأة رأى حروفاً باهتة ثم بدأت الكلمات تتشكل ببطء... كلمات من نار. كان ذلك جزءاً صغيراً من ورقة محترقة ولم تظهر سوى ثلاث كلمات وجزء من كلمة أخرى: "...سُكَّر ديزي أرمسترونغ الصغيرة".

صاح بوارو بحدة: آه!

سأل الطبيب: هل تخبرك بشيء؟

وضع بوارو الملقط جانباً بحذر وعينه تلمعان، ثم قال: نعم. إنني أعرف الاسم الحقيقي للرجل الميت، وأعرف لماذا اضطر إلى مغادرة أميركا.

- وماذا كان اسمه؟

- كاسيتي.

قطب كونستانتين حاجبيه وقال: كاسيتي؟ إن هذا يذكرني بشيء حدث قبل عدة سنوات. لا أذكر... كانت قضية في أميركا، أليس كذلك؟

- بلى * قضية في أميركا.

ما عدا ذلك لم يكن بوارو مستعداً للخوض في الكلام. نظر حوله وهو يتابع كلامه: ستحدث في ذلك لاحقاً. دعنا نتأكد أولاً من أننا رأينا كل ما يجب علينا أن نراه.

فتش جيوب ملابس الرجل الميت مرة أخرى بسرعة ورشاقة ولكنه لم يجد شيئاً ذا أهمية. وحاول فتح الباب الذي يصل إلى المقصورة التالية إلا أنه كان مقفلاً من الجهة المقابلة.

قال الدكتور كونستانتين: هنا شيء لا أفهمه. إذا لم يهرب القاتل من خلال النافذة، وإذا كان هذا الباب بين المقصورتين مقفلاً من الجهة الأخرى، وإذا كان باب الممر مقفلاً من الداخل (ليس هذا فحسب، بل ومغلقاً بالسلسلة)، فكيف غادر القاتل المقصورة إذن؟

- هذا ما يقوله جمهور المشاهدين عندما توثق يدا ورجلا رجل ويوضع في خزانة... ثم يختفي!

- أتعني...؟

أوضح بوارو قائلاً: أعني أنه إذا أراد لنا القاتل أن نعتقد أنه

قد هرب عن طريق النافذة فمن الطبيعي أن يجعل شكل الخروج من المخرجين الآخرين مستحيلاً. إنها خدعة، وعملنا هو أن نعرف كيف قام بهذه الخدعة.

أقفل الباب الذي يصل بين المقصورتين من جهته ثم قال: كيلا تفكر السيدة هوبارد الممتازة بالحصول على تفاصيل مباشرة عن الجريمة وتكتب لابنتها عنها.

نظر حوله مرة أخرى ثم قال: لا أحسب أن لدينا شيئاً آخر نفعله هنا. دعنا ننضم إلى السيد بولك.

- هل تذكر أنك قرأت شيئاً عن الطفلة أرمسترونغ؟ هذا هو الرجل الذي قتل الطفلة دبزي أرمسترونغ... إنه كاسيتي.

- أتذكر الآن. لقد صُدم الجميع بالنيا... ولكنني لا أتذكر التفاصيل.

- كان العقيد أرمسترونغ ضابطاً إنكليزياً ويحمل وسام صليب فكتوريا، وكانت أمه أميركية وهي ابنة فان دير هالت، المليونير الشهير في شارع وول ستريت. وقد تزوج ابنة ليندا أردن، وهي أشهر ممثلة تراجيديا أميركية في وقتها، ثم عاشا في أميركا ورزقا ابنة وحيدة أحباها حباً عظيماً، ثم اختطفَت الطفلة عندما كان عمرها ثلاث سنوات وطُلبت فدية كبيرة جداً لقاء إعادتها، لن أشغلك بكل التعقيدات التي تبعت ذلك، بل سأذكر لك أنه بعد دفع مبلغ كبير (وهو مئتا ألف دولار) اكتشفت جثة الطفلة المقتولة قبل أسبوعين من ذلك على الأقل. وقد استشاط الجمهور غضباً لذلك، إلا أن الأمور ازدادت سوءاً، فعندما سمعت الأم بالنيا صُدمت ووضعت قبل أوانها طفلاً ميتاً، ثم ماتت هي الأخرى بعد ذلك، فأطلق الزوج المحزون النار على نفسه.

قال السيد بوك: يا لها من مأساة! إنني أتذكر الآن، وقد مات شخص آخر إذا لم تختِ الذاكرة.

- نعم؟ مربية فرنسية أو سويسرية تعسة الحظ، إذ كان الشرطه مقتنعين بأنها كانت تعرف شيئاً عن الجريمة، وقد رفضوا تصديق إنكارها الهستيري. وأخيراً، وبينما كانت في حالة يأس، رمت المسكينه نفسها من النافذة وماتت. ثم ثبت أخيراً أنها كانت بريئة

الفصل الثامن

قضية اختطاف أرمسترونغ

وجدا السيد بوك ينهي طبقاً من البيض فيادهرما قائلًا: وجدت من الأفضل أن نَقْدَم الغداء فوراً في عربة المطعم، ثم نخليها بعد ذلك حتى يتسنى للسيد بوارو أن يُجري مقابلاته مع الركاب هناك. وقد أمرت - في الوقت الحاضر - أن يجلبوا لنا نحن الثلاثة طعامنا هنا.

قال بوارو: فكرة ممتازة.

لم يكن الاثنان جاععين فانتهم الوجبة بسرعة، ولم يذكر السيد بوك الموضوع الذي يشغل بالهم جميعاً إلا عندما بدؤوا يحتسون القهوة، إذ سأل: حسناً، ماذا حصل؟

قال بوارو: لقد اكتشفت هوية الضحية، وأعلم لماذا كان يجب عليه أن يغادر أميركا.

- من هو؟

تماماً من أية علاقة بالجريمة.

قال السيد بوك: لا يُستحسن أن يفكر المرء في تلك القضية.

- بعد نحو ستة شهور أُلقي القبض على كاسيتي هذا على أنه زعيم العصابة التي اختطفت الطفلة. وكانوا قد استعملوا نفس الأسلوب في جرائم سابقة، حيث يقتلون رهيتهم إذا وجدوا أن الشرطة على وشك اقتفاء أثرهم ويخفون الجثة ويستمرون في المطالبة بأكثر فدية ممكنة قبل أن تُكتشف الجريمة. والآن سأوضح لك شيئاً يا صديقي، لقد كان كاسيتي هو ذلك المجرم بالفعل، إلا أنه (وبسبب وفرة نفوذه التي جمعها وبسبب تحكمه الخفي في بعض ذوي السلطة) فقد أطلق سراحه استناداً إلى خطأ فني ما. ومع ذلك، كان من شأن الجمهور أن يشكك لولا أنه كان من الذكاء بحيث احتفى عن الأنظار. لفتحه أصبح واضحاً لي الآن ما الذي حدث: لقد غير اسمه وغادر أميركا، ومنذ ذلك الوقت صار رجلاً مترفاً يشغل في الخارج ويعيش على ما سبق له جمعه.

قال السيد بوك بنية تملئ استمزازاً صادقاً: آه، يا له من وحش! لا أستطيع التأسف لموته... أبداً.

- أنفق معك.

- ومع ذلك، لم يكن من الضروري أن يُقتل على متن قطار الشرق السريع، إذ توجد أماكن أخرى!

ابشتم بوارو قليلاً وقد أدرك أن السيد بوك متحيز في هذه القضية وقال: إن السؤال الذي يجب علينا أن نطرحه على أنفسنا هو:

هل هذه الجريمة هي من فعل عصابة أخرى معادية خدعها كاسيتي في الماضي، أم أنها انتقام شخصي؟

ثم شرح لصديقه اكتشافه للكلمات القليلة على قطعة الورق المحترقة وقال: إن كنت مُحققاً في افتراضاتي، فإن القاتل هو الذي أحرق تلك الورقة. لماذا؟ لأن بها ذكر كلمة أرمسترونغ، وهي دليل على هذه الجريمة الغامضة.

- أما يزال في عائلة أرمسترونغ من هو على قيد الحياة؟

- للأسف، لا أعرف ذلك، ولكن أظني أذكر أنني قرأت مرة عن أخت صغرى للسيدة أرمسترونغ.

استمر بوارو يشرح له استنتاجاته المشتركة مع الطبيب كونستانتين، وقد سُر السيد بوك لذكر الساعة المحطمة وقال: يبدو أن هذا يعطينا وقت حدوث الجريمة بالضبط.

قال بوارو: نعم؛ إن هذا مريع للغاية.

كان في نبرته شيء جعل الآخرين ينظرون إليه بفضول. وسأله السيد بوك: ألم تقل إنك سمعت بنفسك راتشيت يتحدث إلى مسؤول التذاكر في الواحدة إلا عشرين دقيقة؟

قَصَّ عليهما بوارو ما حدث وقتها، فقال السيد بوك: إذن فهذا يثبت على الأقل أن كاسيتي (أو راتشيت كما سأستمر في تسميته) قد كان حياً بالتأكيد في الواحدة إلا عشرين دقيقة.

- وحتى أكون دقيقاً: في الواحدة إلا ثلاث وعشرين دقيقة.

- فإذا ما استعملنا الصيغة الرسمية إذن قلنا إن السيد رانشيت كان حياً في الثانية عشرة وسبع وثلاثين دقيقة. لدينا حقيقة واحدة على الأقل.

لم يُجب يوارو بل جلس ينظر أمامه مفكراً. ثم طُرق الباب ودخل مسؤول المطعم قائلاً: عربة المطعم فارغة الآن يا سيدي.

قال السيد بوك وهو ينهض: سنذهب إلى هناك.

سأل كونستانتين: أيمكن أن أرافقكما؟

- بالتأكيد أيها الطيب العزيز، إلا إذا كان لدى السيد يوارو أي اعتراض.

قال يوارو: أبداً، أبداً.

ثم غادروا المقصورة بعد تبادل عبارات السلوك المهذب في مسألة أسبعية الخروج منها.

* * *

الجزء الثاني

الدليل

الفصل الأول

إفادة مسؤول التذاكر

كان كل شيء جاهزاً في غرفة المطعم.

جلس بوارو والسيد بوك على جانب واحد من إحدى الطاولات وجلس الطيب على طاولة أخرى عبر الممر، وكان مخطط لغرفة إسطنبول - كاليه على الطاولة أمام بوارو وقد كُتبت عليه أسماء المسافرين بالحبر الأحمر، وكانت جوازات السفر والتذاكر موضوعة في جانب وعلى الجانب الآخر ورق للكتابة وقلم وحبر وأقلام رصاص.

قال بوارو: ممتاز؛ نستطيع أن نفتتح محكمة تحقيقنا دون أي تأخير. أظن أن علينا - أولاً - أن نأخذ شهادة مسؤول التذاكر، ولعلك تعرف شيئاً عن الرجل، فما هي شخصيته؟ وهل هو من النوع الذي تثق بكلامه؟

أجاب بوك: أستطيع أن أقول: "نعم" بكل تأكيد. إن بيير ميشيل موظف لدى الشركة منذ خمس عشرة سنة، وهو فرنسي يعيش قرب

كاليه وهو صادق ومُحترم جداً، على الرغم من أنه ليس مشهوراً
بذكائه.

هز بوارو رأسه مستوعباً وقال: جيد، هل يمكن أن أراه.

كان بير ميشيل قد استعاد بعضاً من رباطه جاشه إلا أنه كان
ما يزال متوتراً. قال بقلق وعيناه تنتفلان بين بوارو والسيد بوك: أتمنى
ألا يعتقد سيدي أن أي تقصير قد وقع مني... إن ما حصل أمر فظيع
بالفعل.

هذا بوارو من روع الرجل ثم بدأ أسئلته. في البداية سأله عن
اسمه وعنوانه والمدة التي أمضاها في الخدمة والمدة التي أمضاها منذ
بدأ عمله على هذا الخط بالذات. كان يعرف هذه المعلومات مسبقاً
إلا أن الأسئلة الروتينية ساعدت على تهدئة الرجل، وبعد ذلك تابع
بوارو حديثه قائلاً: والآن دعنا نتحدث أحداث الليلة الماضية. متى
ذهب السيد راتشيت إلى فراشه؟

- بعد العشاء مباشرة يا سيدي، قبل أن تغادر بلغراد. وقد فعل
كما فعل في الليلة قبل الماضية حيث طلب إليّ أن أعد سريريه بينما
كان يتناول عشاءه، وقد فعلت ذلك.

- هل دخل أحد إلى مقصورته بعد ذلك؟

- خادمه يا سيدي، وسكرتيه الشاب الأمريكي.

- هل من أحد غيرهما؟

- لا يا سيدي، ليس على حد علمي.

- جيد، وهل هذا آخر ما رأيته وسمعت منه؟

- لا يا سيدي. لعلك نسيت أنه قرع جرسه في نحو الواحدة
إلا عشرين دقيقة، بعد أن توقفنا بقليل.

- وماذا حدث بالضبط؟

- طرفت الباب، إلا أنه نادى من الداخل قائلاً إنه قد أخطأ
في قرع الجرس.

- هل تحدثت بالإنكليزية أم بالفرنسية؟

- بل بالفرنسية.

- ماذا كانت كلماته بالضبط؟

- قال بالفرنسية: "لا يوجد شيء؛ كان ذلك خطأ مني".

قال بوارو: صحيح تماماً؛ هذا ما سمعته أنا. ثم ذهبت بعد
ذلك؟

- نعم يا سيدي.

- هل عدت إلى مقعدك؟

- لا يا سيدي، بل ذهبت لأرّد على جرس آخر كان قد قرع
لثوّه.

- والآن يا ميشيل، أود أن أسألك سؤالاً مهماً: أين كنت في
الواحدة والربع؟

- أنا يا سيدي؟ كنت في مقعدي الصغير في نهاية الممر.

- أأنت متأكد؟

- نعم، أو أنني على الأقل...

- نعم؟

- ذهبت إلى العربة التالية، عربة أثينا، لأنكلم مع زميلي هناك.
تحدثنا عن الثلج، وكان ذلك بعد الساعة الواحدة بقليل، لا أستطيع
أن أحدد بالضبط.

- متى عدت؟

- قُرْع جرس في عرشي يا سيدي، وأذكر أنني أخبرتك. كانت
السيدة الأميركية، وقد قرعت الجرس عدة مرات.

قال بوارو: أذكر هذا. وبعد ذلك؟

- بعد ذلك يا سيدي؟ أجبت على جرمك وأحضرت لك
بعض المياه المعدنية، ثم بعد نحو نصف ساعة أعددت سرير إحدى
المقصورات؛ مقصورة انشاب الأميركي، سكرتير السيد راتشيت.

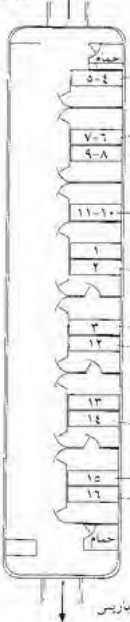
- هل كان السيد ماكويين وحده في مقصورته عندما ذهبت
لإعداد سريريه؟

- كان معه العقيد الإنكليزي من المقصورة ١٥، وكانا
يتحدثان.

- ماذا فعل العقيد عندما ترك السيد ماكويين؟

- عاد إلى مقصورته.

إلى عربة المطعم



إدوارد ماسترمان
أنطونيو فوسكاريلي

هكتور ماكويين

هيلدا غارد شبيت

غريتا أولسون
مازي دينهام

هيراكيول بوارو

صامويل راتشيت

كارولين هوبارد

الكونتيسة أندريه

الكونت أندريه

الأميرة دراغوميروف

العقيد أريونوت

سايروس هاردمان

إلى عربة أثينا-باريس

مقعد مسؤول التذاكر

- رقم ١٥، إنها قريبة جداً من مقعدك، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي؛ إنها المقصورة الثانية من ذلك الطرف من
الممر.

- هل كان سريريه معداً؟

- نعم يا سيدي؛ كنتُ قد أعددتُه وهو يتناول عشاءه.

- متى حدث كل ذلك؟

- لا أستطيع أن أخبرك بالضبط يا سيدي، ولكن ليس بعد
الثانية بكل تأكيد.

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك يا سيدي جلستُ في مقعدي حتى الصباح.

- هل ذهبت إلى عربة أثينا مرة أخرى؟

- لا يا سيدي.

- ربما غفوت؟

- لا أظن ذلك يا سيدي؛ فكون القطار واقفاً متعني من الإغفاء
كما يحصل معي عادة.

- هل رأيت أياً من الركاب يتحرك عبر الممر؟

- فكر الرجل قليلاً ثم قال: أظن أن إحدى السيدات قد ذهبت
إلى الحمام في الجانب الأبعد من الممر.

- أي سيدة؟

- لا أعلم يا سيدي. كانت في نهاية الممر وكان ظهرها لي،
وكانت تلبس عباءة قرمزية وعليها رسوم التين.

- أوماً بوارو برأسه وقال: وبعد ذلك؟

- لم يحدث شيء حتى الصباح يا سيدي.

- أنت متأكد؟

- آه، عفواً يا سيدي. فتحتُ أنت باب مقصورتك ونظرت
خارجاً لبضع ثوان.

- قال بوارو: جيد يا صديقي. كنتُ أتساءل إن كنت ستذكر ذلك.
بالمناسبة، لقد استغظتُ على صوتٍ وكان شيئاً ثقيلاً وقع على باب
غرفتي. هل لديك أي فكرة ماذا يمكن أن يكون السبب؟

- حدّق الرجل إليه وقال: لم يكن شيء من ذلك يا سيدي،
لا شيء. أنا متأكد من ذلك.

- قال بوارو متفلسفاً: إذن أظنني قد نوهمت.

- قال السيد بولك: إلّا إذا كان ما سمعته آتياً من المقصورة التي
بجانبك.

- لم يُعر بوارو أي اهتمام لهذا الاقتراح، ولعله لم يرغب في فعل
ذلك بحضور مسؤول التذاكر. قال: دعنا نتحول إلى نقطة أخرى.
لتفترض أن قاتلاً صعد على القطار ليلة أمس، فهل من المؤكد أنه
لم يكن قادراً على أن يغادر بعد ارتكابه الجريمة؟

- هز بيرر ميشيل رأسه مؤكداً، فسأله بوارو مرة أخرى: ألا يمكن

أن يكون مختبئاً في مكان ما في القطار؟

قال السيد بوك: لقد قُتِلَ القطار جيداً، فاستبعد هذه الفكرة يا صديقي.

قال ميشيل: وبالإضافة إلى ذلك، لا يمكن لأحد أن يصل إلى عربة النوم دون أن أراه.

- متى توقفتا آخر مرة؟

- في فينكوفسي.

- متى كان ذلك؟

- كان يجب أن نغادرها في الحادية عشرة وثمان وخمسين دقيقة، لكننا تأخرنا عشرين دقيقة بسبب الطقس.

- ألا يمكن لأحد أن يأتي من عربات القطار العادية إلى عربة النوم؟

- لا يمكن هذا يا سيدي؛ فبعد تقديم العشاء يُقفل الباب بين العربات العادية وعربة النوم.

- هل نزلت أنت من القطار في فينكوفسي؟

- نعم؛ نزلت على الرصيف كالعادة ووقفت قرب الدرجات المؤدية إلى العربة، وفعل مسؤولو التذاكر الآخرون الشيء ذاته.

- وماذا عن الباب الأمامي والباب القريب من عربة المطعم؟

- يكون مقفلاً من الداخل دائماً.

- إنه ليس مقفلاً الآن.

بدأت المفاجأة على الرجل، ثم انفرّد وجهه وقال: لا يد من أن أحد الركاب فتحه للنظر إلى الثلوج.

قال بوأرو: "ربما". ثم نقر بأصابعه على الطاولة مفكراً لدقيقة أو اثنتين، فقال الرجل خائفاً: أمل ألا يلومني سيدي؟

ابسم له بوأرو بلطف وقال: إنني أملك الفرصة يا صديقي. آه! سأسألك عن نقطة أخرى قبل أن أنساها، لقد قلت إن جرساً آخر قد قُرع وأنت تطرق باب السيد راتشيت، وفي الواقع أنا سمعت الجرس بنفسه، جرس من كان ذلك؟

- لقد كان جرس الأميرة دراغو مبروف، وقد طلبت مني أن أنادي خادمتها.

- وفعلت ذلك؟

- نعم يا سيدي.

تمعن بوأرو في المخطط الذي أمامه مفكراً، ثم رّد رأسه إلى الخلف قائلاً: هذا كل ما لدي في الوقت الحاضر.

- شكراً لك يا سيدي.

نهض الرجل ونظر نحو السيد بوك الذي قال بلطف: لا تزعج نفسك؛ إنني لا أرى أي تقصير منك.

غادر بيير ميشيل العربة مسروراً.



- أَلَمْ تعرف هذا يا سيد ماكويين؟

قال الأميركي الشاب بتأكيد واضح: أبداً يا سيدي، ولو كنت أعلم ذلك لكنت قطعت يدي اليمنى قبل أن أكتب له حرفاً!

- إن شعورك قوي تجاه هذا الأمر يا سيد ماكويين.

- لَدَيَّ سبب لأن أكون كذلك؛ فقد كان والدي هو المدعي العام الذي تولى تلك القضية يا سيد بوارو، ولقد رأيت السيدة أرمسترونغ غير مرة، وقد كانت امرأة جميلة ولطيفة وذات قلب مُحطَّم.

تجهم وجهه ثم أضاف: إن كان أي رجل يستحق ما حصل له فإن رانشيت أو كاسيتي هو ذلك الرجل. إنني سعيد لنهايته؛ فمثل ذلك الرجل لم يكن أهلاً لأن يعيش!

- تكاد تشعر وكأنك كنت مستعداً للقيام بذلك العمل بنفسك، اليس كذلك؟

- بلى، إنني...

توقف وقد تَوَزَّع خداه بشيء من الشعور بالذنب، ثم قال: يبدو وكأنني أضع نفسي في موضع الاتهام.

- كان من شأني أن أميل للشك بك أكثر -يا سيد ماكويين- لو أنك أبديت حزناً مبالغاً به تجاه وفاة مستخدمك.

قال ماكويين متجهماً: "لا أحسبني أقدر على ذلك، ولا حتى

الفصل الثاني

إفادة السكرتير

غرق بوارو في أفكاره لدقيقة أو اثنتين، وأخيراً قال: أظن أن من الأفضل أن نتكلم مرة أخرى مع السيد ماكويين على ضوء ما نعرفه الآن.

ظهر الأميركي في الحال وقال: حسناً، كيف تسير الأمور؟

- لا بأس، فقد علمت بعد محادثتنا الأولى شيئاً... هوية السيد

رانشيت.

مالك هيكنور ماكويين إلى الأمام باهتمام وقال: نعم؟

- كما توقعت فإن اسم رانشيت مستعار. إن رانشيت هو كاسيتي، الرجل الذي قام بعمليات الاختطاف المشهورة، ومن ضمنها قضية اختطاف الطفلة ديزي أرمسترونغ.

بدا على وجه ماكويين تعبير اندهاش شديد، ثم تلوَّن وجهه وعلَّق قائلاً: المَعرِفُ النَفس!

لأنّ نفسي من الكرسي الكهربائي. ثم أضاف: إن لم يكن ذلك فضولاً شديداً مني، كيف اكتشفت ذلك؟ أعني هوية كاسيتي؟

- بواسطة جزء من رسالة وجدها في مقصورته.

- ولكن... أتمّ يكن ذلك إهمالاً من العجوز؟

قال بوارو: هذا يعتمد على وجهة النظر.

بدأ هذا الجواب محيراً للشاب فهدق إلى بوارو محاولاً أن يفهم ما قاله. قال بوارو: إن مهمتي هي أن أتأكد من تحركات كل شخص على القطار، ولا داعي لأن يشعر أحد بأنه مستهدف، أنفهم ذلك؟ إنه أمر روتيني فقط.

- بالتأكيد. فم أنت بعملك ودعني أظهر براعتي إن استطعت.

قال بوارو مبسماً: لا داعي لأن أسألك عن رقم مقصورتك؟ فقد شاركك فيها ليلة. إنها المقصورة الثانية، ذات السريين ٦ و٧. هل أصبحت لك وحدك بعد مغادرتي؟

- هذا صحيح.

- والآن يا سيد ماكوين، أريد أن تصف لي تحركاتك ليلة أمس منذ غادرت عربة المطعم.

- هذا سهل. عدت إلى مقصورتي حيث قرأت لبعض الوقت، ثم خرجت إلى رصيف المحطة في بلغراد، إلا أنني وجدت أن الجو بارد جداً فعدت إلى القطار. تحدثت لبعض الوقت مع شابة إنكليزية تشغل المقصورة التي بجاني. ثم تحدثت مع ذلك الإنكليزي،

العقيد آريونوت. في الواقع أظن أنك مررت بنا ونحن نتحدث، ثم ذهبت إلى السيد راتشيت - كما أخبرتك - وأخذت بعض الملاحظات لرسائل يريد مني كتابتها، وبعد ذلك تمنيت له ليلة سعيدة ثم تركته. وكان العقيد آريونوت ما يزال واقفاً في الممر حيث كانت مقصورته تُعدّ للنوم، فاقترحت عليه أن يأتي إلى مقصورتي، ثم بدأنا حديثنا فناقشنا السياسة العالمية وحكومة الهند ووضعنا المالي وأزمة بورصة وول ستريت. إنني لا أتجذب إلى البريطانيين في العادة؛ فهم متعجرفون، إلا أنني أحببت هذا البريطاني.

- هل تعرف متى خرج من عندك؟

- خرج متأخراً جداً. أظن الساعة كانت تقرب من الثانية.

- هل لاحظتما أن القطار قد توقف؟

- نعم. وتعبنا للحظة، فنظرنا خارجاً ورأينا الثلوج تتجمع بكثافة، ولكننا لم نظن أن في الأمر خطورة.

- ماذا حدث عندما ودّع العقيد آريونوت أخيراً؟

- ذهب إلى مقصورته وناديت المسؤول ليعد سريرتي.

- وأين كنت بينما كان يفعل ذلك؟

- كنت أقف في الممر خارج الباب أدخن لفافة من التبغ.

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك ذهبت إلى فراشي ونست حتى الصباح.

- هل غادرت القطار قط في المساء؟

- فكرت أنا والعقيد آريوثوت في أن نخرج في... ما اسم ذلك المكان؟ آه، فينكوفشي... لتمرين أرجلنا بعض الوقت، إلا أن الجو كان بارداً جداً لوجود عاصفة ثلجية، وسرعان ما عدنا إلى الداخل.

- من أي باب غادرتما القطار؟

- من الباب الأقرب لمقصورتنا.

- الباب الذي يلي عربة المطعم؟

- نعم.

- هل تذكر فيما إذا كان مقفلاً؟

- فكر ماركوين قليلاً، ثم قال: نعم، أذكر أنه كان مقفلاً. على الأقل كان مزلاجاً من نوع ما مثبتاً على المقبض. هل هذا ما تعنيه؟

- نعم. وعندما عدتما إلى القطار هل أعدتما إغلاق المزلاج؟

- لا، لا أظنني فعلت ذلك. لقد دخلت آخرأ ولا أذكر أنني أغلقته.

- أضاف فجأة: أهذه نقطة مهمة؟

- ربما. حسناً، سأفترض أن باب مقصورتك المفضي إلى الممر كان مفتوحاً وأنتما جالسان تتحدثان في الداخل، أليس كذلك؟

- أولاً هيكتور ماركوين برأسه بالإيجاب، فقال بوارو: أريد منك أن تخبرني - إن استطعت - إن كان أي شخص قد عبر الممر بعد أن غادر القطار فينكوفشي إلى أن افترقتما في الليل.

- قطب ماركوين حاجبيه مفكراً ثم قال: أظن أن مسؤول التذاكر مر مرة واحدة قادماً من اتجاه عربة المطعم، ومرّت امرأة متجهة نحو عربة المطعم.

- أي امرأة؟

- لا أستطيع الجزم بذلك؛ فلم لاحظها حقاً. كنت أناقش نقطة معينة مع آريوثوت وأذكر أنني لاحظت شيئاً من الحرير القرمزي يمر أمام الباب، إلا أنني لم أنظر فعلاً. كذلك لم يكن باستطاعتي أن أرى وجه تلك المرأة على أية حال؛ فمقصوري - كما تعرف - تواجه نهاية العربة قرب عربة المطعم، لهذا إذا مرّت امرأة عبر الممر في ذلك الاتجاه فسيكون ظهرها باتجاهي حالما تمر أمام الباب.

- أولاً بوارو برأسه موافقاً ثم قال: ربما كانت ذاهبة إلى الحمام؟

- أظن ذلك.

- هل رأيته تعود؟

- أما وقد ذكرت ذلك الآن فإنني لم ألاحظها تعود، ولكن لا بد من أنها قد عادت.

- سؤال آخر. هل تدخن الغليون يا سيد ماركوين؟

- لا يا سيدي، لا أأدخلك.

صمت بوارو للحظة، ثم قال: أظن أن هذا كل ما أحتاجه منك في الوقت الحاضر، وأود الآن أن أرى خادم السيد راتشيت. بالمناسبة، هل تسافران دائماً في الدرجة الثانية؟

- هو يسافر فيها، إلا أنني أسافر عادة في الدرجة الأولى، وإذا كان ذلك ممكناً فإني أحجز المقصورة التي بجانب السيد راتشيت، ثم يضع معظم حقائبه عندي بحيث يستطيع أن يصل إليها أو إلي بسهولة كلما أراد ذلك. إلا أن كل مقصورات الدرجة الأولى كانت محجوزة هذه المرة، ما عدا المقصورة التي أخذها هو.

- فهمت. شكرًا لك يا سيد ماكورين.



الفصل الثالث

إفادة الخادم

بعد الرجل الأمريكي دخل الرجل الإنكليزي الباهت ذو الوجه الذي يخلو من المشاعر، والذي رآه بوارو في اليوم السابق. وقف متصباً بشدة فأشار له بوارو بأن يجلس.

- أنت خادم السيد راتشيت فيما أظن؟

- نعم يا سيدي.

- ما اسمك؟

- إدوارد هنري ماسترمان.

- كم عمرك؟

- تسعة وثلاثون عاماً.

- هل سمعت بأن سيدك قد قُتل؟

- نعم يا سيدي. إنه أمر يدعو إلى الصدمة.

- هلاً أخبرني الآن لو سمحت: متى رأيت السيد وانثيت

آخر مرة؟

فكر الخادم ثم قال: لا بد من أن ذلك كان في نحو الساعة التاسعة ليلة أمس يا سيدي، أو بعد ذلك بقليل.

- أخبرني ما الذي حدث بالضبط؟

- ذهبت إلى السيد راثيت كالعادة يا سيدي، ولقيتُ

احتياجه.

- ماذا كانت وظيفتك بالضبط؟

- أن أطوي ملابسه أو أعلقها يا سيدي، وأن أضع طقم أسنانه

في الماء وأناكد من أن لديه كل ما يحتاجه أثناء الليل.

- أكان مزاجه وسلوكه كشأنه دائماً؟

فكر الخادم للحظة ثم قال: أظن أنه كان مُستاء يا سيدي.

- كيف كان مستاء؟

- بسبب رسالة كان يقرأها. وسألني فيما إذا كنت أنا الذي

وضعتها في مقصورته، فأخبرته - بالطبع - أنني لم أفعل شيئاً كهذا،

إلا أنه سبني ورأى عيوباً في كل ما أفعله.

- أكان ذلك غير طبيعي؟

- لا يا سيدي؛ فهو يفقد صوابه بسهولة. وكما قلت، فإن الأمر

يعتمد على الشيء الذي يسوؤه.

- هل كان سيدك يتناول المنومات؟

مال الطبيب كونستانتين إلى الأمام قليلاً، فيما أجاب الخادم:

كان يتناولها دائماً عندما يسافر بالقطار يا سيدي، وكان يقول إنه

لا يستطيع النوم من غيرها.

- هل تعلم ما هو نوع المنوم الذي اعتاد أن يتناوله؟

- لا أستطيع الجزم بذلك يا سيدي؛ فلم يكن على الزجاجة

اسم، بل كان مكتوباً عليها فقط: «المنوم الذي يجب أن يؤخذ وقت

النوم».

- هل تناوله ليلة أمس؟

- نعم يا سيدي؛ فقد أعدته في كأس ووضعت على الطاولة

ليكون جاهزاً له.

- هل رأيته يتناوله فعلاً؟

- لا يا سيدي.

- ماذا حدث بعد ذلك؟

- سألتُه إن كان بحاجة إلى أي شيء آخر، وسألته متى يود

أن أوقظه في الصباح، فقال إنه لا يريد أن يزعجه أحد حتى يفرغ

هو الجرس.

- أكان ذلك عادياً منه؟

- عادياً جداً يا سيدي؛ فقد اعتاد أن يقرع الجرس للمسؤول
ثم يرسله إلي عندما يكون جاهزاً للنهوض.

- أكان من عادته أن يستيقظ مبكراً أم متأخراً؟

- ذلك يعتمد على مزاجه يا سيدي. كان يستيقظ أحياناً للفقير
وأحياناً أخرى لا يستيقظ حتى يحين وقت العشاء.

- إذن فانت لم تغلق عندما مضى الصباح ولم يرسل إليك
أحد؟

- نعم يا سيدي.

- أكنت تعلم أن لسيدك أعداء؟

- نعم يا سيدي.

تكلم الرجل بلا أي عاطفة، فمضى بواو بالسؤال: كيف
عرفت؟

- سمعته يتحدث مرة عن بعض الرسائل مع السيد ماركوس
يا سيدي.

- هل كانت لديك أي عواطف تجاه مُستخدميك
يا ماسترمان؟

صار وجه الرجل أقل تعبيراً عن أية أحاسيس حتى مما كان
يبدو أصلاً، ثم قال: لا أكاد أستطيع قول ذلك يا سيدي. إلا أنه
كان ربّ عمل سخياً.

- ولكنك لم تحبه؟

- فننقل انني لا أهتم كثيراً بالأميركين يا سيدي.

- هل سبق لك أن زرت أميركا؟

- لا يا سيدي.

- أتذكر أنك قرأت في الصحف عن قضية اختطاف
آرمسترونغ؟

تلوّن وجه الرجل بعض الشيء وقال: نعم، بالتأكيد يا سيدي.
كانت طفلة صغيرة، أليس كذلك؟ كان أمراً يثير الصدمة.

- هل تعلم أن مستخدمك، السيد رانشيت، كان هو العقل
المدير في تلك القضية؟

- لا يا سيدي.

ولأول مرة ظهر في نبرة الخادم نوع من الدفء والشعور
المؤكدين، ثم قال: لا أكاد أصدق ذلك يا سيدي.

- ولكنها الحقيقة. والآن دعنا ننقل إلى تحركاتك أنت ليلة
أمس، إنها مسألة روتينية فقط. ماذا فعلت بعد أن تركت سيدك؟

- أخبرت السيد ماركوس أن سيدي يريد أن يذهب إلى
مقصورتني وقرأت لبعض الوقت.

- ومقصورتك هي الرقم...؟

- آخر مقصورة في الدرجة الثانية يا سيدي، بجوار عربة
المطعم.

كان بوارو ينظر إلى المخطط أمامه: آه، وما هو رقم سريوك؟

- الأسفل يا سيدي.

- إنه رقم ٤ إذن؟

- نعم يا سيدي.

- هل معك أحد في المقصورة؟

- نعم يا سيدي، رجل إيطالي ضخم.

- هل يتكلم الإنكليزية؟

- إنه يتكلم إنكليزية ما يا سيدي.

كان في ثبوته شيء من الازدراء، ثم أضاف: لقد زار أميركا...

شيكاغو... كما فهمت.

- هل تحدثتما كثيراً؟

- لا يا سيدي؛ فأننا أفضل أن أقرأ.

ابتسم بوارو إذ كان بوسعه تخيل المنتظر: الرجل الإيطالي

الضخم المهدار، وعجرفة من يرى نفسه خادماً الأسياد.

سأل بوارو: وهل لي أن أسأل ماذا تقرأ؟

- في الوقت الحاضر أقرأ رواية «أسير الحب» للسيدة أرابيلا

ريشاردمون.

- أهي رواية جيدة؟

- أراها ممتعة للغاية يا سيدي.

- حسناً، دعنا نكمل، عدت إلى مقصورتك وقرأت، حتى متى

بقيت تقرأ؟

- في نحو العاشرة والنصف أراد ذلك الإيطالي أن ينام، فجاء

المسؤول وأعدّ السريرين.

- وبعدها أويت إلى فراشك ونمت؟

- أويت إلى فراشي - يا سيدي - ولكنني لم أنم.

- لِمَ لم تنم؟

- بسبب وجع الأسنان يا سيدي.

- آه! إنه مؤلم.

- مؤلم جداً يا سيدي.

- هل فعلت شيئاً حيال ذلك؟

- وضعت شيئاً من زيت القرنفل مما خفف الألم بعض الشيء.

ولكنني لم أستطع النوم رغم ذلك، فأضأت النور فوق رأسي وتابعت

القراءة كي أشغل نفسي عن الألم.

- ألم تنم أبداً؟

- بلى يا سيدي؛ لقد غفوت في نحو الرابعة صباحاً.

- ورفيقك؟

- الرجل الإيطالي؟ آه، لقد كان يشخر.

- ألم يغادر المقصورة أبداً أثناء الليل؟

- لم يحصل يا سيدي.

- وهل غادرتها أنت؟

- لا يا سيدي.

- هل سمعت شيئاً أثناء الليل؟

- لا أظن ذلك يا سيدي. أعني أنني لم أسمع شيئاً غير طبيعي،
فكون القطار واقفاً جعل السكان هادئاً جداً.

صمت بوارو لدقيقة أو اثنتين، ثم قال: حسناً، لم يبقَ لدي أي
سؤال، ألا تستطيع أن تلقي أي ضوء على المأساة؟

- لا أظن ذلك، أنا أسف يا سيدي.

- هل وقعت بين سيدك وبين السيد ماكوين أي مُشاحنات أو
سوء تفاهم على حد علمك؟

- لا يا سيدي؛ فالسيد ماكوين رجل لطيف جداً.

- مع من كنت تخدم قبل أن تأتي إلى السيد رانشيت؟

- مع السير هنري توملينسون يا سيدي، في غرورفينر
سكوير.

- ولماذا تركته؟

- بسبب سفره إلى شرق أفريقيا حيث لم يعد بحاجة إلى
خدماتي، ولكنني متأكد من أنه سيزكيني يا سيدي؛ فقد أمضيت
معه عدة سنوات.

- وكنت بقيت مع السيد رانشيت؟

- ما يزيد قليلاً على تسعة أشهر يا سيدي.

- شكراً لك يا ماسترمان. بالمناسبة هل تدخن الغليون؟

- لا يا سيدي؛ أدخن لفائف التبغ فقط.

- شكراً لك؛ هذا كل ما في الأمر.

تردد الخادم بعض الشيء ثم قال: أعذرني يا سيدي، ولكن
المرأة الأميركية في حالة هستيرية، وهي تقول إنها تعرف كل شيء
عن القاتل. إنها متفعله جداً يا سيدي.

قال بوارو مبهتاً: في هذه الحالة من الأفضل أن نراها الآن.

- هل أخبرها يا سيدي؟ إنها تطلب أن ترى أحد المسؤولين
منذ وقت طويل ويحاول مسؤول التذاكر أن يهذي من روعها.

قال بوارو: أرسلها إلينا يا صديقي، سوف نستمع إلى قصتها
الآن.



أخبرك بكل ما أستطيع أن أخبرك به. كنتُ قد أويت إلى سريري ونمت، ثم صاحوت فجأة، وكان كل شيء مظلمًا وعلمت أن في مقصورتي رجلًا. كنت خائفة جدًا لدرجة أنني لم أتمكن من الصراخ (إن كنت تعرف ما أعنيه). فقط بقيت مستلقية وفكرت: "رحمك يا رب! سوف أقتل". لا أستطيع أن أصف لك شعوري. فكرت في هذه القطارات وكل الأشياء الفظيعة التي سمعتها عنها، وفكرت فائلة نفسي: "حسنًا، على أنه لن يحصل على جواهري على أية حال". ذلك أنني وضعتها في جوب وخبأتها أسفل وسادتي، وهذا شيء غير مريح أبدًا - بالمناسبة - بسبب التواء الذي تسببه الصرة. ولكن هذا لا يعنيني الآن. أين كنت؟

- أدركت أن في مقصورتك رجلًا يا سيدتي.

- نعم. وقد بقيت مستلقية هناك وقد أغمضت عيني وفكرت فيما يمكن أن أفعله، ثم قلت في نفسي: "حسنًا، أنا شاكرة لأن ابنتي لا تعلم باللوطة التي أنا فيها". ثم عادت إليّ رباطة جأشي بطريقة ما وتحسست الجرس وقرعته، وظللت أقرع وأقرع ولكن شيئًا لم يحدث. وتأكد من أنني ظننت أن قلبي سيتوقف عن الخفقان وقلت في نفسي: "رحمك يا رب، ربما قتلوا كل من في القطار". لقد كان القطار واقفًا وكان إحساس كتيب بالهدوء يسود المكان، إلا أنني ظللت أقرع الجرس، ثم تنفست الصعداء عندما سمعت وقع أقدام تركض في الممر وصوت طرّق على الباب، فصحت: "ادخل"، وفي نفس الوقت أشعلت الضوء، ولكن هل تصدق بأن أحداً لم يكن في المكان؟

الفصل الرابع إفادة السيدة الأمريكية

وصلت السيدة هوبارد إلى عربة المطعم بنفس مقطوع لدرجة أنه كان من الصعب أن تلفظ كلماتها بوضوح: أريد أن أعرف شيئًا واحدًا فقط: من هو المسؤول هنا؟ لدي معلومات مهمة جدًا... مهمة جدًا بالفعل، وأود أن أدلي بها لأحد المسؤولين بالسرعة الممكنة. لو أنكم يا سادة...

ترددت نظراتها بين الرجال الثلاثة، فمال بوارو إلى الأمام وقال: أخبريني يا سيدتي، ولكن أرجوك اجلسي أولاً.

ارتمت السيدة هوبارد بقوة على الكرسي الذي يقابله وقالت: ما يجب علي أن أخبرك به هو ما يلي: لقد وقعت جريمة قتل على القطار ليلة أمس، وقد كان القاتل في مقصورتي!

صمتت لتأخذ كلماتها طابعاً درامياً، فسألها بوارو: هل أنت متأكدة من هذا يا سيدتي؟

- طبعاً متأكدة. إنني أعلم عن أي شيء أتحدث، وسوف

بدأ ذلك للسيدة هوبارد قصة تصاعد الأحداث، وليس
انحدارها السخيف!

- ماذا حدث بعد ذلك يا سيدتي؟

- أخبرت الرجل بما حدث ولكن لم يتبد أنه يصدقني، وبدأ
أنه يفكر بأنني اخترعت كل ذلك. طلبت منه أن ينظر أسفل المقعد.
ولكنه قال إن المكان لا يسمح لرجل بأن يحشر نفسه هناك، من
الواضح أن الرجل كان قد ذهب، ولكنني متأكدة من أن رجلاً كان
في المقصورة، وقد جئت من الطريقة التي كان يحاول بها المسؤول
أن يهدئ من روعي! أنا لست ممن يتخيلون الأشياء يا سيد... لا أظن
أنني أعرف اسمك؟

- يوارو يا سيدتي، وهذا هو السيد بوك مدير الشركة، والطبيب
كولستالين.

تمتت السيدة هوبارد: أنا سعيدة بلقائكم.

وجهت كلامها إلى الرجال الثلاثة بشروط، ثم انطلقت مرة
أخرى في سردها: والأول أن أدعي بأنني كنت ذكية كما ينبغي،
فقد ظننت أنه الرجل الذي كان يشغل المقصورة التي يجاني...
المسكين الذي قُتل؛ فطلبت من المسؤول أن ينظر إلى الباب الذي
يصل بين المقصورتين فوجد غير مغلق، فطلبت منه أن يلقه في
الحادث. وبعد أن خرج نهضت ووضعت حقيبة ملاسي خلف الباب
حي أكون مضطحة.

- في أي وقت حدث ذلك يا سيدة هوبارد؟

- لا أستطيع أن أخبرك؛ إذ أنني لم أنظر إلى الساعة لأنني
كنت متضايقاً جداً.

- وما هي نظريتك؟

- إنها واضحة جداً. كان ذلك الرجل هو القاتل، من غيره؟

- وتظنين أنه عاد إلى المقصورة التالية؟

- وكيف أعرف أين ذهب؟ كنت أعفّض عيني بشدة.

- لا بد وأنه قد انسلّ عبر الباب إلى الممر.

تنهدت السيدة هوبارد بقوة: رحماك يا رب. كنت خائفة! لو
أن ابنتي عرفت...

- ألا تظنين - يا سيدتي - أن ما سمعته هو صوت الرجل في
المقصورة التي بجانبك يتحرك في مقصورته؟

- لا أظن ذلك يا سيد... ما هو اسمك؟ يوارو. لقد كان الرجل
في مقصورتي ولدي الدليل على ذلك.

رفعت حقيبة يد كبيرة على الطاولة بانتصار وبدأت تنبش
في محتوياتها. أخرجت متدبين كبيرين نظيفين ونظارات وزجاجة
أسبرين وبعض حلوى التمتع ومجموعة من المقايح ومقصاً ودفتري
شيكات وصورة طفل شديد الشابة وبعض الرسائل وخمس سبحات
من الخرز الشرقي وشيفاً معدنياً صغيراً... كان عبارة عن زر.

- أترى هذا الزر؟ إنه ليس لي ولا لأي من ملاسي، لقد وجدته
عندما نهضت صباح اليوم.

وفيما كانت تضعه على الطاولة مال السيد بوك إلى الأمام وعلق قائلاً: ولكن هذا زر البدلة الرسمية لموظفي القطار.

التفت نحو السيدة بلطف قائلاً: ربما كان هذا الزر قد وقع عن زي المسؤول يا سيدتي، إما عندما فتش مقصورتك أو عندما أعدت سيرتك ليلة أمس.

- لا أعرف ماذا دهاكم جميعاً أيها الناس! يبدو أنكم لا تفعلون شيئاً سوى الاعتراض. والآن أصغوا إليّ: كنت أقرأ مجلة ليلة أمس قبل أن أنام، ثم قبل أن أطفئ النور وضعت تلك المجلة على حقيبة كانت موضوعة على الأرض قرب النافذة. أتفهمون ذلك؟ أكدوا لها أنهم يفهمون.

- حسناً إذن، وقد بحث المسؤول أسفل الكرسي وهو يقف قرب الباب ثم دخل وأقفل الباب الذي يصل بين مقصورتني وتلك التي بجائني، ولكنه لم يفترب أبداً من النافذة، وفي هذا الصباح كان ذلك الزر على المجلة. والآن أود أن أعرف: ماذا تستمون ذلك؟ قال يوارو: هذا ما أسميه دليلاً يا سيدتي.

يبدو أن هذا الجواب قد أَرْضَى السيدة، إذ قالت: يطير صوابي عندما لا يصدقني أحد.

قال يوارو مهدئاً: لقد قدمت لنا دليلاً مثيراً ومهماً. والآن، هل أستطيع أن أسألك بضعة أسئلة؟

- بكل سرور.

- بما أنك كنت خائفة من هذا الرجل، رائشيت، فكيف حصل أنك لم تقفلي الباب بين مقصورتيكما؟

أجابت السيدة هوبارد فوراً: لقد فعلت.

- آه، لقد فعلت؟

- حسناً، في الواقع سألت تلك السيدة السويدية (ويا لها من امرأة لطيفة!) عما إذا كان الباب مقفلاً، فقالت إنه كذلك.

- وكيف لم تتأكدي من ذلك بنفسك؟

- لأنني كنت في السرير وكان كيس أدوات الحمام معلقاً على مقبض الباب.

- متى كان الوقت عندما طلبت منها ذلك؟

- دعني أفكر... لا بد وأن ذلك كان في نحو العاشرة والنصف أو الحادية عشرة إلا ربيعاً؛ إذ جاءتني لتسأل إن كان عندي بعض الأسبرين، فأخبرتها أين تجده وأخرجته من حقيبة سفري.

- وكنت أنت في السرير؟

- نعم.

ضحكت فجأة وقالت: يا للمسكينة! لقد وقعت في حرج بالغ؛ إذ كانت قد فتحت باب المقصورة التي بجائني خطأ.

- باب مقصورة السيد راثيث؟

- ولكن كيف لي أن أسمعها يا سيد بوارو؟ لقد كان ميتاً.

قال: آه، نعم حقاً!

لكنه بدأ متحيراً، ثم سألهما: هل تذكرين قضية اختطاف
آرمسترونغ يا سيدة هوبارد؟

- نعم، أذكر ذلك، ولكن كيف هرب ذلك الوغد ونجا! أود
لو أنني أضاع يدي عليه.

- هو لم يهرب، إنه ميت... لقد مات ليلة أمس.

- هل تعني...؟

كادت السيدة هوبارد أن تنهض من كرسيها انفعالاً.

- نعم، أعني ذلك، كان راثيث هو ذلك الرجل.

- حسناً، حسناً، يجب أن أكتب لابنتي وأخبرها بذلك، ألم
أخبرك ليلة أمس أن لذلك الرجل وجهاً شريراً؟ لقد كنت مُحِقَّة.
إن ابنتي تقول دائماً: "عندما تحدثس أُمِّي بشيء فبوسعك أن تراهن
على صحته".

- هل كنتِ على معرفة بأي من عائلة آرمسترونغ يا سيدة
هوبارد؟

- لا؛ فقد كانت لهم دائرتهم الاجتماعية الخاصة الضيقة،
ولكنني سمعت دوماً أن السيدة آرمسترونغ كانت جميلة ولطيفة وأن
زوجها كان يهيم حباً بها.

- نعم، فأنت تعرف كم هو صعب عندما تأتي عبر القطار
وتكون جميع الأبواب مغلقة، فتحثُ باب مقصورته خطأ، وكانت
متضايقة جداً لذلك، إذ يبدو أنه ضحك، ويخيل إلي أنه ربما تفوه
بعبارة غير لطيفة، يا للمسكينة! كانت مرتبكة جداً وقالت: آه! لقد
أخطأت، وأنا خجلة من خطئي.

ضحك الدكتور كونستانطين ضحكة مكبوتة فرمقه السيدة
هوبارد فوراً بنظرة جمدته، ثم قالت: ليس مناسباً الضحك من مثل
هذه الأمور.

اعتذر الطبيب بسرعة، وسأل بوارو: هل سمعت أية حلية من
مقصورة السيد راثيث بعد ذلك؟

- حسناً، ليس تماماً.

- ماذا تعنين بهذا يا سيدتي؟

- حسناً...

صمتت قليلاً، ثم قالت: لقد كان يشخر.

- آه، كان يشخر... حقاً؟

- كثيراً، ولم أتمكن من النوم بسبب ذلك في الليلة السابقة.

- هل سمعته يشخر بعد أن رَوَّعك وجود رجل في
مقصورتك؟

- حسناً يا سيدة هوبارد، لقد ساعدتنا... ساعدتنا كثيراً حقاً.

هلا أعطيني اسمك كاملاً؟

- بالتأكيد؛ كارولين مارثا هوبارد.

- هلا كتبت عنوانك هنا؟

فعلت السيدة هوبارد ذلك دون أن تتوقف عن الكلام؛ لا أستطيع أن أصدق ذلك... كاسيتي على هذا القطار! لقد كان لديّ جدس بخصوص ذلك الرجل، أليس كذلك يا سيد هوبارد؟

- بلى، بالفعل يا سيدتي. بالمناسبة، هل لديك قميص نوم قرمزي؟

- يا إلهي، يا له من سؤال غريب! ولكن لا؛ لدي قميصان للنوم أحدهما وردي والآخر قدمته لي ابنتي هدية، وهو صناعة محلية من الحرير البفسيجي. ولكن ما الذي يدفعك إلى أن تسأل عن قميصان نومي؟

- لقد دخلت امرأة ترتدي قميص نوم قرمزي إما إلى مقصورتك أو إلى مقصورة السيد رانشيت ليلة أمس، فكما قلت قبل قليل: من الصعب تمييز المقصورات عندما تكون الأبواب مغلقة.

- لم تدخل غرفتي أنا أي امرأة ترتدي قميص نوم قرمزي.

- إذن لا بد من أنها دخلت مقصورة السيد رانشيت؟

زمت السيدة هوبارد شفتيها وقالت بتجهم: إن ذلك لا يدهشني.

مال هوبارد إلى الأمام وقال: إذن فقد سمعت صوت امرأة في المقصورة التي بجانبك؟

- لا أدري كيف عرفت ذلك يا سيد هوبارد، إنني لا... ولكن، حسناً، في الواقع لقد سمعت.

- ولكن عندما سألت لتوي إن كنت قد سمعت شيئاً في المقصورة التي بجانبك قلت إنك لم تسمعي سوى شخير السيد رانشيت.

- كان ذلك صحيحاً؛ فقد شخر لبعض الوقت، أما بالنسبة للأمور الأخرى...

توزد وجه السيدة هوبارد، ثم تابعت: ليس لطيفاً أن يتحدث المرء عن أمور كهذه.

- كم كان الوقت عندما سمعت صوت المرأة؟

- لا أستطيع أن أخبرك. صحتي لدقيقة فقط وسمعت صوت امرأة تتحدث، وكان واضحاً من أين يأتي الصوت، ففكرت في نفسي: "أنا لا أستغرب؛ فهو من هذا النوع من الرجال"، ثم عدت إلى النوم ثانية. وما كنت لأذكر شيئاً مثل هذا أمام ثلاثة رجال غريباء لولا أنك سحبت مني الكلام سحاً.

- هل وقع هذا قبل أن تخافي من وجود الرجل في مقصورتك أم بعد ذلك؟

- ولكن هذا مثل سؤالك قبل قليل! ما كان ليستفيل امرأة

تحدثت معه إذا كان مبنياً. أليس كذلك؟

- عفواً! لا بد وأنك نظيتني غيباً يا سيدتي.

- أظن أن الأمور تختلط أحياناً حتى عليك أنت. ما زلت لا أكاد أصدق أنه ذلك المتوحش كاسيني. ماذا ستقول ابنتي...

استطاع بوارو -ببراعة- أن يساعد السيدة في إعادة محتويات حقيبتها ثم رافقها إلى الباب، وفي آخر لحظة قال لها: لقد أسقطت منديلك يا سيدتي.

نظرت السيدة هوبارد إلى المنديل الذي كان يمسك به وقالت: إنه ليس لي يا سيد بوارو، إن منديلي معي.

- عفواً، ظننته منديلك بسبب حرف الهاء المطرزة عليه.

- هذا عجيب حقاً، ولكنه ليس لي. إن منديلي تحمل العلامة ك.م.ج. وهي من النوع المعقول وليس من انقماش البازيسي الثمين ما فائدة منديل كهذا لألف المرء؟

لم يبد أن لدى أي من الرجال الثلاثة جواباً لهذا السؤال، فغادرت السيدة هوبارد بانتصار.

الفصل السادس

إفادة السيدة السويدية

كان السيد بوك يقص الزر الذي تركته السيدة هوبارد خلفها، ثم قال: لا أفهم معنى وجود هذا الزر. أعني هذا أن بيير ميشيل متورط بطريقة ما؟

صبت قليلاً، ولما لم يجبه بوارو على سؤاله قال: ماذا تقول يا صديقي؟

ردّ بوارو مفكراً: إن لهذا الزر احتمالات عديدة، ولكن دعنا نقابل السيدة السويدية قبل أن نناقش الإفادات التي سمعناها.

فتش في كومة جوازات السفر أمامه ثم قال: آه، ها هو. غريتا أولسون، العمر تسعة وأربعون عاماً.

أعطى السيد بوك تعليماته لنادل المطعم. وفي الحال جاءت السيدة ذات كعكة الشعير الرمادية المصفرة والوجه الطويل الهادئ الخانع كوجه تعجبة، ونظرت من خلال نظاراتها إلى بوارو وقد بدت هادئة جداً.

سألها بوارو في البداية الأسئلة التي كان يعرف إجاباتها:
اسمها، وعمرها، وعنوانها، ثم سألها عن مهنتها. فأخبرته أنها كانت
تعمل في مدرسة قرب إسطنبول وأنها كانت ممرضة مؤهلة.

- تلميذ بالطلع ما الذي حدث ليلة أمس يا آنسة؟

- بالطلع. إنه أمر فظيع، وقد أخبرتني المرأة الأميركية أن القاتل
كان في مقصورتها.

- سمعت أنك آخر من رأى الرجل الميت على قيد الحياة؟

- لا أعلم. قد يكون الأمر كذلك، فقد فتحت باب مقصورتها
خطأً وأحسست بالخجل البالغ من ذلك. لقد ارتكبت خطأً محرراً.

- هل رأيته فعلاً؟

- نعم. وكان يقرأ كتاباً، فاعتذرت بسرعة وانسحبت.

- هل قال لك شيئاً؟

تورّد خذا السيدة الفاضلة قليلاً وقالت: ضحك وقال عدة
كلمات، ولكنني لم أسمعها تماماً.

سأل بوارو مبتعداً عن الموضوع بلباقة: وماذا فعلت بعد ذلك
يا آنسة؟

- ذهبت إلى السيدة الأميركية، السيدة هوبارد، وطلبت منها
بعض الأسيرين، فأعطتني.

- هل سألتك إن كان الباب يفصل مقصورتها عن مقصورة
السيد وانتشيت مغلقاً؟

- نعم.

- وهل كان مغلقاً؟

- نعم.

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك عدت إلى مقصورتني وأخذت بعض الأسيرين
واستلقيت.

- متى حدث كل ذلك؟

- عندما ذهبت إلى السرير كانت الساعة الحادية عشرة إلا
خمس دقائق لأنني أنظر - عادة - إلى ساعتني قبل النوم.

- هل غفوت بسرعة؟

- ليس بسرعة، فعلى الرغم من أن ألم رأسي تحسن إلا أنني
بقيت مستيقظة لبعض الوقت.

- هل وقب القطار قبل أن تنامي؟

- لا أظن ذلك. أظن أننا وقفنا في محطة ما في اللحظة التي
بدأت أغفو فيها.

- لا بد وأنها كانت فينكوشي. والآن، مقصورتك هي هذه؟

وأشار بيده إلى مخطط الخربة فقالت: نعم؛ هذه هي.

- هل تشغلين السرير العلوي أم السفلي؟

- السير السفلي رقم ١

- ولديت رفيقة؟

- نعم؛ شابة إنكليزية لطيفة جداً وودودة جداً، وهي تسافر

من بغداد.

- هل غادرت رفيقتك المتصورة بعد أن غادر القطار

فينكوفسي؟

- لا، أنا متأكدة من أنها لم تفعل.

- لماذا أنت متأكدة طالما كنت نائمة.

- إن نومي خفيف جداً وأصحو لأي صوت، وأنا متأكدة لو

أنها تولت من السير العلوي لكنت صحت

- هل غادرت أنت المتصورة؟

- لم أغادرها حتى هذا الصباح.

- هل لديك قميص نوم قزمي من الحرير يا آنسة؟

- لا، الحقيقة أن لدي قميص نوم مريحاً مصنوعاً من القماش

إنها عباءة بتسجئة كتلك التي تباع في الشرق.

هو بوارو رأسه، ثم سأل بصوت ودود: لم تسافرين في هذه

الرحلة؟ هل أنت في إجازة؟

- نعم، أنا ذاهبة إلى بلدي في إجازة، وتكتني سأذهب أولاً

إلى لوزان وأمضي أسبوعاً عند אחتي.

- هلاً تطففت وكتبت اسم أختك وعنوانها؟

- بكل سرور

أخذت منه القلم والورقة وكتبت الاسم والعنوان كما طلب

منها.

- هل ذهبت إلى أمريكا قط يا آنسة؟

- لا، كنت أذهب إلى هناك مرة مع امرأة معزقة، ولكن

ألغيت الرحلة في اللحظات الأخيرة. وقد أجزني ذلك؛ فالأميركيون

جيدون في الدفع وعمليون جداً.

- هل تذكرين أنك سمعت عن قضية اختطاف طفلة اسمها

آرمسترونغ؟

- لا، وماذا كانت تلك القضية؟

شرح لها بوارو القضية فسحطت غريتا أولسون وارتعدت كعكة

شعرها من فرط تأثرها وقالت: ما أعجب أن يكون في هذا العالم

رجال شريرون كهذا! يا لآلم المسكينة! إن قلبي يتألم لها.

غادرت السويدية الودودة وقد احمر وجهها اللطيف وامتلات

عينها بالدموع.

وكان بوارو يكتب شيئاً بسرعة على ورقة، فسأله السيد بوك:

ما الذي تكتبه يا صديقي؟

- يا عزيزي، إنها عادتي أن أكون منظماً ومرتباً، وأنا أكتب

هنا قائمة بالأحداث مرتبة ترتيباً زمنياً.

أنهى كتابته ومرر الورقة للسيد بوك الذي قرأ فيها:

٩، ١٥ غادر القطار بلغراد.

نحو ٩، ٤٠ الخادم ترك راتشيت وبجانبه النوم.

نحو العاشرة ماكويين يغادر راتشيت.

نحو ١٠، ٤٠ غربتا أولسون تري راتشيت (وهي آخر مرة يرى فيها على قيد الحياة).

ملاحظة: كان مستيقظاً يقرأ كتاباً.

١٢، ١٠ القطار يغادر فينكوفشي (متأخراً).

١٢، ٣٠ القطار يواجه عواصف ثلجية.

١٢، ٣٧ قُرْع جرس راتشيت وأجابه المسؤول، فرد راتشيت: "لا يوجد شيء، كان ذلك خطأ مني".

١، ١٧ تعتقد السيدة هوبارد أن في مقصورتها رجلاً وتقرع الجرس لاستدعاء المسؤول.

هز السيد بوك رأسه برضا وقال: هذا واضح جداً.

- ألا شيء هنا يبدو لك غريباً؟

- بل كل شيء يبدو واضحاً. من الواضح أن الجريمة وقعت

في الساعة الواحدة والرابع؛ إذ أن الساعة المحطمة تدلنا على ذلك، وهذا مطابق لقصة السيدة هوبارد. بالنسبة لي سأحاول أن أخترع هوية القاتل، وأنا أقول - يا صديقي - إنه الإيطالي الضخم، فهو قادم من أميركا (ومن شيكاغو بالتحديد، وتذكر أن سلاح الإيطالي هو السكين) وهو لم يُطعن مرة واحدة بل عدة طعنات.

- هذا صحيح.

- ما من شك في أن هذا هو حل المشكلة الغامضة، ولا أشك في أنه والسيد راتشيت كانا يعملان في الاختطاف معاً. إن كاسيني اسم إيطالي، وبطريقة ما قام راتشيت بخداعه فنتبعه الإيطالي وأرسل إليه في البداية رسائل تهديد، وأخيراً ثار نفسه بطريقة وحشية. هذا ما حدث بمنتهى البساطة.

هز بوارد رأسه مشككاً وتمتم قائلاً: أخشى أن الأمر ليس بهذه البساطة.

قال السيد بوك وقد اقتن بنظرته أكثر فأكثر: أما أنا فإنني مقتنع بأن هذه هي الحقيقة.

- وماذا عن الخادم المصاب بوجع الأسنان الذي أقسم أن الإيطالي لم يغادر المقصورة؟

- هنا تقع الصعوبة.

لمعت عينتا بوارد وقال: نعم، إن هذا مثير للغضب؛ فمن سوء حظ نظرتك وحسن حظ الرجل الإيطالي أن يعاني خادم السيد راتشيت ألماً في أسنانه.

قال السيد بوك مؤكداً بشدة: سيتم تفسير ذلك.

هز بوارد رأسه ثانية، وتستم مرة أخرى: كلا... ليس الأمر بهذه السهولة!



- ولكن لم يكن هناك أحد يا سيدي. لابد من أن السيدة تخيلت ذلك.

- إنها لم تخيله يا ميشيل. لقد مر قاتل السيد واتسبت من هناك وأسقط هذا الرز.

ما أن وعى بيير ميشيل كلمات السيد بولك حتى انتابته حالة من الهيجان العصبي الشديد. وصاح قائلاً: هذا ليس صحيحاً يا سيدي. ليس صحيحاً! إنكم تتهمونني بالجريمة. أنا؟ إنني بريء... إنني بريء تماماً. ولماذا أريد أن أقتل رجلاً لم أراه أبداً من قبل؟

- أين كنت عندما قرعت السيدة هوبارد الجرس؟

- أخبرتك يا سيدي؛ كنت في العربة التالية أتحدث مع زميلي.

- سوف نرسل في طلبه.

- افعل ذلك... أرجوك يا سيدي افعل ذلك.

استدعي مسؤول العربة التالية وأخذ فوراً مقالة بيير ميشيل، وأضاف أن مسؤول عربة بوخارست كان عنده أيضاً حيث كان الثلاثة يناقشون الوضع الذي نجم عن الثلوج. وقد تحدثوا لنحو عشر دقائق حتى ظن ميشيل أنه سمع جرساً. ولما فتح الباب الذي يصل بين العربتين سمعوا جميعاً بوضوح. كان جرس يقرع باستمرار فركض ميشيل مسرعاً ليحجب عليه.

صاح ميشيل بلهفة: أترى يا سيدي؟ أنا لست مذنباً.

الفصل السادس إفادة الأميرة الروسية

قال يواروف: لنسمع ماذا يقول بيير ميشيل عن الرز.

استدعي مسؤول التذاكر ثانية. وحين جاء نظر إليهم مستفسراً. فتناح السيد بولك وقال: ميشيل. هذا رز من سترتك وقد عُثر عليه في مقصورة السيدة الأمريكية، فماذا تقول في ذلك؟

تحركت يد المسؤول آلياً نحو سترته وقال: أنا لم أفقد أي رز يا سيدي. لعن في الأمر خطأ ما.

- هذا غريب جداً.

- لا أستطيع تفسير هذا الأمر يا سيدي.

بدا الرجل مذهولاً ولكن لم يبد عليه أنه مذنب أو مرتكب.

قال السيد بولك: وفقاً للظروف التي عُثر بها عليه يبدو من التأكيد أن هذا الرز أسقطه الرجل الذي كان في مقصورة السيدة هوبارد عندما قرعت الجرس.

- وكيف تفسر هذا الزر من الزي الرسمي لسترة الشركة؟

- لا أستطيع تفسيره يا سيدي. إن الأمر غامض بالنسبة لي
فجميع أزراري سليمة.

أعلن المسؤولان الآخران أنهما لم يفقدا أزراراً، وأن أيًا منهما
لم يدخل مقصورة السيدة هوبارد في أي وقت.

قال السيد بوك: اهدأ يا ميشيل، وعُدْ بذاكرتك إلى اللحظة
التي ركضت فيها لثرة على جرس السيدة هوبارد. هل قابلت أحداً
في الممر؟

- لا يا سيدي.

- هل رأيت أحداً يمشي مبتعداً عنك في الاتجاه المعاكس؟

- مرة أخرى: لا يا سيدي.

قال السيد بوك: غريب.

قال بوارو: ليس غريباً أبداً؟ فالقضية قضية وقت. لقد أفادت
السيدة هوبارد لتجد أن في مقصورتها شخصاً. بقيت مشلولة الإرادة
لدقيقة أو اثنتين وقد أغلقت عينيها، وربما تسلل الرجل إلى الممر
في تلك اللحظة، ثم بدأت تفرع الجرس، إلا أن المسؤول لم يأت
في الحال لأنه لم يسمع الجرس سوى في المرة الثالثة أو الرابعة.
إنني أقول إن ما يكتفي من الوقت قد توفّر...

- وقت لماذا؟ لماذا يا عزيزي؟ تدكّر أن القطار كان محاطاً
بغطاء سميك من الثلوج.

قال بوارو ببطء: يوجد طريقان مفتوحان للقاتل الغامض.
يستطيع أن يتراجع إلى أي من الحفائين أو أن يختفي في إحدى
المقصورات.

- ولكنها كانت جميعاً مشغولة.

- نعم.

- أتعني أنه تراجع إلى مقصورته هو؟

هز بوارو رأسه موافقاً، فيما تتمم السيد بوك: هذا تفسير
مناسب... نعم، مناسب. فخلال غياب مسؤول التذاكر في تلك
الدقائق العشر باني القاتل من مقصورته ويدخل إلى مقصورة رانشيت
فيقتله ثم يقفل الباب ويغلقه بالمزلاج من الداخل ويخرج من خلال
مقصورة السيدة هوبارد ويعود بأمان إلى مقصورته قبل وصول
مسؤول التذاكر.

تتمم بوارو: إن الأمر ليس بهذه البساطة يا صديقي، كما
يستطيع أن يخبرك بذلك صديقنا الطبيب.

أشار السيد بوك إلى أن باستطاعة المسؤولين الثلاثة أن يغادروا.
وقال بوارو: ما زال لدينا ثمانية ركاب لتراهم، خمسة من الدرجة
الأولى: الأميرة دراغوميروف والكونت والكونتيسة أندرينيه والعقيد
أريونثوت والسيد هاردمان، وثلاثة ركاب من الدرجة الثانية: الأنسة
دينهام وأنطونيو فوسكاريللي وخادمة السيدات الأنسة شميدت.

- من الذي ستره أولاً، الرجل الإيطالي؟

أراك لن تترك الإيطالي لحاله! لا، سيبدأ من أعلى الشجرة.
قد تلطف الأميرة وتوفرت قطع دقائق من وقتها. انقل لها عدد
الرسالة يا ميشيل.

قال المسؤول الذي كان بهم بمغادرة العربة: نعم يا سيدي.

نادوا السيد بوك: أخبرها بأنها تستطيع أن تذهب إلى مقصورتها
إذا لم تكن تريد أن تتعب نفسها وتأتي إلى هنا.

ولكن الأميرة دراغوميروف رفضت هذا العرض وظهرت في
عربة المطعم وجالست مقابل يوارو. بدا وجهها الصغير الذي يشبه
وجه السحالي أكثر اصفراراً مما بدأ بالأمس. وكانت بشعة حقاً.
ولكنها (مثل السحالي أيضاً...) كانت تمتلك عينيْن كأنهما جوهرة نان.
سوداوين أمرتين، تشعان عن طاقة كامنة وذكاء وقاد يمكن الإحساس
بهما فوراً.

كان صوتها عميقاً ومميزاً وبه شيء من البحة. وقد قاطعت
السيد بوك الذي كان يعتذر بعبارة متشفة: لا داعي للاعتذار يا سادة.
أفهم أن جريمة قتل قد وقعت ومن الطبيعي أن نقابلوا جميع الركاب.
وسوف أكون مسرورة بتقديم ما أستطيعه من مساعدة.

قال يوارو: أنت لطيفة جداً يا سيدي.

- أبدأ وإله واجب. ماذا تريد أن تعرف؟

- اسمك الكامل وعنوانك يا سيدي. ربما تفضلين أن تكتبي

ذلك بظفت؟

عرض عليها يوارو ورقة وقلماً ولكن الأميرة أبعدتهما جانباً
وقالت: تستطيع أن تكتب ذلك بنفسك، إنه ليس صعباً. اسمي مثاليا
دراغوميروف، وعنواني ١٧ شارع كلير، باريس.

- أنسافرة أنت من القسطنطينية إلى بلدك يا سيديتي؟

- نعم. وقد كنت أقيم في السفارة النسائية ومعني خادمتي.

- هلاً تلطف وذكّرت لي بإيجاز كيف كانت تحركاتك ليلة

أمس بعد العشاء؟

- بكل سرور. ظلمت من المسؤول أن يُعَدَّ سريرتي بينما كنت
في عربة المطعم. ثم مضيت إلى قراشي بعد العشاء مباشرة فقرأت
حتى الساعة الحادية عشرة، وعندما أطفأت النور لم أتمكن من النوم
بسبب بعض آلام الروماتيزم التي أعاني منها. وفي نحو الواحدة إلا
ربعاً قرعت الجرس لخادمتي فدلكتني ثم قرأت لي بصوت مرتفع
حتى شعرت بالنعاس. لا أستطيع أن أقول متى تركتني بالبط، ربما
بعد ذلك بنصف ساعة أو أكثر.

- أكان القطار قد توقف حينها؟

- كان قد توقف.

- هل سمعت أي شيء... أي شيء غير عادي خلال هذا
الوقت يا سيديتي؟

- لم أسمع شيئاً غير عادي.

- ما اسم خادمتك؟

- هيلدا غارد شميدت.

- هل تعمل لديك منذ مدة طويلة؟

- خمس عشرة سنة.

- هل تعتبرينها أهلاً للثقة؟

- تماماً، وأهلها كانوا في عزبة زوجي المتوفى، في ألمانيا.

- أظنك ذهبت إلى أميركا يا سيدتي؟

أدى التغيير المفاجئ في الموضوع إلى أن ترفع السيدة الستة حاجبها قبل أن تقول: عدة مرات.

- هل عرفت هناك عائلة باسم آرمسترونغ... عائلة حدثت لها مأساة؟

قالت العجوز بشيء من العاطفة في صوتها: إنك تتحدث عن أصدقاء لي يا سيد.

- إذن تعرفين العقيد آرمسترونغ جيداً؟

- عرفته قليلاً، ولكنني عرفت أكثر زوجته سونيا آرمسترونغ؛ فقد كنت على علاقة صداقة مع أمها الممثلة ليندا آردن. لقد كانت ليندا آردن عبقريّة فذة وواحدة من أعظم ممثلات التراجيديا في العالم، ولم يكن أحد ليقترّب من عظمتها أدائها. ولم أكن معجبة بفنها فحسب، ولكنني كنت صديقة شخصية لها.

- أهي ميتة؟

- لا، لا. إنها على قيد الحياة، ولكنها تعيش في عزلة تامة. إن صحتها بالغة الرقة ويجب أن تستلقي معظم الوقت.

- أظن أن هناك ابنة أخرى؟

- نعم، أصغر بكثير من السيدة آرمسترونغ.

- هل هي على قيد الحياة؟

- بالتأكيد.

- أين هي؟

رمقته العجوز بنظرة حادة وقالت: يجب أن أسألك عن السبب وراء هذه الأسئلة وعن علاقتها بالقضية الحالية... بجريمة القتل على هذا القطار؟

- القضيّتان مرتبطتان كالثاني يا سيدتي: إن الرجل الذي قُتل مسؤول عن اختطاف وقتل طفلة السيدة آرمسترونغ.

تقطب حاجبها المستقيم واستندت في جلستها وقالت: برأيي - إذن - أن هذه الجريمة حدث بشئ كل الإعجاب! واعدرتي لوجه نظري المتحيزة قليلاً.

- هذا طبيعي جداً يا سيدتي. ولتعد الآن إلى السؤال الذي لم تجيبي عنه: أين هي الابنة الصغرى لليندا آردن، أي شقيقة السيدة آرمسترونغ؟

- صدقاً لا أستطيع أن أخبرك يا سيد؛ فقد فقدت الاتصال مع الجيل الصغير. ولكن أظن أنها تزوجت قبل بضع سنوات رجلاً

إنكليزياً وذهبت إلى إنكلترا، ولا أستطيع أن أتذكر الاسم في هذه اللحظة.

توقفت للحظة، ثم قالت: هل من أسئلة أخرى أيها السادة؟

- شيء واحد يا سيدي، وهو سؤال شخصي: ما هو لون قميص نومك؟

رفعت حاجبها قليلاً وقالت: أظن أن وراء هذا السؤال سبباً. إن قميص نومي من اللاتان الأزرق.

- لا يوجد شيء آخر يا سيدي. إنني شاكر لك جداً لإجابتك عن أسئلتي.

أشارت إشارة خفيفة بيدها المليئة بالخواتم، وفيما كانت تهض وبنهض معها الآخرون قالت: أعذرتي يا سيدي، ولكن هل أستطيع أن أسأل عن اسمك؟ فوجهك مألوف نوعاً ما.

- اسمي هو هيركيول بوارو يا سيدي، وأنا في خدمتك.

بقيت صامتة لحظة ثم قالت: هيركيول بوارو... نعم، أتذكر الآن. إن هذا تقدّر.

مشت مبتعدة وهي منتصبه وحركاتها مشدودة بعض الشيء، فقال السيد بولك: هذه سيادة عظيمة. ما رأيك بها يا صديقي؟

ونكن هيركيول بوارو اكتفى بأن هز رأسه وقال: أساءل ماذا كانت تعني بقولها إنه قدر؟



الفصل السابع

إفادة الكونت والكونتيسة أندرينيه

استدعي - بعد ذلك - الكونت والكونتيسة أندرينيه، إلا أن الكونت دخل عربة المطعم وحده.

ما من شك في أنه كان رجلاً وسيماً عندما يُرى وجهاً لوجه. كان طوله لا يقل عن متر وثمانين سنتيمتراً وذا كتفين عريضين وورك نحيل، وقد لبس ملابس خيطة بعناية من الصوف الإنكليزي. وكان من السهل أن يخطئ المرء ويحسبه إنكليزياً لولا طول شاربيه والنسياب خط وجنتيه.

قال: حسناً أيها السادة، بماذا أستطيع مساعدتكم؟

قال بوارو: إنك تفهم - يا سيدي - أنه على ضوء ما حدث فإنني مضطر لتوجيه بعض الأسئلة لجميع الركاب.

قال الكونت بيسر: تماماً، تماماً، إنني أفهم وضعكم تماماً، إلا أنني أخشى أنني وزوجتي لا نستطيع أن نفعل شيئاً لمساعدتكم، فقد كنّا نائمين ولم نسمع شيئاً أبداً.

- هل تعرف هوية الرجل الميت يا سيدي؟

- لقد فهمت أنه الأميركي الضخم ذو الوجه الكريه... كان يجلس على تلك الطاولة أثناء الوجبات.

أوما برأسه نحو الطاولة التي كان يجلس عليها راثشيت وماكوين فقال بوارو: نعم، نعم يا سيدي؛ أنت مصيب تماماً. ولكنني عنت: هل تعرف اسمه؟

- لا.

بدا الكونت مختاراً من أسئلة بوارو، ثم قال: إذا أردت أن تعرف اسمه فمن المؤكد أنه في جواز سفره.

قال بوارو: الاسم الذي في جواز سفره هو راثشيت، ولكن هذا ليس اسمه الحقيقي. إنه كاسيني الذي كان مسؤولاً عن قضية اختطاف مشهورة أغضبت أميركا.

راقب الكونت بعناية وهو يتحدث إلا أنه بدا غير متأثر لهذه المعلومات. كل ما فعله هو أن فتح عينيه قليلاً ثم قال: آه! لا بد وأن ذلك يُضفي بعض الضوء على القضية. إن أميركا بلد غريب جداً.

- هل ذهبت إلى أميركا يا سيدي الكونت؟

- مكثت في واشنطن لسنة.

- هل تعرّفت على عائلة باسم آرمسترونغ؟

- آرمسترونغ... آرمسترونغ... من الصعب أن أتذكر، فالمرء يقابل الكثير من الناس.

ابتسم ووقع كفيه حيرة ثم قال: ولكن لنعد إلى موضوع الساعة أيها السادة. ماذا أستطيع أن أعمل لمساعدتكم؟

- متى ذهبت إلى النوم يا سيدي الكونت؟

استرق هيركيول بوارو نظرة إلى مخططة. كان الكونت والكونتيسة يشغلان المقصورتين المتجاورتين ١٢ و ١٣.

- طلبنا إعداد إحدى المقصورتين بينما كنا في عربة المطعم، وعندما عدنا جلسنا في الأخرى لبعض الوقت...

- في أية واحدة؟

- رقم ١٣. لعبنا الورق، وفي نحو الحادية عشرة أوت زوجني إلى فراشها، فقام المسؤول بإعداد مقصورتني وذهبت أنا الآخر إلى السرير وتمت بعمق حتى الصباح.

- هل لاحظت توقف القطار؟

- لم ألاحظ ذلك حتى هذا الصباح.

- وزوجتك؟

- تأخذ زوجتي النوم دائماً عندما تسافر بالقطار، وقد تناولت جرعتها المعتادة أمس من منوم تريونال.

صمت للحظة ثم قال: أنا آسف لأنني لم أساعدكم بأية طريقة.

مزرله بوارو ورقة وقلماً، شكراً يا سيدي الكونت. هلاً كتب
لي اسمك وعنوانك. إنه أمر روتيني.

كتب الكونت ببطء وعناية. ثم قال بسورور: جيد أنني أكتب
ذلك بنفسى؛ فتهمجة اسم عزتي في بلدي صعب بعض الشيء
بالنسبة لأولئك الذين لا يعرفون اللغة.

أعاد الورقة والقلم إلى بوارو ونهض قائلاً: لا داعي أبداً لأن
تأتي زوجتي إلى هنا، فهي لا تستطيع أن تزيد على ما قلته لكم.

لمعت عينا بوارو قليلاً وقال: بلا شك، بلا شك. ولكن على
الرغم من ذلك فإنني أود أن أتحدث قليلاً إلى السيدة الكونتيسة.

- أؤكد لك أن هذا غير ضروري أبداً.

بدت في صوته نبرة المسؤول الأمر. ف نظر بوارو إليه وهو يرف
برميشه بلفظ وقال: سيكون ذلك مجرد إجراء شكلي. أنت تفهم أن
ذلك ضروري لتقريرى.

- كما تحب.

أدعز الكونت متريماً، والحنى الثناء أجنبية قصيرة ثم غادر
عربة البطعم.

مد بوارو يده إلى أحد جوارات السفر. كان يحتوي على اسم
الكونت واللقاب، ثم المعلومات الأخرى: تصحبه زوجته. اسمها
الأول إيلينا، واسمها قبل الزواج: غولدنبرغ، العمر عشرون عاماً.
وكانت هناك بقعة من الدهن يبدو أن موظفاً مهملًا قد أسقطها في
وقت ما.

قال السيد بول: جواز سفر ديبلوماسى! يجب أن نكون
حريصين على ألا نسي. إليهما يا صديقى. لا يمكن أن نكون لهؤلاء
الناس علاقة بالجرىسة.

- اهدأ يا صديقى العزيز. سأكون لبقاً جداً، إنه مجرد إجراء
شكلي.

انخفض صوته حينما دخلت الكونتيسة أندريه عربة المطعم.
بدت خائفة وفاتنة جداً وهي تسأل: أتودون أن تروني أيها السادة؟

قال بوارو: إنه مجرد إجراء شكلي يا سيدي الكونتيسة.

نهض وانحنى لها مشيراً إلى المقعد الذي يقابله، ثم أضاف:
أود فقط أن أسألك إن كنت قد رأيت أو سمعت شيئاً ليلة أمس مما
قد يلقي بعض الضوء على الأمر.

- لا شيء أبداً يا سيد؛ لقد كنت نائمة.

- ألم تسمعي - مثلاً - ضجة في المقصورة التي بجانبك؟
فالسيدة الأميركية التي تشغلها أصيبت بحالة عصبية وقرعت الجرس
للمسؤول.

- لم أسمع شيئاً يا سيد؛ فقد تناولت عقاراً منوماً.

- آه! فهمت. حسناً، لا حاجة لأن أؤخرك هنا أكثر من
ذلك.

وفيما كانت تقف مسرعة قال: دقيقة واحدة فقط. هذه

المعلومات هنا: اسمك قبل الزواج وعمرك وما إلى ذلك... هل هي صحيحة؟

- صحيحة تماماً يا سيد.

- ربما توذين - إذن - أن توقعي هنا على صحة المعلومات.

وقعت بسرعة وبخط مائل مهيب: «إلينا أندرينه».

- هل رافقت زوجك إلى أميركا يا سيدتي؟

ابتسمت وتورد خذاها قليلاً وهي تقول: لا يا سيد، فلم تكن متزوجين حينئذ. لقد مضى على زواجنا ستة فقط.

- آه، نعم. شكراً يا سيدتي. بالمناسبة، هل يدخن زوجك؟

حدقت إليه وهي تقف استعداداً للمغادرة وقالت: نعم.

- الغليون؟

- لا، بل لفائف التبغ.

- آه، شكراً لك.

تريث وهي تراقبه بفضول، ثم سألته: لم سأنتني ذلك؟

لوح بوارو بيده قائلاً: إن المحققين يسألون كل أنواع الأسئلة

يا سيدتي. هلا أخبريني - مثلاً - ما هو لون قميص نومك؟

حدقت إليه ثم ضحكت قائلة: إنه بلون الذرة. أهذا مهم

حقاً؟

- مهم جداً يا سيدتي.

سألت بفضول: هل أنت محقق فعلاً، إذن؟

- في خدمتك يا سيدتي.

- لم أظن أنه يوجد محققون على القطار خلال عبورنا في يوغسلافيا.

- أنا لست محققاً يوغسلافياً يا سيدتي... إنني محقق دولي.

- أنت تنتمي إلى عصابة الأمم؟

قال بوارو بصورة درامية: إنني أنتمي إلى العالم يا سيدتي، ولكنني أعمل غالباً في لندن. هل تتحدثين الإنكليزية؟

سألها ذلك السؤال بالإنكليزية (وقد كانت محادثتهما - حتى ذلك الحين - بالفرنسية) فقالت: نعم، قليلاً.

كانت لكتتها محبة، وانحنى بوارو مرة أخرى قائلاً: لن نخورك أكثر من ذلك يا سيدتي. أتربين؟ لم يكن الأمر بتلك الفطاعة.

ابتسمت وأحنت رأسها ثم غادرت.

قال السيد بوك مقدراً: "يا لها من امرأة جميلة". ثم تنهد وقال: حسناً، ولكن ذلك لم يجعلنا نتقدم كثيراً.

قال بوارو: نعم - شخصاً لم يربأ شيئاً ولم يسمعاً شيئاً.

- هلاً رأينا الرجل الإيطالي الآن؟

ثم يجبه بوارو ثلث حطات، حيث كان يتفحص بقعة دهن على
جواز سفر ديبلوماسي هنغاري.

الفصل الثامن

إفادة العقيد آربوثوت

تنبه بوارو من تأملاته ببعض الجفلة، ولمعت عيناه قليلاً عندما
قابلتا عيني السيد بولك المتلهفتين وقال: آه يا صديقي القديم والعزيز!
لقد أصبحت ممن يملقون المترلة الاجتماعية، إذ أشعر أن علينا أن
نولي اهتمامنا للدرجة الأولى قبل الدرجة الثانية. ستقابل الآن العقيد
الوسيم آربوثوت.

لما وجد بوارو أن فرنسية العقيد محدودة للغاية أجرى المقابلة
باللغة الإنكليزية.

ثم التأكد من اسم آربوثوت وعمره وعنوانه وحياته العسكرية،
ثم تابع بوارو: أنت ذاهب إلى الوطن من الهند فيما يسمى بالإجازة...
ما ندعوه نحن الإذن؟

لم يعبأ العقيد آربوثوت بما تطلقه زمرة من الأجانب من
الأسماء على أي شيء وأجاب بإيجاز بريطاني تقليدي: نعم.

- ولكنك لم تسافر على متن سفينة نقل البريد والعسكريين؟

- نعم.

- لم لم تفعل؟

- اخترت السفر بطريق البر لأسباب خاصة بي.

بدأت طريقته في الكلام وكأنه يقول في نفسه: وهذه صفقة لك أيها المتطفل الوقح.

- هل قدمت من الهند مباشرة؟

أجاب العقيد بجفاء: توقفت ليلة واحدة لأرى «أور» مدينة الكلدانيين، وثلاثة أيام في بغداد عند المتدوب السامي الذي اتفق أنه كان صديقاً قديماً لي.

- توقفت ثلاثة أيام في بغداد، وقد فهمت أن الشابة الإنكليزية الأنسة دينتهام قدِمَتْ أيضاً من بغداد. هل قابلتها هناك؟

- لا، لم أقابلها. كانت أول مرة أقابل بها الأنسة دينتهام عندما ركبتا معاً عربة القطار من كركوك إلى نصيبين.

مال بورارو إلى الأمام، وبدأ أجنبياً أكثر مما يتطلب الأمر وهو يقول: إنني سوف أتوسل إليك يا سيدي؛ فأنت والأنسة دينتهام الإنكليزيان الوحيدان على القطار، ومن الضروري أن أعرف رأي كل منكما بالآخر.

قال العقيد آربوثنوت ببرود: هذا غير طبعي أبداً.

- ليس كذلك، فبالغالب أن امرأة هي التي ارتكبت هذه

الجريمة؛ إذ طعن الرجل ما لا يقل عن اثني عشرة مرة، حتى إن مسؤول القطار قال من فوره: "إنها امرأة!". فما هو أول ما ينبغي لي القيام به إذن؟ يجب علي أن أقوم بتقصُّ سريع لكل النساء المسافرات في عربة إسطنبول-كاليه، ولكن من الصعب أن يحكم المرء على النساء الإنكليزيات؛ فهن شديدات التحفظ. لذلك فإني أتوسل إليك -يا سيدي- خدمة للعدالة: أي نوع من النساء هي الأنسة دينتهام؟ وماذا تعرف عنها؟

قال العقيد بشيء من الحرارة: إن الأنسة دينتهام سيدة محترمة.

قال بورارو وقد أظهر كامل امتنانه: آه، إذن أنت لا تعتقد أنها يمكن أن تكون معنية بهذه الجريمة؟

قال آربوثنوت: هذه الفكرة سخيفة، فالرجل كان غريباً تماماً عنها وهي لم تره من قبل قط.

- هل أخبرتكَ بهذا؟

- نعم، كما أنها علقت فوراً على مظهره الكريه. لو أن امرأة هي المتورطة بهذا الأمر (كما يبدو أنك تظن...) بلا أي دليل برأني، ولكنها افتراضات فقط؛ فإني أؤكد لك أن الأنسة دينتهام لا يمكن أن تكون متورطة.

قال بورارو مبتسماً: إنك متحمس قليلاً لهذا الأمر.

رمقه العقيد آربوثنوت بنظرة باردة وقال: لا أعرف ماذا تعني؟

بدأ أن هذه النظرة قد أخرجت بوارو فأسقط نظره وبدأ يعثر بالأوراق أمامه، ثم قال: كل هذا لا يعنينا... فلتكن عمليين ونُعَدَّ إلى الحقائق. فدبنا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أن هذه الجريمة وقعت في الواحدة والرابع من ليلة أمس، وكجزء من الروتين الضروري يجب علينا أن نسأل كل واحد على القطار ماذا كان يفعل في ذلك الوقت.

- تماماً. حسب ما أذكر فقد كنتُ في الواحدة والرابع أتحدث مع الشاب الأميركي، سكرتير الرجل الميت.

- هل كنت في مقصورته، أم كان هو في مقصورتك؟

- بل كنت أنا في مقصورته.

- أهو الشاب الذي يدعى ماكوين؟

- نعم.

- أكان صديقاً لك أم كانت مجرد معرفة عابرة؟

- لم أره قبل هذه الرحلة، وقد بدأنا حديثاً عابراً أمس ثم تنامي اهتمامنا ليس من عاداتي أن أحب الأميركيين وليس لي أية حاجة بهم...

ابنسم بوارو وهو يتذكر انتقاد ماكوين للبريطانيين.

- ... ولكنني أعجبت بهذا الشاب. لقد كانت لديه بعض الأفكار الخرقاء عن الوضع في الهند (وهذا أسوأ ما في الأميركيين).

فهم مثاليون ذوو عواطف ساذجة)، ولكنه كان مهتماً بما أقوله، فلدي خبرة ثلاثين عاماً في تلك البلاد. وقد كنتُ مهتماً بما يقوله عن الوضع المالي في أميركا، ثم بدأنا نتحدث عن السياسة العالمية عموماً. وقد ذهبت عندما نظرتُ إلى ساعتني ووجدتها تشير إلى الثانية إلا ربعاً.

- أهذا هو الوقت الذي توقفت فيه محادثتكما؟

- نعم.

- ماذا فعلت بعد ذلك؟

- مشيت إلى مقصورتي ودخلت.

- هل كان سريرك مُعَدّاً.

- نعم.

- إنها المقصورة رقم... دعني أنظر... ١٥، المقصورة قبل الأخيرة من جهة عربطة المطعم؟

- نعم.

- أين كان مسؤول التذاكر عندما ذهبت إلى مقصورتك؟

- كان يجلس خلف طاولة صغيرة في نهاية العربطة، والحقيقة أن ماكوين ناداه في نفس الوقت الذي كنت أدخل فيه إلى مقصورتي.

- لماذا ناداه؟

- لِيَعْدَ له سريرَه على ما أظن، فهو لم يكن معداً بعد.

- والآن أريدك أن تفكر بكل تركيز أيها العقيد أربوثوت. أثناء حديثك مع ماكوين، هل مر أحد غير الممر خارج المقصورة؟

- مر كثير من الناس كما أظن، فلم أعر الأمر انتباهاً.

- آه، ولكنني أقصد أثناء الساعة والنصف الأخيرة من الحديث، لقد خرجتما في فينكوفشي، أليس كذلك؟

- بلى، ولكن لدقيقة فقط، حيث كانت هناك عاصفة ثلجية وكان البرد قارساً مما جعل الممر يتوق للعودة إلى الجو العفن. ويرأيي أن تدفئة هذه القطارات إلى هذا الحد أمر مُحْزٍ!

تنهد السيد بوك وقال: يصعب إرضاء الجميع، فالإنكليز يفتخون كل شيء، ثم يأتي الآخرون ويغلقون كل شيء. الأمر صعب للغاية!

لم يُعْزِه كل من بوارو والعقيد أربوثوت انتباهاً، وقال بوارو مشجعاً: حسناً يا سيدي، عُدْ بذاكرتك إلى الورا. كان الطقس بارداً جداً في الخارج فعدتما إلى القطار ثم جلست ثانية ودَخَنْتَ لفاقة تبع أو ربما الغليون...؟

صمت لحظه من الثانية، ثم قال: أنا أدخن الغليون، وماكوين يدخلن التبغ.

- بدأ القطار سيره ثانية، فدَخَنْتَ الغليون ثم ناقشتما الوضع في أوروبا وفي العالم، والوقت متأخر الآن وقد أوى معظم الناس

إلى أسرَتهم. فهل مر أحد من أمام الباب... تذكر؟

قطب أربوثوت جبينه في محاولة للتذكر ثم قال: يصعب عليّ الجزم، فلم أكن متنبهاً لهذا الأمر.

- ولكنك تمتلك قدرة الجندي على ملاحظة التفاصيل. إنكم تنبهون دون أن تنبهوا لذلك إذا صح التعبير.

فكر العقيد ثانية ولكنه هز رأسه نائياً وقال: لا أستطيع القول، فلا أذكر أن أحداً من سوى مسؤول التذاكر. انتظر لحظة... كانت هناك امرأة أيضاً على ما أظن.

- هل رأيتها؟ أكانت شابة أم متقدمة في السن؟

- لم أرها، إذ لم أكن أنظر في ذلك الاتجاه، بل سمعتُ خفياً فقط وشممتُ رائحة.

- رائحة؟ أكانت رائحة طيبة؟

- كانت فاكهة، إن كنت تعرف ما أعنيه. من النوع الذي تستطيع أن تشمه عن بعد مئة متر.

ولكن الكولونيل استدرك بسرعة: ولكن دعني أذكرك بأن ذلك ربما كان في وقت مبكر من المساء. فكما قلت قبل قليل، لقد كان أحد الأمور التي تلاحظها دون أن تتعمد ذلك. في وقت ما من ذلك المساء قلت في نفسي: عطر تسائي... إن إحداهم قد وضعت الكثير منه. ولكن لا أستطيع أن أحدد متى كان ذلك. ولكن نعم، لا بد وأن ذلك حدث بعد فينكوفشي.

- لماذا؟

- لأنني أتذكر أنني شممت الرائحة عندما كنت أتحدث عن الفشل الذريع لخطة ستالين الخمسية، فقد جعلتني فكرة النساء أفكر في نساء روسيا، وأعلم أننا لم نتحدث في موضوع روسيا إلا قرب نهاية محادثتنا.

- ألا نستطيع أن نتحدث الوقت أكثر من ذلك؟

- نعم، لا أستطيع، ولكن لا بد من أن ذلك حدث عموماً في نصف الساعة الأخيرة.

- أكان ذلك بعد أن توقف القطار؟

- أوما الآخر برأسه موافقاً وقال: نعم أكاد أكون متأكداً من ذلك.

- حسناً، فلنتطرق إلى موضوع آخر. هل ذهبت يوماً إلى أميركا أبها العقيد أربوثنوت؟

- أبداً، ولا أريد أن أذهب.

- هل عرفت يوماً ضابطاً باسم أرمسترونغ؟

- أرمسترونغ... أرمسترونغ؟ عرفت اثنين أو ثلاثة، تومي أرمسترونغ من الكتبة الستين، أتعيه؟ وسيلبي أرمسترونغ الذي قُتل في معركة سوم.

- أعني العقيد أرمسترونغ الذي تزوج أميركية والذي اختطفت ابنته الوحيدة وقُتلت.

- آه، نعم. أذكر أنني قرأت عن ذلك... كانت قضية قطيعة.

لا أظن أنني التقيت بالرجل، إلا أنني أعرف عنه بالطبع. أما تومي أرمسترونغ فقد كان رجلاً لطيفاً، أحبه الجميع وكانت له خدمة مميزة ونال وسام صليب فيكتوريا.

- إن الرجل الذي قُتل ليلة أمس كان مسؤولاً عن مقتل طفلة العقيد أرمسترونغ.

تجههم وجه أربوثنوت وقال: إذن فقد استحق العقيد ما ناله برأيي، إلا أنني كنت أفضل أن أراه يُشنق أو يضعق بالكروسي الكهربائي حسب الأصول هناك.

- إذن فأنت تفضل القانون والنظام - يا عقيد أربوثنوت - على الثأر الشخصي؟

قال العقيد: لا يمكننا الدخول في منازعات دموية قطعن بعضنا بعضاً على أسلوب الكورسيكيين أو العافيا. لك أن ترى ما نشاء، ولكن المحاكمة بواسطة هيئة محلفين تبقى نظاماً صالحاً.

نظر بورو نحوه مفكراً لبرهة ثم قال: نعم، أنا متأكد من أن هذه هي وجهة نظرك. حسناً يا عقيد أربوثنوت، لا أظن أن عندي المزيد من الأسئلة. ألا يوجد أمر تتذكره ليلة أمس ورأيت فيه ما يشير للشكوك، أو ترى فيه الآن ما يشير للشكوك وأنت تستعيده؟

فكر أربوثنوت لبرهة ثم قال: "لا، أبداً... إلا إذا...". ثم توقف متردداً.

- نعم؟ أكمل، أرجوك.

قال أريوثوت ببطء: إنه غير مهم حقاً، ولكنك قلت: أي شيء.

- نعم، نعم. تابع كلامك.

- إنه لا شيء... نقطة بسيطة، ولكن عندما عدت إلى مقصوري لاحظت أن باب المقصورة التي تلي مقصوري (المقصورة الأخيرة) كما تعلم...

- نعم، رقم ١٦.

- لم يكن بابها مغلقاً تماماً، وكان الرجل الذي بداخلها يُطل إلى الخارج بصورة مأكرة، ثم أغلق الباب بسرعة. أعلم - بالطبع - أنه لا ضير في ذلك، إلا أنني رأيته غريباً بعض الشيء. أعني أن من الطبيعي جداً أن تفتح باب مقصورتك وتطل برأسك إذا أردت أن ترى شيئاً ما، إلا أن الطريقة المأكرة التي فعل بها ذلك هي التي لفتت انتباهي.

قال يوارو بشيء من الشك: نعم.

قال أريوثوت معتذراً: أخبرتك أنه لم يكن أمراً مهماً، ولكنك تفهم الوضع. الساعات الأولى من الصباح... وكل شيء هادئ جداً. بدا في الأمر شيء من الشر... مثل القصص البوليسية. ولكنه غير مهم في الواقع.

ثم نهض قائلاً: حسناً، إذا لم تبقى حاجة لي...

- شكراً أيها العقيد أريوثوت، لا يوجد شيء آخر.

تردد الجندي للحظة وقد تبخر ما انتابه بدايةً من كره طبيعي لمسألة استجوابه من قبل مجموعة من الأجانب، وقال بشيء من الحرج: بالنسبة للأنسة ديينهام، يمكنك أن تعتمد علي في أنها امرأة جيدة.

وحين انصرف بعيداً شرد يوارو بذهنه قليلاً وهو ينظر لحناً على الطاولة ثم نظر إلى الأعلى وقال: إن العقيد أريوثوت يدخن الغليون، وقد عثر على منظم غليون في مقصورة السيد راتشيت الذي كان يدخن السيفار فقط.

- هل تظن...؟

- إنه الرجل الوحيد الذي اعترف بأنه يدخن الغليون وقد عرّف عن العقيد أرمسترونغ وربما كان يعرفه شخصياً لكنه لم يعترف بهذا.

- إذن فأنت ترى أن من الممكن...

- هز يوارو رأسه ناعياً بعف وقال: ولكن هذه هي المشكلة، إنه مستحيل... مستحيل أن يعمد إنكليزي مستقيم لا يخلو من بلاءة إلى طعن عدوه اثني عشرة مرة بسكين! ألا تشعر بمدى استحالة هذا التصرف يا صديقي؟

قال السيد بوك: هذا هو الجانب السيكولوجي.

- يجب على المرء أن يحترم الجانب السيكولوجي. إن هذه

الجريمة لحمل توقيعاً، ولكنه بالتأكيد ليس توقيع العقيد أربوشوت.
والآن إنى مقابلتنا التالية.

في هذه المرة لم يذكر السيد بولك الرجل الإيطالي، ولكنه
فكر فيه.

الفصل التاسع إفادة السيد هاردمان

كان آخر مسافر من الدرجة الأولى تتم مقابلته هو السيد
هاردمان، وهو الأميركي الضخم المحب للظهور، الذي شارك
الرجل الإيطالي والخادم على طاولة الطعام.

كان يلبس بدلة ذات نقش مربع وألوان صارخة بعض الشيء
وقميصاً وردياً ودبوساً لامعاً يمسك بربطة عنقه، وكان وجهه ضحكاً
مستلثاً ذا ملامح خشنة وسمته يوحى بطبيعة مريحة.

قال: صباح الخير أيها السادة، بماذا أستطيع أن أفيدكم؟

- هل سمعت بجريمة القتل هذه يا سيد... هاردمان؟

- بالتأكيد.

- إننا نقابل جميع الركاب على القطار من باب الضرورة.

- لا بأس بذلك بالنسبة إليّ، وأظن أن هذه هي الطريقة
الوحيدة للقيام بهذا العمل.

نظر يوارو إلى جواز السفر الموضوع أمامه وقال: أنت سايروس هاردمان، مواطن أميركي، وعمرك ٤١ عاماً، وأنت مندوب مبيعات متنقل لشرايط الآلات النطابعة؟

- نعم: هذا أنا.

- وهل أنت مسافر من إسطنبول إلى باريس؟

- هذا صحيح.

- والسبب؟

- عمل.

- هل تسافر دوماً بالدرجة الأولى يا سيد هاردمان؟

- نعم؛ فالشركة تدفع لي مصاريف السفر.

- والآن يا سيد هاردمان، نأتي إلى أحداث الليلة الماضية.

أوماً الأميركي برأسه موافقاً، فسأله يوارو: ماذا تستطيع أن تخبرنا عن الموضوع؟

- لا شيء أبداً.

- آه، يا للأسف! ربما تستطيع - يا سيد هاردمان - أن تخبرنا ماذا فعلت بالضبط ليلة أمس بعد العشاء؟

لأول مرة لم يبدُ الأميركي جاهزاً بإجابته، وأخيراً قال: اعذروني أيها السادة، ولكن من أنتم بالضبط؟ أعلموني بذلك.

- هذا هو السيد بوك مدير شركة الخطوط العالمية، وهذا السيد هو الطبيب الذي فحصت الجثة.

- وأنت؟

- أنا هيركيول يوارو، وقد طلبت مني الشركة أن أحقق في الأمر.

قال السيد هاردمان: "لقد سمعت عنك"، وفكر لدقيقة أو اثنتين ثم قال: من الأفضل أن أفصي بما لدي.

قال يوارو: إنه لمن الحصافة بالتأكيد أن نخبرنا بكل ما تعرف.

- لقد كنت محققاً تماماً لو أنني أعرف شيئاً بالفعل، ولكني لا أعرف. لا أعرف شيئاً كما قلت، ولكن كان من المفروض أن أعرف، وهذا ما يؤلمني... كان يجب أن أعرف.

- أرجو تفسير ذلك يا سيد هاردمان.

تنهذ السيد هاردمان ثم مدّ يده إلى جيبه، وفي نفس الوقت بدا أن شخصيته كلها قد تغيرت وأصبح رجلاً حقيقياً أكثر منه ممثلاً، وتغيرت قليلاً نبرة صوته التي كانت تصدر من الأنف. قال: جواز السفر ذلك زائف بعض الشيء، وهذه هي شخصيتي الحقيقية.

تمعن يوارو بالبطاقة التي ناوله إياها، ونظر السيد بوك من فوق كتفه فقراً: "السيد سايروس ب. هاردمان، وكالة مكنتيل للتحريات، نيويورك".

عرف بوارو اسم الوكالة، فقد كانت واحدة من أكثر وكالات التحريات الخاصة شهرة واحتراماً في نيويورك. قال: حسناً يا سيد هاردمان، فلنسمع منك معنى هذا.

- بالتأكيد، فقد حصلت الأمور كالتالي: أتيتُ إلى أوروبا أتتبع أثر مُجرمين اثنين، وليس لذلك أية علاقة بهذه القضية. وانتهت المطاردة في إسطنبول وأُبرفت إلى الرئيس فأعطاني تعليماته بالرجوع، وكنت سأذهب في طريق عودتي إلى نيويورك لولا أنني استلمت هذه.

دفع برسالة عبر المائدة، وكانت مكتوبة على الورق الرسمي لفتدق توكاتيليان، وقد جاء فيها:

سيدي العزيز،

لقد تم إعلامي بأنك أحد موظفي وكالة مكتيل للتحريات، أرجو أن تأتي إلى الجناح الذي أقيم فيه، في الساعة الرابعة من هذا المساء.

س. راتشيت

قال بوارو: حسناً، وبعد؟

- ذهبت إلى السيد راتشيت في الوقت المذكور فأعلمني بالوضع، حيث أطلعني على رسالتين وصلته.

- أكان خائفاً؟

- تظاهر بأنه غير خائف، إلا أنه كان خائفاً فعلاً. وقد قدم

لي عرضاً بأن أسافر معه على نفس القطار حتى باريس وأناكد ألا يصل إليه أحد. حسناً أيها السادة، لقد سافرت معه ولكن -رغم ذلك- وصل أحدهم إليه. وإنتي متأكد لك حقاً، إذ لا يبدو هذا جيداً في حقي.

- هل أرشدك إلى ما يجب عليك أن تقوم به؟

- بالتأكيد؛ لقد كانت لديه خطة معينة، وكان من رأيه أن أشغل المقصورة التي بجانب مقصورته، إلا أن ذلك لم يتحقق، والمكان الوحيد الذي استطعتُ الحصول عليه هو المقصورة رقم ١٦ ولكن بصعوبة بالغة، وأظن أن مسؤول التذاكر يحب أن يتركها للطوارئ. ولكن هذا لا يعنيني... عندما نظرت إلى الوضع بأكمله وجدتُ أن موقع المقصورة رقم ١٦ استراتيجي جداً؛ فلم يكن أمام عربة إسطنبول سوى عربة المطعم، وكان باب العربة الأمامي الذي يؤدي إلى الرصيف يُعَلَّق أثناء الليل، فالمكان الوحيد -إذن- الذي يمكن أن يدخل منه المجرم هو إما عن طريق باب العربة الخلفي أو من العربات الخلفية للقطار. وفي أي من هاتين الحالتين لا بد من أن يمر أمام مقصورتي.

- لا أظنك كنت تعلم شيئاً عن هوية القاتل المحتمل؟

- أعرف كيف يبدو، فقد وصفه لي السيد راتشيت.

- ماذا؟

مال ثلاثتهم إلى الأمام بشغف، ومضى هاردمان في حديثه: رجل صغير أسمر ذو صوت نسائي. هذا ما قاله لي العجوز، وقال

لي أيضاً إنه لا يظن بأن شيئاً سيحدث في الليلة الأولى ولكن على الأغلب في الثانية أو في الثالثة.

قال السيد بولك: لقد كان يعرف شيئاً.

قال بوارو مفكراً: كان يعرف أكثر مما قاله لسكرتيره بالتأكيد. هل أخبرك شيئاً عن عدوه هذا؟ هل قال لماذا كانت حياته مهددة مثلاً؟

- لا. كان مكتئباً نوعاً ما حول هذا الجزء، وكل ما قاله هو أن الرجل يسعى لقتله وهو مصمم على ذلك.

قال بوارو مفكراً: رجل صغير أسمر ذو صوت نسائي!

ثم صوب نظرة حادة نحو هاردمان وقال: لقد كنت تعرف بالطبع من هو حقاً؟

- من؟

- رانشيت. لقد عرفته أليس كذلك؟

- لا أفهمك.

- لقد كان رانشيت هو كاسيتي؟ القاتل في قضية آرمسترونغ.

أطلق السيد هاردمان صَغرة طويلة وقال: هذه حقاً مفاجأة كبيرة! لا، لم أعرفه؛ فقد كنت بعيداً في الغرب عندما حدثت تلك القضية. أظنني رأيت صوراً له في الصحف ولكنني لا أستطيع أن أعرف حتى أتي عندما يتولى مصور الصحف تصويرها. لا أشك أن

بعض الناس كانوا يترصدون بكاسيتي.

- هل تعرف أحداً على صلة بقضية آرمسترونغ ممن تنطبق عليه تلك الأوصاف: صغير أسمر ذو صوت نسائي؟

فكر هاردمان لدقيقة أو اثنتين ثم قال: يصعب الجزم بذلك، فجميع من لهم علاقة بتلك القضية تقريباً قد ماتوا.

- كانت هناك القناة التي ألفت نفسها من النافذة، أتذكر ذلك؟

- بالتأكيد، وهذه نقطة جيدة. لقد كانت أجنبية، وربما كان لها أقارب إيطاليون. ولكن يجب أن تتذكر أن كاسيتي كان متورطاً بقضايا أخرى غير قضية آرمسترونغ، فقد استمر كاسيتي في الاختطاف لبعض الوقت ولا تستطيع أن تركز على هذه القضية فقط.

- نعم، ولكن لدينا ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن هذه الجريمة مرتبطة بقضية آرمسترونغ.

صوب السيد هاردمان نظرة مستفسرة نحوه، إلا أن بوارو لم يفصح عن كلامه. فبهز الأميركي رأسه وقال ببطء: لا أستطيع أن أتذكر أي شخص تنطبق عليه هذه الأوصاف في قضية آرمسترونغ، ولكنني لم أكن معنياً بتلك القضية ولا أعرف الكثير عنها على أية حال.

- حسناً يا سيد هاردمان، أكمل سرك.

- لا يوجد الكثير لأقوله، فقد كنت أنام في النهار وأظلم مستيقظاً في الليل لأراقب. ولم يحدث شيء خلال الليلة الأولى

ولا في اثنيثة الماضية على حد علمي. فقد تركت باب مقصورتني
مفتوحاً قليلاً وبقيت أراقب. إلا أن أحداً غريباً لم يمر.

- هل أنت متأكد من ذلك يا سيد هاردمان؟

- أنا متأكد تماماً؛ فلم يصعد أحد إلى الفطار من الخارج.
ولم يأت أحد من العريبات الأخرى إلى تلك العربة، وإني أستطيع
أن أقسم على ذلك.

- هل كنت تستطيع رؤية مسؤول التذاكر من موقعك؟

- بالتأكيد؛ فهو يجلس على ذلك الكرسي الصغير على مستوى
باب مقصورتني.

- هل غادر ذلك الكرسي أبداً بعدما توقف الفطار في
فينكوفشي؟

- آكدت تلك المحطة الأخيرة؟ نعم، لقد ردت على جرسين بعد
أن توقف الفطار تماماً، ثم بعد ذلك من أمامي إلى العربة الخلفية،
وبقي هناك نحو ربع ساعة، ثم بدأ جرس يقرع بجنون فعاد يركض.
وقد وقعت في السمر لأرى ما الأمر، إذ توترت أعصابي بعض
الشيء. ونم تكن سوى تلك المرأة الأميركية التي أحدثت ضجة
كبيرة بسبب ما مما جعلني أضحك. ثم ذهب إلى مقصورة أخرى
وعاد وأخذ زجاجة من المياه المعدنية لشخص ما، وبعد ذلك جلس
في كرسيه إلى أن ذهب إلى الطرف الآخر من العربة ليعد سرب
شخص ما، ولا أضنه تحرك من مكانه بعد ذلك حتى الخامسة من
هذا الصباح.

- هل رأيته يغفو قط؟

- هذا ما لا أستطيع الجزم به، ربما فعل.

هز بوارو رأسه، وبحركة آلية رتب الأوراق أمامه على الطاولة،
ثم حمل البطاقة الرسمية مرة أخرى وقال: هلاً تلتفتت ووضعت
توقيعك على هذه.

استجاب هاردمان لطلبه، فسأله: هل يوجد أحد يستطيع أن
يؤكد ما قلته عن هويتك يا سيد هاردمان؟

- على هذا الفطار؟ لا أظن. إلا إذا كان الشاب ماكوين، فأنا
أعرفه جيداً حيث رأيته في مكتب أبيه في نيويورك، ولكن هذا لا يعني
أنه يستطيع التعرف إلي من بين حشد من موظفي الوكالة، لا يا سيد
بوارو، يجب أن تنتظر حتى تخف الثلوج وتبرق إلى نيويورك، ولكن
لا عليك، فلم أخلق لك قصة. مع السلامة إذن يا سادة، وقد سررت
بلقاءك يا سيد بوارو.

سأله بوارو وهو يغادر: هل تدخن الغليون؟

- لست من مستخدميها.

تبادل الرجال الثلاثة النظرات، ثم سأل الدكتور كونستانتين:
أنظنه صادقاً؟

- نعم، نعم. أعرف هذا النوع من الرجال، وبالإضافة إلى ذلك
فهذه قصة سهل فحصها.

قال السيد بولك: لقد أعطانا دليلاً مثيراً جداً.

- نعم حقاً.

قال السيد بولك متأملاً: رجل صغير أسمر ذو صوت نسائي.

قال بوارو: إنه وصف لا ينطبق على أحد في هذا القطار.

* * *

الفصل العاشر

إفادة الإيطالي

قال بوارو وعيناه تلتمعان: والآن سوف تسعد قلب السيد بولك ونرى الرجل الإيطالي.

دخل أنطونيو فوسكاريللي عربة المطعم بخطوة سريعة كخطوة القط. كان وجهه مشرقاً ومثالاً للوجه الإيطالي وأسمر من أثر الشمس، وكان يتكلم الفرنسية بطلاقة ولكن بلكنة بسيطة جداً.

- هل اسمك هو أنطونيو فوسكاريللي؟

- نعم يا سيدي.

- أرى أنك مُتجنس بالجنسية الأميركية؟

ابتسم وقال: نعم، فهذا أفضل لأعمالي.

- أنت وكيل لسيارات فورد؟

- نعم، فالأمر كما ترى...

تبع ذلك شرح مهذار، وفي نهايته عرف الرجال الثلاثة كل شيء عن أعمال هوسكاويللي وظرفه ورحلاته ودخله ورأيه في الولايات المتحدة وفي الدول الأوروبية، ولم يغب عنهم من تلك المعلومات إلا ما لا يؤت له، لم يكن من ذلك النوع من الرجال الذين تضطر لسحب المعلومات منهم، فقد كانت تندفع منه اندفاعاً.

أشرف وجهه الطفولي الطيب بالرضا عندما توقف أخيراً كتعبير بلاغي أخير، ومسح جبهته بمندبل قائلاً: لذلك فإني أقوم بصفقات كبرى كما ترون، وأنا متابع لأحر المستجدات وأفهم فنون البيع!

- إذن فقد بقيت في الولايات المتحدة خلال السنوات العشر الماضية، بما في ذلك رحلاتك خارجها؟

لعمري يا سيدي، آه! ما زلت أذكر اليوم الأول الذي ركبت فيه السفينة إلى أميركا، كانت بعيدة جداً، وأمي وأختي الصغيرة...

أوقف بوارو طوقان الذكريات هذا قائلاً: هل صدف أن التقيت بالتقيل أثناء تنقلاتك في الولايات المتحدة؟

- أيداً، إلا أنني أعرف من أي نوع هو. آه، نعم! إنه يبدو محنوماً جداً ويلبس ملابس جيدة جداً، ولكنه فاسد من الداخل وأستطيع أن أقول - من خبرتي - إنه محتال كبير، وهذا هو رأيي الخاص.

قاز بوارو: إن رأيك صحيح تماماً، قرأتشيت كان كامبيني المختطف.

- بماذا أخبرتكم؟ لقد تعلمت أن أكون حادقاً في قراءة الوجوه، وهذا ضروري، في أميركا فقط يعلمون الناس كيف يبيعون بالطريقة الصحيحة.

- هل تذكر قضية أرمسترونغ؟

- لا أذكر تماماً، أعني اسم أرمسترونغ؟ أظنها كانت طفلة صغيرة، أليس كذلك؟

- بلى، وكانت مأساة كبيرة.

يبدو أن الإيطالي هو أول شخص يعترض على هذا الرأي، فقد قال متلفساً: آه، تحدث مثل هذه الأمور في حضارة عظيمة كأميركا...

قاطعه بوارو قائلاً: هل صدف أن التقيت قط بأحد أفراد عائلة أرمسترونغ؟

- لا، لا أظن ذلك، ولكن يصعب عليّ الجزم، سأعطيك بعض الأرقام: في العام الماضي وحده بعث...

- سيدي، أرجوك أن تلتزم بموضوع السؤال.

رفع الإيطالي يديه بإشارة اعتذار وقال: آسف معذرة.

- أخبرني، إذا سمحت: كيف كانت تحركاتك بعد العشاء ليلة أمس.

- بكل سرور، مكثت على العشاء أطول فترة ممكنة، فهذا

- قلت إنك تدخن... ماذا؟ الغليون؟

- بل لفائف التبغ فقط.

عرض عليه بوارو واحدة قبلها، وسأله السيد بوك: هل ذهبت إلى شيكاغو قط؟

- نعم، ولكن المدن التي أعرفها أكثر هي نيويورك وواشنطن وديترويت. هل ذهبت أنت إلى أميركا؟ لا؟ يجب أن تذهب. إنها...

دفع بوارو بورقة أمامه وقال: هلاً وقَعْتَ هذه وكتبت عنوانك عليها إذا سمحت؟

كتب الإيطالي بكل أريحية، ثم نهض وهو ينسجم ابتسامته الأسرة كعهدها دوماً وقال: أهذا كل ما لديكم؟ طاب يومكم أيها السادة، وأتمنى لو نستطيع أن نخرج من هذه الثلوج، فلديّ موعد في ميلانو...

هز رأسه بأسى ثم قال: "سوف أخسر الصفقة"، ثم غادر العربة.

نظر بوارو نحو صديقه، فقال بوك: لقد أمضى فترة طويلة في أميركا، وهو إيطالي، والإيطاليون يستخدمون السكاكين، وهم كثيرون الكذب! إنني لا أحب الإيطاليين.

قال بوارو مبتسماً: حسناً، قد تكون على حق، ولكنني أود أن أوضح لك - يا صديقي - بأنه لا يوجد دليل أبداً ضد الرجل.

أدعى إلى المتعة. وتحدثت إلى الرجل الأميركي الذي كان يجلس إلى طاولتي (الذي يبيع شرائط آلات الطباعة)، ثم عدت إلى مقصوري ووجدتها فارغة، حيث كان الرجل التعس الذي يشاركني فيها عند سيده ينتد له طلباته. وأخيراً عاد بوجه جامد كالعادة، ولم يتحدث كثيراً؛ فكل ما يقوله هو "نعم" و"لا". إنهم عرق غريب، هؤلاء الإنكليز... ليس فيهم ذلك التعاطف. وقد جلس مشدوداً في الركن يقرأ كتاباً، ثم أتى مسؤول التذاكر فأعدّ سريريّنا.

تمتم بوارو: رقمي ٤ و ٥.

- بالضبط، في المقصورة الأخيرة، وسريري هو العلوي منهما. صعدت هناك فدخلتُ وقرأت، وكان الإنكليزي الصغير يعاني من ألم في أسنانه على ما أظن فأخرج زجاجة صغيرة تحتوي على مادة ذات رائحة نقّادة، ثم استلقى في سريره وبدأ يتأوه. أما أنا فقد نمت، وكلما صحت كنت أسمع يتأوه.

- هل غادر المقصورة أثناء الليل؟

- لا أظن ذلك، ولو فعل لكنّ سمعته، كما أن الضوء الذي يدخل المقصورة من الممر عندما يُفتح الباب يوقظني آلياً؛ إذ ظلّ الممر أنه وصل إلى نقطة جمارك الحدود.

- هل تكلم قط عن سيده؟ هل أبدى أية عداوة تجاهه؟

- أخبرتك أنه لم يتكلم كثيراً ولم يكن عاطفياً. كان كالسمكة؛ بلا عواطف.

- وماذا عن الأمور السيكولوجية؟ ألا يطلع الإيطاليون؟

قال بوارو: بالتأكيد، وخصوصاً في حماة مشاجرة ساخنة. ولكن هذه... هذه جريمة من نوع مختلف، ولدي فكرة صغيرة - يا صديقي - بأنه قد تم التخطيط لهذه الجريمة وارتكابها بعناية فائقة. إنها جريمة تتم عن بعد في النظر وتركيز في التخطيط، إنها ليست جريمة لائحية تتم في فورة غضب، بل جريمة تُظهر آثاراً لعقل بارد متطور وواسع الحيلة، وأظنه عقلاً أنكلوسكسونياً.

ثم تناول آخر جوازين وقال: دعونا الآن نقابل الأنسة ماري دينهام.

الفصل الحادي عشر إفادة الأنسة دينهام

عندما دخلت ماري دينهام غرفة المطعم تأخذ بوارو من رأسه السابق فيها. كانت متألقة جداً بملابسها، إذ كانت تلبس بدلة سوداء وقميصاً فرنسياً رمادي اللون. وكانت تموجات شعرها الأسود مرتبة هادئة، كما كان سلوكها هادئاً مستقراً كشعرها.

جلست مقابل بوارو والسيد بوك ونظرت نحوهما مستفسرة، قبدأ بوارو قائلاً: اسمك ماري هيرميون دينهام، وعمرك ستة وعشرون عاماً؟

- نعم.

- وأنت إنكليزية؟

- نعم.

- هلاً نلطفك - يا أنسة - وكتبت عنوانك على هذه الورقة؟

استجابت لطلبه، وكانت كتابتها واضحة ومقروءة.

- والآن يا آنستي، ماذا لديك لتخبرينا به عن ليلة أمس؟

- أخشى من أنه لا يوجد لدي ما أقوله؛ فقد أويتُ إلى سريري ونمت.

- هل حزنت كثيراً لأن جريمة قد ارتكبت على هذا الفطار يا آنسة؟

من الواضح أن السؤال لم يكن متوقعاً؛ فقد اتسعت عيناها الرماديتان قليلاً وقالت: أنا لا أفهمك تماماً.

- لقد طرحْتُ سؤالاً بسيطاً جداً يا آنسة، وسوف أعيده: هل حزنت كثيراً لأن جريمة قتل قد ارتكبت على هذا الفطار؟

- لم أفكر بالأمر من هذه الزاوية حقاً، لا، لا يمكنني القول إنني حزنت أبداً.

- هل الجرائم أمر طبيعي في حياتك اليومية؟

قالت ماري ديبتهام بهدوء: من الطبيعي أن حدوث هذا أمر كريمة.

- أنت أنكلوسكسونية صرفة يا آنسة؛ لا مكان لديك للمواطف.

ابتسمت قليلاً وقالت: أخشى أنني لست مضطرة للصراخ لأثبت عقلانيتي؛ فالناس يموتون يومياً.

- نعم يموتون، ولكن جرائم القتل أكثر ندرة بعض الشيء.

- آه، بالتأكيد.

- ألم تكوني على معرفة بالرجل الميت؟

- رأيته لأول مرة عندما تناولنا الغداء هنا يوم أمس.

- ماذا كان شعورك نحوه؟

- لم أكد ألاحظه.

- ألم تشعرني بأنه شخصية شريرة؟

رفعت كتفها قليلاً وقالت: لا أستطيع أن أقول إنني فكرت في ذلك حقاً.

نظر بوارو نحوها بحدة، ثم قال وهو يرمش بعينيه: أظن أنك تزدرين قليلاً الطريقة التي أجري بها تحقيقي وتظنين أنها ليست الطريقة التي يتم بها التحقيق في إنكثترا؛ فكل شيء هناك واضح ومباشر، والأمر يقتصر على الحقائق، ويكون التحقيق عملية مرتبة منظمة. أما أنا - يا آنسة - فإن لي شيئاً من الفرد؛ فأنا أنظر - أول ما أنظر - إلى الشاهد وأحلل شخصيته وأوجه أسئلتي وفقاً لذلك. قبل دقائق قليلة كنت أسأل شخصاً يرغب في قول كل ما لديه من أفكار حول كل موضوع. في هذه الحالة أبقي أسئلتي متعلقة بصلب الموضوع وأريده أن يجيبني تبعم أو بلا، هذا أو ذاك. ثم أتيت أنت، ورايت فوراً أنك ستكونين مُنظمة ومنهجية وأنت سوف تلتزمين بالنقطة التي أُثيرت وستكون إجابتك مختصرة وتقتصر على صلب الموضوع. ولأن الطبيعة البشرية شاذة بعض الشيء يا آنسة، فإنني

أسألك أسئلة مختلفة... أسألك عن شعورك وعن رأيك. ألا تعجبين هذه الطريقة؟

- أرجو أن تعذرني في قلبي هذا. ولكن يبدو أن في هذا مضبغة للوقت نوعاً ما. إذ لا يبدو مرجحاً أن يساعد ارتياحي أو عدم ارتياحي لوجه السيد راثشيت على العثور على من قتله.

- هل تعرفين هوية راثشيت الحقيقية يا آنسة؟

أومات برأسها بالإيجاب قائلة: لقد تولت السيدة هوبارد إيلاغ الجميع بذلك.

- وما هو رأيك بقضية آرسترونغ؟

قالت الفتاة بانتصاب وسرعة: كانت بغیضة جداً.

نظر إليها يوارو مفكراً ثم قال: أظنك مسافرة من بغداد يا آنسة دينينهام؟

- نعم.

- إلى لندن؟

- نعم.

- ماذا كنت تفعلين في بغداد؟

- كنت مربية لطفلين.

- هل ستعودين إلى عملك بعد الإجازة؟

- لست متأكدة.

- لماذا؟

- إن بغداد معزولة بعض الشيء، وأظنني أفضل عملاً في لندن إذا سمعتُ عن عمل مناسب.

- فهمت. ظننتُ أنك ربما ستتزوجين.

لم تجبهُ الآنسة دينينهام. بل رفعت عينيها وحدقت إلى وجهه مباشرة وكأن نظرتها تقول له: أنت وقع.

- ما هو رأيك في السيدة التي تشاركك المقصورة، الآنسة أولسون؟

- تبدو شخصية لطيفة وبسيطة.

- ما هو لون قميص نومها؟

حدقت إليه الآنسة دينينهام وقالت: يعيل إلى اللون البني... من الصوف الطبيعي.

- وأنت يا آنسة، هل لديك قميص نوم قمرزي مثلاً؟

- لا؛ هذا ليس لي.

مال يوارو إلى الأمام وكأنه قط يقفز على فأر وقال: لمن هو إذن؟

تراجعت الفتاة قليلاً وقد جفلت، ثم قالت: لا أعلم. ماذا تعني؟

- أنت لم تقولي: "لا" ليس عندي شيء كهذا. بل قلت: "هذا ليس لي"؟ مما يعني أنه يخص شخصاً آخر.

أومأت برأسها موافقة، فقال بوارو: شخصاً آخر على هذا الفطار؟

- نعم.

- لمن هو؟

- أخبرتك قبل قليل أنني لا أعلم. لقد نهضتُ في الخامسة من صباح اليوم وقد شعرت أن الفطار قد توقف لفترة طويلة، وفتحت الباب ونظرت إلى الممر معتقدة بأننا ربما كنا في محطة ما، فرأيت امرأة في قميص نوم قمرزي في نهاية الممر.

- ألا تعلمين من هي؟ أكانت بيضاء أم سمراء أم رمادية الشعر؟

- لا أستطيع الجزم تماماً؛ فقد كانت تضع غطاء الرأس المثبت في أعلى قميص النوم ولم يكن باستطاعتي أن أرى سوى رأسها المغطى من الخلف.

- وكيف كانت بنتها؟

- طويلة نوعاً ما ونحيلة على ما أعتقد، ولكن يصعب الحكم بذلك. وكان قميص النوم مطرزاً بأشكال الثنين.

- نعم، نعم؛ هذا صحيح. أشكال الثنين.

صمت لدقيقة ثم تتم مع نفسه: لا أستطيع أن أفهم... لا أستطيع أن أفهم، لا معنى لكل هذه الأمور.

ثم قال وهو يرفع نظره إليها: لا حاجة لإبقائك هنا لفترة أطول يا آنسة.

- آه!

بدا أنها قد فوجئت ببعض الشيء، ولكنها نهضت بسرعة. وعندما وصلت إلى الباب ترددت قليلاً ثم عادت قائلة: إن السيدة السويدية... الآنسة أولسون، تبدو قلقة وتقول إنك أخبرتَها بأنها كانت آخر شخص يرى هذا الرجل حياً، وأحسبها تظن أنك تُشكِّك فيها لهذا السبب. هل أستطيع أن أخبرها بأنها مخطئة في ذلك؟ إنها من النوع الذي لا يؤذي ذباباً.

ابتسمت قليلاً وهي تتكلم، فسألها بوارو: متى ذهبت لتحضر الأسيرين من السيدة هوبارد؟

- بعد العاشرة والنصف بقليل.

- وكم هي المدة التي غابها؟

- نحو خمس دقائق.

- هل غادرت المفصورة ثانية أثناء الليل؟

- لا.

التفت بوارو إلى الطيب وقال: هل يمكن أن يكون رانشيت

قد قُتل في ذلك الوقت الميكرو؟

هو الطبيب رأسه تافياً، فقال لها بواروا: إذن اعتقد أنك
تستطيعين أن تُظمتني صديقتك يا آنسة.

- شكراً لك.

ايسمت له فجأة ابتسامة تدعو إلى التعطف وقالت: "إنها خنوعة
كمنوعة، وهي كثيرة القلق والشكوى". ثم استدارت وخرجت.

الفصل الثاني عشر إفادة الخادمة الألمانية

نظر بولك نحو صديقه بفضول وقال: إنني لا أفهمك أبداً
يا صديقي العزيز، ما الذي تحاول أن تفعله؟

- كنت أبحث عن ثغرة ما يا صديقي.

- ثغرة؟

- نعم؛ ثغرة في درع رباطة جأش سيدة شابة... أحييت أن
أهز هدوءها. هل نجحت؟ لا أعلم، ولكنني أعلم أنها لم تتوقع مني
معالجة الأمر بهذه الطريقة.

قال السيد بولك ببطء: أنت تشك فيها، ولكن لماذا؟ إنها تبدو
شابة بريئة تماماً، وكأنها آخر شخص في العالم يمكن أن يتورط في
جريمة من هذا النوع.

قال كولستانين: أواقفك على ذلك؛ فهي هادئة وخالية من
العواطف ولا يمكن أن تطعن رجلاً، بل من شأنها أن تقاضيه في
المحاكم.

تتهد بوارو وقال: يجب عليكما أن تتخليا عن تعلقكما بفكرتكما القائلة إن هذه جريمة حدثت فجأة من دون سابق تدبير. أما عن السبب في أنني أشك في الأنسة ديينهام فلديني سببان لا واحد؛ الأول هو أنني سمعت حديثاً لا تعلمون عنه شيئاً بعد.

ثم أعاد عليهما العبارات المتبادلة التي سمعها خلال الرحلة في حلب، وعندما انتهى قال السيد بوك: هذا غريب بالتأكيد، وهو بحاجة إلى إيضاح، فإذا كان ذلك يعني ما نظن أنه بعينه، فإنه يدل على أنهما متورطان معاً، هي والرجل الإنكليزي المتصلب.

هز بوارو رأسه موافقاً وقال: وهذا تماماً ما لا تثبته الحقائق، فلو كانا متورطين معاً فماذا نتوقع أن نجد: ستجد أن كلا منهما سيشهد للآخر بشهادة دفع بالغبية، أي شهادة تؤكد عدم وجود أحدهما في مكان الجريمة وقت وقوعها، أليس كذلك؟ ولكن هذا ما لم يحدث، فشهادة غياب الأنسة ديينهام جاءت من امرأة سويدية لم ترها أبداً من قبل، وشهادة غياب العقيد أربوثنوت جاءت من السيد ماركوين، سكرتير الرجل الميت. لا، إن هذا الحل للغر أسهل من أن يكون صحيحاً.

ذكره السيد بوك قائلاً: قلت إن لديك سبباً آخر لارتباك فيها.

ابتسم بوارو وقال: آه، إنه سبب سيكولوجي فقط؛ إذ سألت نفسي: هل من الممكن أن تكون الأنسة ديينهام قد خططت لهذه الجريمة؟ أنا مقتنع بأن هذه الجريمة تتم عن عقل هادئ ذكي واسع الحيلة، وهذه الأوصاف تطبق على الأنسة ديينهام.

هز السيد بوك رأسه نائفاً وقال: أظن أنك مخطئ يا صديقي، فلا أتخيل تلك الفتاة الإنكليزية مجرمة.

قال بوارو وهو يتناول جواز السفر الأخير: آه، حسناً، والآن إلى آخر اسم على قائمتنا: هيلداغارد شميدت، الخادمة الألمانية.

استدعيت هيلداغارد شميدت بواسطة المسؤول ودخلت إلى عربة المطعم ووقفت تنتظر باحترام، فأشار إليها بوارو بالجلوس.

فعلت ذلك وقد ضمت يديها معاً وانتظرت بهدوء حتى بدأ يسألها. بدا أنها واثقة جداً ومحترمة جداً، ولعلها لم تكن شديدة الذكاء.

كانت طريقة بوارو مع هيلداغارد شميدت بعكس الطريقة التي عامل بها ماري ديينهام تماماً. كان في ألقاف حالاته وأكثرها ودأ، مما جعل المرأة ترتاح من ارتباكها، وبعد أن طلب منها كتابة اسمها وعنوانها انتقل بلباقة لطرح أسئلته.

قال: نريد أن نعرف أكبر قدر من المعلومات مما حدث ليلة أمس. ونحن نعلم أنك لا تستطيعين أن تعطينا الكثير من المعلومات عن الجريمة نفسها، ولكن ربما رأيت أو سمعت شيئاً مما ليس له وزن لديك ولكنه قد يكون ثميناً بالنسبة لنا. أفهمين ذلك؟

لم يبدُ عليها أنها فهمت، وبقي وجهها العريض اللطيف في هدوئه الذي يسيل إلى الغباء عندما أجابت: لا أعرف شيئاً يا سيدي.

- حسناً، ألا تعلمين - مثلاً - أن سيدتك أرسلت تطلبك ليلة أمس؟

- بلى، أعرف ذلك.

- هل تذكرين الوقت؟

- لا يا سيدي؛ فقد كنت نائمة عندما جاء المسؤول وأخبرني.

- نعم، نعم، هل تستدعين بهذه الطريقة عادة؟

- نعم. ثم يكن هذا غير عادي يا سيدي؛ فغالباً ما تحتاج السيدة الفاضلة إلى العناية أثناء الليل، فهي لم تكن تستطيع النوم جيداً.

- حسناً، وصلك القلب ونهضت، هل ليست قميص نوم؟

- لا يا سيدي، بل ليست بعض الملابس؛ فلا أحب أن أذهب إلى سعادتها بقميص النوم.

- ولكنه قميص نوم رائع جداً، إنه قرمزي، أليس كذلك؟

- حدثت إليه وقالت: إنه قميص قطني، ولونه أزرق غامق يا سيدي.

- آه! أكملني. كنت أمارحك قليلاً فقط، ثم ذهبت إلى الأميرة.

فماذا فعلت عندما وصلت إلى هناك؟

- قمت بتدليكها يا سيدي، ثم قرأت لها بصوت مرتفع. وأنا لا أقرأ بشكل جيد، ولكن سعادتها تقول إن هذا أحسن، فهذا يجعلها تنام بصورة أسرع. وعندما نعتس - يا سيدي - أخبرتني أن أذهب فأغلقت الكتاب وعدت إلى مقصورتي.

- هل تعرفين متى كان الوقت حينئذ؟

- لا يا سيدي.

- حسناً، كم مكثت عند الأميرة؟

- نحو نصف ساعة يا سيدي.

- حسناً، أكملني.

- بعد ذلك أحضرت غطاءً إضافياً من مقصورتي؛ فقد كان الجو بارداً على الرغم من التدفئة، ووضعت الغطاء عليها فنفست لي ليلة سعيدة. وسكبت لها كأساً من المياه المعدنية ثم أطفأت النور وغادرت المقصورة.

- وبعد ذلك؟

- لا شيء يا سيدي. عدت إلى مقصورتي ونمت.

- ألم تقابلي أحداً في الممر؟

- لم أقابل أحداً يا سيدي.

- ألم تقابلي - مثلاً - سيدة تلبس قميص نوم قرمزيًا مضطرباً بأشكال النين؟

جحظت عينها الهادئتان نحوه وقالت: أبداً يا سيدي. لم يكن هناك أحد سوى المسؤول، وكان الكل نياماً.

- هل رأيت مسؤول التذاكر؟

- نعم يا سيدي.

- ماذا كان يفعل؟

- خرج من إحدى المقصورات يا سيدي.

مال السيد بوك إلى الأمام وقال: ماذا؟ من أية مقصورة؟

بدت هيلدا غارد شميدت خائفة، ومرة أخرى وجه بوارد نظرة توبيخ نحو صديقه وقال: هذا طبيعي، فعلياً ما يجب المسؤول على أجراس الركاب في الليل. ألا تذكرين أية مقصورة كانت؟

- في منتصف العربة يا سيدي، وتبعد عن الأميرة بيايين أو ثلاثة.

- آه! أخيراً - إذا سمحت - أين كان ذلك بالضبط وماذا حدث؟

- كاد أن يصطدم بي يا سيدي. حدث ذلك عندما كنت عائدة بالغطاء من مقصورتي إلى مقصورة الأميرة.

- خرج من المقصورة وكاد أن يصطدم بك؟ في أي اتجاه ذهب؟

- نحوي يا سيدي. اعتذر ومرّ عبر الممر نحو عربة المطعم، ثم بدأ جرس يرن ولا أظن أنه أجابه.

صمتت ثم قالت: إنني لا أفهم. كيف...

تكلم بوارد بهدوء قائلاً: إنها مسألة توقيت فقط، وهذا روتين طبيعي. يبدو أن المسؤول المسكين أمضى ليلته مشغولاً، أيقظك في البداية، ثم بدأ يجيب قرع الأجراس.

- لم يكن نفس المسؤول الذي أيقظني وإنما كان مسؤولاً آخر.

- آه، مسؤول آخر! هل رأيته من قبل؟

- لا يا سيدي.

- أظنّين أن بوسعك التعرف عليه إذا رأيته؟

- أظن ذلك يا سيدي.

تمتم بوارد في أذن السيد بوك، فنهض الأخير وذهب نحو الباب ليعطي أمراً.

وتابع بوارد أسئلته بأسلوب ودي وهادئ: هل ذهبت إلى أميركا قط يا سيدة شميدت؟

- أبداً يا سيدي، لا بد وأنها بلاد جميلة.

- ربما سمعت عن حقيقة الرجل الميت وأنه كان مسؤولاً عن قتل طفلة صغيرة.

- نعم؛ سمعت يا سيدي. كان ذلك شريراً ومثيراً للاشمئزاز،
ولا يجب أن يُسمع بمثل هذه الأمور. إننا نسا أشراراً هكذا في
ألمانيا.

اغترقت عينا المرأة بالدموع وقد تحركت عاطفة أمومتها.
فقال بوارو بأسى: لقد كانت جريمة مثيرة للاشمئزاز.

أخرج من جيبه منديلاً وتناولها إياه قائلاً: أهذا منديلك يا سيدي
شميدت؟

سادت لحظة صمت بينما كانت المرأة تتفحص المنديل. ثم
نظرت للأعلى وقد تورّد وجهها قليلاً وقالت: لا بالتأكيد، إنه ليس
نمي يا سيدي.

- عليه الحرف «ه» كما ترى؛ ولهذا اعتقدت أنه لك.

- هذا منديل سيدي مرموقة يا سيدي. إنه منديل ثمين ومطرز
باليد وأضن أنه من باريس.

- إنه ليس لك، ولا تعلمين لمن هو؟

- أنا؟ آه، نعم يا سيدي، لا أعلم.

من بين الثلاثة الذين كانوا يستمعون كان بوارو هو الوحيد الذي
لاحظ أثرًا خفيفًا من التردد في إجابتها.

همس السيد بولك في أذنه، ففزع بوارو رأسه وتحدث إلى المرأة
قائلاً: سيأتي المسؤولون عن عربات النوم الثلاث، فهلاً تلتفت

وأخبرتني منّ منهم الذي قابله ليلة أمس عندما كنت ذاهبة بالغطاء
إلى الأميرة؟

دخل الرجال الثلاثة: بيير ميشيل، والمسؤول الأشقر الكبير من
عربة أثينا-باريس، والمسؤول الضخم البدين من عربة بوخارست.

قالت: لا يا سيدي، إن الرجل الذي رأيته ليلة أمس ليس
بينهم.

- ولكن هؤلاء هم المسؤولون الوحيدون على الفطار، ولا بد
من أنك مخطئة.

- أنا متأكدة يا سيدي. جميع هؤلاء الرجال ضخام وطوال، أما
الذي رأيته فكان صغيراً وأسرّ وذا شارب صغير، وعندما اعتذر مني
كان صوته ضعيفاً كصوت النساء. حقاً إنني أتذكره جيداً يا سيدي.



هر بوارو رأسه نافياً وقال: لا، هذا ليس صحيحاً. لقد تقدمنا أكثر، وبتنا نعرف أشياء محددة، وقد سمعنا إفادات الركاب.

- وبماذا أفادنا ذلك؟ لا شيء أبداً.

- ما كنت لأقول ذلك يا صديقي.

- ربما كنت أهول الأمر قليلاً، نعم، لقد أضاف الأميركي هاردمان والخادمة الألمانية شيئاً إلى معلوماتنا، إلا أن ذلك جعل الأمر كله أقل وضوحاً مما كان عليه.

قال بوارو مواسياً: لا، لا.

التفت السيد بوك نحوه وقال: تكلم إذن، دعنا نسمع حكمة هيركيول بوارو.

- ألم أخبرك أنني حائر مثلك؟ ولكننا نستطيع - على الأقل - أن نواجه مشكلتنا، ونستطيع أن نرتب ما لدينا من حقائق بمنهجية.

قال الدكتور كوستانتين: أكمل يا صديقي، أرجوك.

تنحى بوارو وترتب ورقة أمامه ثم قال: دعونا نراجع القضية كما هو وضعها الآن: أولاً، أمامنا بعض الحقائق التي لا جدال فيها؛ فهذا الرجل (راتشيت أو كاسيتي) قد طُعن في اثني عشر موضعاً وقُتل ليلة أمس. هذه هي الحقيقة الأولى.

قال السيد بوك وهو يوشر إشارة ساخرة: أعترف لك بذلك، أعترف يا صديقي العزيز.

لم يبدُ أن هذه الملاحظة قد أزعجت بوارو، بل أكمل في

الفصل الثالث عشر ملخص لإفادات الركاب

قال السيد بوك بعد أن خرج مسؤولو التذاكر الثلاثة وهيلداغارد شميدت: رجل صغير أسمر ذو صوت ناسي. إنني لا أفهم شيئاً... لا شيء من هذا أبداً! إن العدو الذي تكلم عنه راتشيت كان على الفطار إذن، ولكن أين هو الآن؟ كيف استطاع أن يختفي في الهواء؟ إن رأسي يدور في دوامة. أرجوك قل شيئاً يا صديقي. أخبرني كيف يكون المستحيل ممكناً؟

قال بوارو: هذه عبارة جيدة. لا يمكن للمستحيل أن يحدث، ولذلك يجب أن يكون المستحيل ممكناً رغم كل المظاهر.

- أوضح لي بسرعة، ما الذي حدث فعلاً على الفطار ليلة أمس؟

- أنا لست ساحراً يا عزيزي، أنا مثلك في حيرة؛ فهذه القضية تتطور بصورة غريبة جداً.

- إنها لا تتطور، بل تظل حيث هي.

هدوء، سأنتظي في الوقت الحاضر بعض الأمور الغريبة التي بحثنا سابقاً مع الدكتور كونستانتين، وسوف أنتظر إليها بعد قليل. أما الحقيقة التي تلي ذلك في الأهمية فهي في نظري الوقت الذي حدث فيه الجريمة.

قال السيد بولك: ومرة أخرى فهذا أحد الأشياء القليلة التي نعرفها بالفعل، حيث ارتكبت الجريمة في الواحدة والرابع من هذا الصباح، فكل شيء يدل على هذا.

- أنت تبالي قليلاً... ليس كل شيء، ولكن المؤكد أن أدلة لا بأس بها تدعم وجهة النظر هذه.

- أنا سعيد لأنك تعرف بهذا على الأقل.

تابع يوارو بهدوء غير أنه لهذه المفاصلة، أماننا احتمالات ثلاثة: الأول: أن الجريمة قد ارتكبت - كما نقول - في الواحدة والرابع، إفادة المرأة الألمانية شيدت تدعم ذلك، كما وأنه متوافق مع تقرير الدكتور كونستانتين. الاحتمال الثاني: أن الجريمة وقعت بعد ذلك الوقت وأن دليل الساعة مزيف عمداً. الاحتمال الثالث: أن الجريمة وقعت قبل ذلك وأن دليل الساعة مزيف عمداً لنفس السبب السابق. حسناً، لو تقبلنا الاحتمال الأول على أنه الأرجح والمدموم بأدلة أكثر فإن علينا أن نتقبل بعض الشكوك التي تنتج عن ذلك؛ فلو أن الجريمة قد ارتكبت في الواحدة والرابع فلا يمكن أن يكون القتال قد غادر القطار، وبناءً على ذلك فإن لدينا السؤال التالي: أين هو؟ ومن هو؟ دعونا - بدايةً - لنفحص الدليل بعناية. أول ما سمعنا عن وجود هذا الرجل الأسمر الصغير ذي الصوت النسائي من هاردمان.

فهو يقول إن راتشيت أخبره عن ذلك الرجل ووظفه ليحرسه منه. لا يوجد دليل يؤيد ذلك وليس لدينا سوى كلام هاردمان لنعتمد عليه. دعونا بعد ذلك نتفحص السؤال التالي: هل هاردمان هو فعلاً الرجل الذي يزعم؟ أي هل هو رجل تحرر لدى وكالة تحقيقات من نيويورك؟ ما هو مثير بالنسبة لي في هذه القضية هو أننا لا نملك الوسائل المتاحة للشرطة، فلا نستطيع أن نتحقق من الأوراق الثبوتية لأي من هؤلاء الناس، وعلينا أن نعتمد على الاستنتاج فقط، وهذا يجعل القضية أكثر إثارة؛ فلا يوجد عمل روتيني، والمسألة مسألة ذكاء. لهذا أسأل نفسي: هل نستطيع أن نتقبل زعم هاردمان عن هويته؟ لقد اتخذت قراري، وأنا أجب على ذلك بالإيجاب. إننا - برأيي - نستطيع أن نتقبل قول هاردمان عن نفسه.

قال الدكتور كونستانتين: هل تعتمد على الحدس؟

- أبدأ، فأنا أنظر إلى الاحتمالات. إن هاردمان يتنقل بجواز سفر مزيف مما يجعله موضع شك على الفور، وأول ما سيفعله الشرطة عندما يصلون إلى المكان هو أن يحتجزوا هاردمان ثم يرقوا مستفسرين للوثق من ادعائه. أما بالنسبة لمعظم الركاب فإنه يصعب معرفة شخصياتهم، وفي معظم الحالات لن يتم في الغالب القيام بذلك، خصوصاً وأنه لا يوجد ما يشير للشك حولهم. ولكن هذا الأمر سهل في حالة هاردمان، فإما أن يكون هو الرجل الذي يدّعي أو غير ذلك، ولذلك فإنني أقول إن كل ما قاله سيتم إثبات صحته.

- هل تستبعد من دائرة الشك؟

- أبدأ، لقد أعطت فهمي؛ فقد توجد لدى أي محقق أميركي

كانت الخادمة عند سيدتها، وعندما عادت أخيراً إلى مقصورتها كان مسؤول التذاكر في الداخل عند السيدة هوبارد.

كان السيد بوك ينتظر بصعوبة حتى أكتملاً، قال وقد نفذ صبره: نعم يا صديقي. ولكن بينما أنا معجب بحذرك وبطريقتك في التقدم خطوة خطوة، فأني أقول إنك لم تتطرق -بعد- إلى النقطة مدار البحث. لقد اتفقنا جميعاً على أن هذا الرجل موجود، ولكن النقطة هي: إلى أين ذهب؟

هز يوارو رأسه مؤثباً وقال: أنت مخطئ وميأل إلى وضع العربة أمام الحصان! قبل أن أسأل نفسي: "أين اختفى هذا الرجل؟" أسأل نفسي: "هل هذا الرجل موجود حقاً؟" لأنه إذا كان هذا الرجل مجرد اختراع أو تلفيق فما أسهل أن يختفي! لذلك فأني أحاول -في البداية- أن أثبت وجود مثل هذا الشخص من اللحم والدم.

- وطالما أننا وصلنا إلى حقيقة وجوده، فأين هو الآن؟

- يوجد جوابان فقط على ذلك يا عزيزي، فأما أنه ما يزال مخبئاً على القطار في مكان ينم عن عبقريّة غير عادية لدرجة أننا لا نستطيع أن نفكر فيه، أو أنه -كما يمكن أن نقول- شخصان، أي أنه هو الشخص نفسه الذي كان يخافه السيد راتشيت، وفي نفس الوقت فهو مسافر على متن القطار تنكر بصورة جيدة لدرجة أن السيد راتشيت لم يعرفه.

قال السيد بوك وقد انفرجت أساريره: "هذه فكرة رائعة"، ثم اغتم ثانية وقال: ولكن لديّ اعتراض واحد...

أسبابه الخاصة لقتل راتشيت. ما أقوله هو أننا نستطيع أن نقبل ما قاله هاردمان عن نفسه، ولذلك فهذه القصة التي يقولها حول سعي راتشيت خلفه وتوظيفه له ليست بعيدة، وهي محتملة جداً، ولكنها ليست حقيقة مؤكدة. وإذا كنا سنقبل بها على أنها حقيقة فيجب أن نرى إن كان يوجد تأكيد لها. إننا نجد هذا التأكيد في مكان غير متوقع، وهو إفادة هيلداغارد شميدت؛ فوصفها للرجل الذي رآته في زي مسؤول التذاكر مطابق تماماً. هل لهاتين القصتين تأكيد آخر؟ نعم، يوجد؛ الزر الذي وجدته السيدة هوبارد في مقصورتها، وتوجد صبرة تنفق مع ذلك أيضاً لعلكمما لم تلاحظاهما.

- وما هي؟

- إنها حقيقة أن كلاً من العقيد آربونوت وهكتور ماكوين ذكرا أن مسؤول التذاكر قد مرّ من أمام مقصورتهم. هما لم ينتهيا إلى أهمية هذه الحقيقة، ولكن -يا سادة- لقد أفاد بيير ميشيل بأنه لم يغادر مقعده إلا في مناسبات معينة، وأيّ من تلك المناسبات ما كانت لتأخذه قرب آخر العربة أمام المقصورة التي كان يجلس فيها آربونوت وماكوين. ولذلك فإن هذه القصة (قصة الرجل الصغير الأسمر ذي الصوت النسائي الذي يلبس زي خطوط القطار) تؤكد لها بصورة مباشرة أو غير مباشرة إفادات أربعة شهود.

قال الدكتور كونستانتين: تبقى نقطة صغيرة؛ فإذا كانت قصة هيلداغارد شميدت صحيحة فكيف حدث أن مسؤول التذاكر الحقيقي لم يذكر أنه رآها عندما أتى ليرد على جرس السيدة هوبارد؟

- لهذا تفسير على ما أظن؛ فعندما جاء ليرد على السيدة هوبارد

أكمل له بوارو العبارة قائلاً: وهو طول الرجل - أليس هذا ما كنت ستفكره؟ فقيماً عدا خادم السيد رانشيت فإن جميع الركاب رجال ضخام: الإيطالي، والعقيد آريونوت، وهكتور ماكوين، والكونت أندريته. إذن هذا يتركنا مع الخادم وهو اقترأ بعيد. ولكن يوجد احتمال آخر: أنذكوان الصوت النسائي؟ إن هذا يعطينا بدلاً، إذ قد يكون الرجل مثكراً كامراً، أو أنها قد تكون فعلاً امرأة؛ فمن شأن امرأة طويلة تلبس ثياب الرجال أن تبدو رجلاً صغير الجسم.

- ولكن كان من المؤكد أن يعرف رانشيت...

- ربما كان يعرف بالفعل. ربما كانت تلك المرأة قد حاولت من قبل القضاء على حياته وهي تلبس ملابس الرجال لتنفذ عمليتها بصورة أفضل، وتُعمل رانشيت ختم أنها قد تستعمل نفس الحيلة ثانية، ولذلك أخبر هاردمان أن يبحث عن رجل، ولكنه ذكر الصوت النسائي في نفس الوقت.

قال السيد بوك: إن هذا ممكن، ولكن...

- اسمع يا صديقي، أظن أن علي الآن أن أخبرك عن بعض الاستنتاجات التي لاحظها الدكتور كوستانتين.

سرد عليه بأسهاب الاستنتاجات التي وصل إليها هو والطبيب معاً حول طبيعة جراح الرجل الميت، فتأوه السيد بوك وأمسك برأسه ثانية، فقال بوارو يعطش: أعلم، أعلم كيف تشعر تماماً، فالأمر يجعل الرأس في حالة دوام، أليس كذلك؟

صاح السيد بوك: إن الأمر كله كالتخيل.

- تماماً؟ إنه سخيف ومستبعد... لا يمكن حدوثه. لقد قلت ذلك لنفسى، ومع ذلك فهذا ما حدث يا صديقي! ولا يستطيع المرء الهرب من الحقائق.

- إنه جنون!

- أليس كذلك؟ إنه أمر جنوني يا صديقي، إلى الحد الذي يتبابني معه أحياناً إحساس بأن الأمر بسيط للغاية... ولكن هذه مجرد واحدة من أفكارى الصغيرة.

تأوه السيد بوك قائلاً: قاتلان اثنان؟ وعلى متن قطار الشرق؟

كادت هذه الفكرة تدفعه إلى البكاء، أما بوارو فقال بانسراح: والآن دعونا نجعل الخيال أكثر خيالية. كان على القطار ليلة أمس غربيان اثنان؛ مسؤول التذاكر الذي وصفه لنا السيد هاردمان ورأته هيلدا غارد شميدت كما رآه العقيد آريونوت والسيد ماكوين، وأيضاً المرأة ذات قميص النوم القرمزي (امرأة طويلة نحيلة)، وقد رآها بيير ميشيل والأسسة دينهام والسيد ماكوين وأنا، وشتم رائحة عطرها العقيد آريونوت. من تراها كانت؟ لا يوجد على القطار من تعترف بأن لديها قميص نوم قزمياً، فهذه الأخرى قد اختفت. أكانت هي نفسها مسؤول التذاكر أيضاً أم أنها شخصية مختلفة تماماً؟ أين هما هذان الاثنان. وبالمناسبة، أين زي مسؤول التذاكر وقميص النوم القرمزي؟

نهض السيد بوك بلهفة وقال: آه! هذا شيء محدد يمكن البحث عنه. يجب أن نفتش أمتعة جميع الركاب. نعم، سيكون ذلك أمراً مفيداً.

تهض يوارو أيضاً وقال: سأطلق نبوءة.

- أنعرف أين هما؟

- لدي فكرة صغيرة.

- أين إذن؟

- ستجد قميص الثوم القرمزي في أمتعة أحد الرجال وستجد زي مسؤول التذاكر بين أمتعة هيلداغارد شميدت.

- هيلداغارد شميدت؟ أتظنها...؟

- ليس ما تفكر فيه. سأضع لك الأمر بهذه الصورة: إذا كانت هيلداغارد شميدت مذنبه فربما يكون الزي في أمتعتها، أما إذا كانت بريئة فإنه سيكون في أمتعتها بالتأكيد.

بدأ السيد بوك يتكلم قائلاً: "ولكن كيف...؟"، ثم توقف وصاح: ما هذا الصوت الذي يقترب؟ إنه يكاد يشبه صوت محرك بخاري.

اقترب الصوت أكثر، وكان صوتاً نسائياً يُصدر صيحات واعتراضات، ثم فُتح الباب الواقع في نهاية عربة المطعم بشدة واندفعت السيدة هوبارد إلى الداخل وهي تصيح: إنه أمر فظيع جداً، أمر فظيع جداً... في كيس الحمام، كيس الحمام في مقصورتي... سكين عظيمة مغطاة بالدماء!

ونجأة وقعت إلى الأمام على كتف السيد بوك وقد أغوي عليها.

* * *

الفصل الرابع عشر سلاح الجريمة

غلبت قوة السيد بوك شهامته وهو يتخلص من السيدة المعصية عليها على الطاولة، وصاح الدكتور كوتستاتين بأحد مسؤولي المطعم الذي جاء راكضاً فقال له الطبيب: ضع رأسها هكذا، وإذا صحت فأعطها قليلاً من شراب الليمون. أنفهم؟

ثم أسرع خلف صاحبه؟ فقد كان اهتمامه منصّباً تماماً على الجريمة، ولم يهتم أبداً إغماء واحدة من النساء الكهلات.

ولعل السيدة هوبارد قد استعادت وعيها بهذه الطريقة على نحو أسرع مما لو استخدمت طرق أخرى، فبعد بضع دقائق كانت تجلس وتشرب عصير الليمون الذي قدمه لها المسؤول وبدأت تتحدث مرة أخرى: لا أستطيع وصف فظاعة هذا الأمر، ولا أحسب أحداً على هذا القطار يفهم شعوري. لقد كنت دائماً حساسة جداً منذ كنت طفلة، وإن مجرد منظر الدماء... أه! حتى الآن، عندما أفكر بذلك يتتابني شعور غريب.

في أثناء ذلك كان يوارو والسيد بولك قد مرغا يتبعهما المذكور
كروستاتين خارج عربة المطعم وعبر ممر عربة إسطبول نحو
مقصورة السيدة هوبارد.

بدأ أن كل المسافرين على القطار اجتمعوا خارج الباب. وكان
مسؤول التذاكر يحاول إبعادهم وقد بدت على وجهه نظرة انزعاج.
كان يقول: لا يوجد هنا ما يمكن رؤيته...

قال السيد بولك: دعوني أمر إذا سمحتم، ثم حشر نفسه بين
ال المسافرين الذين سدوا الطريق ودخل المقصورة يتبعه يوارو عن
كسب.

قال مسؤول التذاكر وهو يتنهد بارتياح: أنا سعيد بقدمك
يا سيدي. إذ يحاول الجميع أن يدخلوا، والمرأة الأميركية..
يا للصبغات التي أطلقتها! حتى فُتشت أنها هي الأخرى قد قُتلت!
أثبت راضياً فإذا بها تصرخ كالجنونة، وقد صاحبت بأنها يجب أن
تجذب ثم غادرت صائحة بأعلى صوتها مخبرة كل من مرّت به في
انعربة بما حدث.

ثم أضاف وهو يشير بيده: إنها هنا يا سيدي، لم المسها.

كانت هناك حقيب حمام مفاطية كبيرة معلقة على مقبض الباب
الذي يصل إلى المقصورة الثانية، وكان أسفل منها على الأرض
خضخ مستقيم النصل ما زال حيث سقط من السيدة هوبارد. كان
من النوع الرخيص الذي يحاكي الخناجر الشرقية. ذا مقبض نافر
وشفرة حادة من طرف واحد، وكانت على نصله بقع بدت أشبه

يقع الصدا.

التقطه يوارو بحذر وتتمت قائلاً: نعم، ما من شك. هذا هو
سلاحنا المفقود بالتأكيد. ما رأيك يا دكتور؟

تفحصه الطبيب بينما قال له يوارو: لا داعي لشدة الحرص؛
فلن تكون عليه بصمات سوى بصمات السيدة هوبارد.

لم يستغرق فحص كروستاتين طويلاً، وما لبث أن قال: إنه
سلاح الجريمة بالتأكيد؛ إن بوسعه تفسير جميع الجراح.

- أروحك يا صديقي. لا تقل ذلك.

بدأ الطبيب مذهوئاً، فقال له يوارو: لقد كثرت المصادفات
أمامنا. فقد قرر شخصاً أن يطعن السيد راتشيت ليلة أمس. أما أن
بختاراً طعنه بسلاحين متماثلين تماماً فهذا ما يصعب تصوّره.

قال الطبيب: بالنسبة لهذا الأمر لعل الصدفة لا تكون مستبعدة
جداً كما قد يبدو للوهلة الأولى؛ فالآلاف من هذه الخناجر الشرقية
المقلّدة تُصنّع وتُشحن إلى أسواق القسطنطينية.

قال يوارو: هذا لا يشكل لي عزاء كبيراً... أبدأ.

نظر مفكراً نحو الباب الواقع أمامه ثم رفع حقيب الحمام وعالج
مقبض الباب، إلا أنه لم يفتح. وفوق يد الباب بمسافة قدم تقريباً كان
مزلاج الباب ففتح يوارو ثم حاول ثانية، إلا أن الباب بقي مغلقاً.

قال له الطبيب: لقد أففلهنا من الجانب الآخر. ألا تذكر؟

قال يوارو بشيود: هذا صحيح.

بدا أنه يفكر في شيء آخر، فقد قطب حاجبيه وكأن الحيرة قد استبدت به.

قال السيد بوك: هذا يعطينا تفسيراً للأمر، أليس كذلك؟ يمر الرجل عبر هذه المقصورة، وبينما هو يغلّق الباب خلفه تلمس يده حقيبة الحمام، وتخطر له فكرة سريعة فيدس الخنجر الملوّث بالدماء بداخلها. وعندما تصحو السيدة هوبارد دون قصد منه ينسلّ من الباب الآخر إلى السرور.

تتمتع يوارو: كما قلّت؛ يبدو أن هذا ما حدث.

إلا أن الحيرة لم تغادر وجهه، فسأله السيد بوك: ما الأمر؟ يوجد شيء لم تقتنع به، أليس كذلك؟

صوّب يوارو نظره سريعة نحوه وقال: ألم تستوقفك النقطة التي استوقفتني؟ نعم، لا يبدو أنها استوقفتك. لا بأس، إنها مسألة صغيرة.

أطلّ مسؤول التذاكر داخل المقصورة وقال: المرأة الأميركية عائدة إلى هنا.

بدا على الدكتور كونستانتين شيء من الشعور بالذنب، فقد شعر أنه عامل السيدة هوبارد بشيء من الإهمال، إلا أنها لم تحتفظ له بأي عتب حيث كانت طاقاتها مركزة على قضية أخرى. قالت عندما وصلت إلى الباب لاهة: أود فقط أن أقول شيئاً بكل صراحة.

لن أبقى في هذه المقصورة، ولن أنام الليلة بها ولو دفعتم لي مليون دولار!

- ولكن يا سيدتي...

- أعلم ما الذي ستقوله، وإنتي أخيرك من الآن بأنني لن أبقى هنا! إنني أفضل أن أجلس في الممر طول الليل.

ثم راحت تبكي وتنوح: آه! لو أن إيتي تعلم فقط ماذا حلّ بي، لو أنها وأت حالي الآن...

قاطعها يوارو بحزم قائلاً: لقد أسأت فهمي يا سيدتي. فطلبك معقول جداً وسوف يتم نقل أمتعتك في الحال إلى مقصورة أخرى.

أنزلت السيدة هوبارد منديلها وقالت: أحقاً؟ آه، إنني أشعر بتحسن فوري. ولكن المؤكد أن جميع المقصورات مشغولة، إلا إذا عمد أحد السادة...

قال السيد بوك: سوف تؤخّذ أمتعتك يا سيدتي خارج هذه العربة تماماً، وسوف تأخذين مقصورة في العربة التالية التي انضمت إلينا في بلغراد.

- هذا عظيم. أنا لست امرأة عصبية بطبعي، ولكن أن أنام في هذه المقصورة بجانب رجل ميت...

ارتعشت ثم قالت: إن هذا سوف يقودني إلى الجنون.

نادى السيد بولك: ميشيل، انقل هذه الأمتعة إلى مقصورة فارغة في عربة أليان-باريس.

- نعم يا سيدي. أضعها في المقصورة المماثلة لهذه؟ رقم ٤٣.
قال بوارو قبل أن يتمكن صديقه من الإجابة: لا. أظن أنه سيكون من الأفضل للسيدة أن تأخذ مقصورة مختلفة تماماً، مقصورة رقم ١٢ على سبيل المثال.
- حسناً يا سيدي.

حمل المسؤولون الأمتعة، وافتتحت السيدة هوبارد نحو بوارو قائلة بامتنان: هذا تصرف لطيف منك. أؤكد لك أنني أقدر ذلك.

- لا عليك يا سيدي، سنأتي معك ونؤكد من راحتك.

رافق الرجال الثلاثة السيدة هوبارد إلى مسكنها الجديد ونظرت حولها بسعادة قائلة: هذا رائع.

- أناسك يا سيدي؟ إنها شبه المقصورة التي تركتها تماماً.

- هذا صحيح. ما عدا أنها تقابل الجهة الأخرى، ولكن هذا لا يهم فهذه القطارات تنجح مرة بهذا الاتجاه ومرة بغيره. لقد قلت لابنتي: أريد مقصورة تكون متجهة نحو المحرك. فقالت: إن هذا لن يفيدك يا أمي، فإذا نمت والقطار متحرك باتجاه ماء، فعندئذ ستسقطين تجديته بتحريك بالاتجاه الآخر. إن ما قالته صحيح تماماً. فمساء أمس دخلنا بلغراد باتجاه وخرجنا منها بالاتجاه الآخر.

- عني أية حال، هل أنت راضية وسعيدة الآن يا سيدي؟
- لا، لن أقول ذلك؛ فنحن عالقون في التلوج ولا أحد يفعل شيئاً حيال ذلك وقاربي سيبحر بعد غد.

قال السيد بولك: كلنا واقعون في نفس المشكلة يا سيدي... كل واحد منا.

اعترفت السيدة هوبارد قائلة: هذا صحيح، ولكن ما من أحد غيري غير قتال مقصورته في منتصف الليل.

قال بوارو: إن ما يحيرني - يا سيدي - هو كيف دخل الرجل إلى مقصورتك إذا كان الباب المتوصل مقفلاً بالمزلاج كما تقولين. آئت متأكدة من كونه مقفلاً بالمزلاج؟

- لقد عالجته السيدة السودبية أمام عيني.

- دعينا نعد تمثيل ذلك المشهد البسيط: كنت مستلقية في سريرك هكذا، وتقولين إنه لم يكن باستطاعتك أن تری القفل بنفسك؟

- نعم، بسبب حقبة الحمام. آه، يا إلهي! يجب أن أحصل على حقبة جديدة؛ إن مجرد النظر إلى هذه بصيني بالغشيان.

تناول بوارو حقبة الحمام وعلقها على مقبض الباب الذي يوصل إلى المقصورة التالية وقال: تماماً، لقد فهمت. إن المزلاج يقع تحت المقبض تماماً، والحقبة تغطيه. لم يكن باستطاعتك أن تری - من حيث جلوسين - إن كان مقفلاً أم لا.

- هذا ما كنتُ أقوله لك تماماً.

- وقد وفقت السيدة السويدية (الأنسة أولسون) هكذا، بينك وبين الباب. فعالجته وأخبرتك بأنه مقفل.

- هذا صحيح.

- لا بأس يا سيدتي، ولكن لعلها ارتكبت خطأ، أترين ما أعني؟

بدا بوارو منتهظاً على إيضاح الأمر وهو يقول: إن المزلاج مجرد نتوء معدني، عندما يُدَّار إلى اليمين يثقل الباب وإذا تُرك مستقيماً يظل الباب مفتوحاً. لعلها حاولت فتح الباب فقط، وبما أنه كان مُقفلاً من الجهة الأخرى فلعلها ظنَّت أنه مقفل من جهتك.

- أظن أن ذلك لو صيخ لكان غباء منها.

- يا سيدتي، إن الطف الناس ليسوا هم الأذكي دائماً.

- هذا صحيح بالطبع.

- بالمناسبة يا سيدتي، هل سافرت إلى سميرونا بهذه الطريقة؟

- لا، لقد أبحرت إلى إسطنبول وقابلني صديق لابتي هو السيد جونسون (إنه رجل لطيف جداً وأودك أن تتعرف عليه). وقد عزفني بإسطنبول التي وجدتها مدينة مخيبة للآمال؛ إذ أن مبانيها على وشك أن تنهار... ثم ودعني حيث ركبت قارباً فرنسياً متجهاً

إلى سميرونا، وكان زوج ابنتي ينتظرنني في الميناء. ماذا سيقول عندما يسمع عن كل هذا! قالت ابنتي إن هذه أسهل طريقة وأكثرها أماناً للسفر. قالت: "كل ما عليك هو أن تجلسي في مقصورتك فتجدي نفسك في باريس حيث تقابلك هناك وكالة أميركان إكسبرس". آه، يا إلهي! ماذا أستطيع أن أفعل حيال إلغاء بطاقة رحلتي البحرية؟ يجب علي أن أعلمهم؛ فلا يمكن أن الحق بالقارب الآن. إن هذا قطع جداً.

أظهرت السيدة هوبارد إشارات تدل على أنها متبكي ثانية، فاغتمم بوارو (الذي كان يتملح قليلاً) هذه الفرصة وقال: لقد أصابتك صدمة يا سيدتي، وسوف نعطي تعليماتنا إلى نادل المطعم كي يحضر لك بعض الشاي.

قالت السيدة هوبارد باكية: لست من هواة الشاي المتحمسين؛ فهذه عادة إنكليزية.

- قهوة إذن يا سيدتي؟ فأنت بحاجة إلى شرابٍ مثب.

- لقد شربت عصير الليمون، ومع ذلك سأشرب بعض القهوة.

- ممتاز، إذ يجب عليك أن تستعدي قواك.

- يا له من تعبير مضحك!

- ولكن - قبل ذلك يا سيدتي - سنقوم بأمر روتيني بسيط، هلاً سمحت لنا بتفتيش أمتعتك؟

- إننا على وشك أن نفتش أمتعة جميع المسافرين - ولا أود أن أذكرك بتجربة كريهة مررت بها. ألا تذكرين حقيبة الحمام؟

- يا إلهي! نعل من الأفضل أن تقوم بذلك؛ فلا أستطيع أن أتحمل أية مفاجآت أخرى من ذلك النوع.

انتهى التفتيش بسرعة؛ إذ كانت السيدة هوبارد تسافر بأقل أمتعة ممكنة: صندوق قبعات وحقيبة ملابس وخيصة وحقيبة سفر مملئة. كانت محتويات القطع الثلاث بسيطة وعادية، ولم يكن التفتيش لياًخذ أكثر من دقيقتين لولا أن السيدة هوبارد آخرتهم بإصرارها على يكونوا انتباهاً مناسباً "تصور ابنتي" (كما قالت) وطفلين بشعين هم طفلاً ابنتي. أليس رائعاً؟!



الفصل الخامس عشر أمتعة الركاب

بعد أن تقوّ بوارو بالعديد من العبارات المؤدبة، وبعد أن أخبر السيدة هوبارد بأنه سيطلب لها القهوة، استطاع أن يغادر المقصورة برفاقه صاحباه.

قال السيد بوك: حسناً، لقد بدأنا، ولكننا لم نجد ضالّتنا. من سنرى بعد ذلك؟

- أسهل شيء - على ما أظن - هو أن نبدأ بالتفتيش مقصورة مقصورة على طول الممر، وهذا يعني أننا سنبدأ برقم ١٦، حيث مقصورة السيد الودود هاردمان.

رحب بهم السيد هاردمان بدمائه وهو يدخن سيجاراً؛ تفصلوا أيها السادة، هذا إن كان دخولكم ممكناً؛ فالمكان ضيق قليلاً بالنسبة لمجموعة.

أوضح له السيد بوك الهدف من الزيارة، فهزّ المحقق الضخم رأسه مستوعباً وقال: لا بأس، والحقيقة أنني كنت أعجب كيف لم

تشرعوا بفتيش الأمتعة قبل ذلك. ها هي ذي مفاتيحي يا سادة، وإذا أردتم أن تفتشوا جيوبي أيضاً فعلى الرحب والسعة. هل أتناول لكم حقائب سفري؟

- سيقوم مسؤول التذاكر بذلك. ميشيل!

تم تفتيش محتويات حقبيتي سفر السيد هاردمان بسرعة، ولم يكن فيهما ما يذكر. التفت هاردمان ونظر خارجاً نحو الثلوج لدقيقة فرقت عيناه وكان الثلج أذاهما، ثم علق قائلاً: منظر يكاد يبهر العين، اليس كذلك؟ إن هذا الأمر - يا سادة - يؤثر أعصابي: جريمة القتل، والثلوج، ولا يحدث شيء. ننظر هنا فقط ونقتل الوقت. أود أن أشغل نفسي بمتابعة أحد ما أو شيء ما.

قال بوارو مبسماً: إنها الروح الشطة بحق.

أعاد مسؤول التذاكر الحقائب وتحركوا إلى المقصورة التالية. كان العقيد أربوثنوت يجلس في زاوية يدخن الغليون ويقرأ مجلة، وأوضح له بوارو مهمته فلم يعترض العقيد. كانت لديه حقيقتان ثقيلتان من الجلد وقال: لقد ذهبت بقية أمتعتي بطريق البحر.

وكاغلب رجال الجيش كانت أمتعة العقيد مرتبة، ولم يستغرق تفتيشها سوى بضع دقائق. ولاحظ بوارو علبه من منظفات الغليون فسأله: أتعامل دائماً بنفس النوع؟

- في العادة، إذا استطعت الحصول عليه.

أوماً بوارو برأسه. كانت منظفات الغليون هذه مطابقة تماماً

للمنظف الذي وجده على أرض مقصورة الرجل الميت.

ألقي الدكتور كونستانتين ملاحظة بهذا المعنى عندما عادوا إلى الممر، فتمتم بوارو: ولكن الأمر يقف عند هذا التشابه. إنني لا أكاد أصدق ذلك؛ فالجريمة لا تتسجم مع شخصيته، وعندما نقول ذلك فقد استغنيا عن أي كلام آخر.

كان باب المقصورة التالية مغلقاً، وهي مقصورة الأميرة دراغوميروف. طرقتوا على الباب فسمعوا صوت الأميرة العميق: ادخل.

كان السيد بولك هو المتحدث باسمهم، وقد شرح لها مهمتهم بكل توفير وأدب، واسمعت له الأميرة صامتة. كان وجهها الصغير الذي يشبه الضفدع خالياً من المشاعر، وعندما انتهت قالت بهدوء: إذا كان هذا ضرورياً فلا داعي للاعتذار. إن المفاتيح مع خادمتي وستعينكم في مهمتكم.

سأل بوارو: هل تحمل خادمتك المفاتيح دوماً يا سيدتي؟

- بالتأكيد يا سيد.

- وإذا احتاج مسؤولو جمارك الحدود في إحدى الليالي أن يفتشوا أمتعتك؟

رفعت العجوز كنفها بلا اهتمام وقالت: هذا مُستبعد جداً، ولكن إذا حصل مثل هذا الأمر فإن مسؤول التذاكر سيناديها.

- إذن فأنت تثقين بها تماماً يا سيدتي؟

قالت الأميرة بهدوء: لقد أخبرتك بذلك من قبل. انني لا أوظف أحداً لا أثق به.

قال يوارو مفكراً: نعم، فالفنقة مزينة لمينة فعلاً هذه الأيام. ربما يكون استخدام امرأة دميمة ساذجة يثق بها المرأة أفضل من استخدام خادمة أنيقة غصرية. كأن تكون باريصة جميلة على منبيل المثال.

وأى عينيها الذكيتين: الداكيتين تدوران وتستقران على وجهه، ثم قالت: ما الذي ترمي إليه بالضبط يا سيد يوارو؟

- أنا؟ لا شيء يا سيدتي، لا شيء.

- نعم، إن سميدت مخلصة لي، والإخلاص لا يقدر بشئ.

وصلت المرأة الألمانية ومعها المقاتح تحدثت إليها الأميرة بلغتها وأخبرتها أن تفتح الحجاب وتساعد السادة في بختهم، ووقفت هي في السمر تنظر خارجاً نحو الشوارع وبقي يوارو معها تاركا السيد بوك لمهمة بحث الأمعة.

زعمته بانضمامه بشعة وقالت: إذن يا سيد، ألا تريد رؤية ما نحويه حقائي؟

هز رأسه نائياً وقال: إنها مسألة روتينية فقط يا سيدتي.

- آلت متأكد تماماً؟

- بالنسبة لك، نعم.

- ولكنني عرفت سوتا آرمسترونغ وأحببتها، فما رأيك بذلك؟

أترى أنني ما كنتُ لأوسخ يدي بقتل وحش كهذا الرجل كاسيتي؟
لعلك تكون على حق.

صمتت لدقيقة أو اثنتين، ثم قالت: أتعرف ماذا كنت سأفعل برجل مثل هذا؟ كنت سأقول لخدمي: اجلدوا هذا الرجل حتى الموت، ثم ارموا بجثته في القمامة. لقد كانت الأمور تُسوى بهذه الطريقة عندما كنتُ صغيرة يا سيد.

بقي ممتمناً عن الحديث مكتفياً بالإصغاء باهتمام، فنظرت إليه بقوة مفاجئة وقالت: إنك لا تقول شيئاً يا سيد يوارو، بماذا تراك تفكر؟

نظر إليها نظرة مباشرة وقال: أظن يا سيدتي أن قولك تكمن في إرادتك، لا في يدك.

نظرت نحو ذراعيها الضعيفتين الداكيتين اللتين تتهيان يدين صفراوين امتلأت أصابعهما بالخواتم وقالت: هذا صحيح، فليست لدي قوة في هاتين أيدياً، وما أدري إن كنت سعيدة بذلك أم حزينة!

ثم التفتت فجأة عائدة إلى مقصورتها حيث كانت الخادمة مشغولة بإعادة ترتيب الحجاب، وهناك قاطعت الأميرة اعتذارات السيد بوك قائلة: لا داعي للاعتذار يا سيد. لقد ارتكبت جريمة ولا بد من القيام ببعض الأمور، هذا كل ما في الأمر.

- أنت في غاية اللطف يا سيدتي.

كان بابا المقصورتين التاليتين مُغلقتين، فوقف السيد بوك وحش

رأسه قائلاً: تبا! قد يكون هذا موقفاً صعباً؛ فهذان يحملان جوازى سفر ديلوماسيين، وأمتعتهما مستثناة من التفتيش.

- نعم، مستثناة من التفتيش الجمركي، ولكن الأمر يختلف بوجود جريمة قتل.

- أعرف، ومع ذلك لا تريد تعقيد الأمور...

- لا تزعج نفسك يا صديقي. سيكون الكونت والكونتيسة عاقلين، ألا ترى كم كانت الأميرة دراغومبيروف لطيفة في تقبل الأمر؟

- إنها امرأة عظيمة حقاً. وهذان الاثنان في نفس المكانة أيضاً، إلا أنني أحسستُ بأن الكونت رجل ذو مزاج شرس، ولم يعجبه إصرارك على استجواب زوجته، وسوف يضايقه هذا أكثر. ما رأيك لو ألغينا تفتيشهما، فلا يمكن أن تكون لهما -في نهاية الأمر- علاقة بمثل هذه القضية؟ لماذا أسبب لنفسى متاعب أنا في غنى عنها؟

قال يوارو: لكنني لا أوافقك، وأنا متأكد من أن الكونت أندريه سيكون عقلانياً. على أية حال، دعنا نحاول.

وقبل أن يعجبه السيد بوك طرق بحدّة على باب المقصورة رقم ١٣ فهتف صوت من الداخل: ادخل.

كان الكونت يجلس في الزاوية قرب الباب يقرأ صحيفة، وكانت الكونتيسة متفوقة في الزاوية المقابلة قرب النافذة وخلف رأسها وسادة، وقد بدا أنها كانت نائمة.

بدأ يوارو بقوله: معذرة يا سيدي الكونت، أرجو أن تغفر تدخلنا هذا، إلا أننا نقوم بتفتيش كل الأمتعة على القطار، وهو أمر شكلي في معظم الحالات، ولكن لا بد من القيام بذلك. ويرى السيد بوك أن حملكما جوازى سفر ديلوماسيين قد يسوّغ لكم المطالبة باستثنائكما من التفتيش.

فكر الكونت لدقيقة ثم قال: شكرًا لك، ولكن لا أظنني أود أن أكون مُستثنى، فأفضل أن يتم فحص أمتعتنا كأمتعة بقية الركاب.

ثم التفت إلى زوجته وقال: أأمل أنك لا تمانعين يا إنيّا؟

قالت الكونتيسة بلا تردد: أبداً.

نزع ذلك تفتيش روتيني سريع، وبدأ يوارو وكأنه يحاول تغطية بعض الحرج بعبارات صغيرة مختلفة غير ذات مغزى، مثل: "هذا الملصق على حقيبتك مبطل تماماً يا سيديتي". قال ذلك بينما كان يُنزل حقيبة زرقاء كتبت على ملصقها الأحرف الأولى للاسم وعليها شعار صغير.

لم تُحب الكونتيسة على هذا التعليق وبدأ أنها ضجرة من كل ما يجري، فقد ظلت متفوقة في الزاوية تحدق بشكل حالم خارج النافذة بينما كان الرجال يفتشون حقائبها في المقصورة التالية.

أنهى يوارو بحثه بفتح الخزانة الصغيرة فوق المغسلة ونظر بسرعة إلى محتوياتها: كريم للوجه، ومسحوق بودرة، وزجاجة صغيرة كتبت عليها أنها حبوب للنوم. ثم انسحبت فرقة التفتيش بعد تبادل العبارات المؤيدة بين الطرفين.

كانت المقصورة التالية هي مقصورة السيدة هوبارد. ثم مقصورة الرجل الميت. ثم مقصورة يوارو. ثم وصلوا إلى مقصورات الدرجة الثانية، وكانت الأولى هي ذات السريين ١٠ و ١١ وتُشغّلها كل من ماري دينهام التي كانت تقرأ كتاباً، وغريتا أولسون التي كانت تنام بعقم، إلا أنها صحت فزعة عندما دخلوا.

أعاد يوارو ذكر سبب التفقيش، وقد بدت السيدة السويدية متزعزعة، أما ماري دينهام فقد كانت هادئة وغير عابئة.

تكلم يوارو إلى السيدة السويدية: إذا سمحت يا آنسة، ستقوم بفقيش أمتعتك أولاً. ثم ربما تلغقت وذهبت لتتابعه حال السيدة الأميركية. لقد نقلناها إلى إحدى مقصورات العربة التالية، لكنها لا تزال في حالة سينة بسبب ما عثرت عليه. لقد قممت بطلب القهوة لها ولكنني أظنها من ذلك النوع الذي يحب أن يتحدث إلى شخص ما، وهذه أهم أولوية بالنسبة لها.

وسرعان ما ظهر التعاطف على السيدة الطيبة وشرعت تقول إنها ستذهب في الحال، فلا بد وأن الصدمة كانت كبيرة على أعصاب السيدة المسكينة، خاصة وأن السيدة المسكينة كانت متأثرة أصلاً بسبب الرحلة وتركها لابتنتها. أه، نعم! من المؤكد أنها ستذهب في الحال، وحقيبتها ليست مقلقة فيمكن تفقيشها أثناء غيابها.

غادرت بسرعة وتم فحص ممتلكاتها بسرعة فقد كانت قليلة جداً، ومن الواضح أنها لم تلاحظ الأسلاك المفقودة من صندوق قبعتها.

وضعت الآنسة دينهام كتابها جانباً وهي تراقب يوارو. ثم

سلمته المقايض بناء على طلبه، وعندما أتزل إحدى الحقائق وفتحها قالت له: لماذا أرسلتها يا سيد يوارو؟

- أنا يا آنسة؟ لتعني بالسيدة الأميركية.

- عذراً ممتاز... ولكنه يظل عذراً.

- لا أفهمك يا آنستي.

قالت: أظن أنك تهمني جيداً، ثم ابتسمت وقالت: لقد أردت الانفراد بي، أليس كذلك؟

- أنت تقوليني ما لم أقله وتضعين الكلمات على لساني يا آنستي.

- كما أضع الأفكار في رأسك؟ لا، لا أظن ذلك، فالأفكار موجودة أصلاً هناك. هذا صحيح، أليس كذلك؟

- إن عندنا مثلاً يا آنستي...

- «يكاد المريب يقول خذوني... أهذا ما كنت ستقوله؟ يجب أن تعترف لي بامتلاكك شيئاً من الملاحظة والحس المنطقي السليم؛ فليسب ما أفنعت نفسك بأنني أعرف شيئاً عن هذا العمل الشنيع... جريمة القتل هذه التي وقعت لرجل لم أزه أبدأ من قبل.

- إنك تتخيلين أموراً يا آنسة.

- لا، إنني لا أتخيل الأمور أبداً، ولكن يبدو لي أن وقتاً طويلاً يضع بسبب عدم قول الحقيقة وبسبب المناورة حول القضية بدلاً

كانت المقصورة الثالثة هي مقصورة السيدة هوبارد، ثم مقصورة الرجل الميت، ثم مقصورة يوارو، ثم وصلوا إلى مقصورات الدرجة الثانية، وكانت الأولى هي ذات السيرين ١٠ و ١١ وتشعلها كل من ماري دينهام التي كانت تقرأ كتاباً، وغريتا أولسون التي كانت تذايق، إلا أنها صحت فرقة عندما دخلوا.

أعاد يوارو ذكر سبب التفشي، وقد بدت السيدة السويدية متفعل، أما ماري دينهام فقد كانت هادئة وغير عابثة.

تكلم يوارو إلى السيدة السويدية: إذا سمحت يا آنسة، مستقوم بتفتيش أسعكت أولاً، ثم ربما تلصقت وذهبت لتتابعه حال السيدة الأميركية. لقد نقلتها إلى إحدى مقصورات العربة الثانية، لكنها لا تزال في حالة سيئة بسبب ما عثرت عليه. لقد قممت بطلب القهوة لها وتكثني أظنها من ذلك النوع الذي يحب أن يتحدث إلى شخص ما، وهذه أهم أولوية بالنسبة لها.

وسرعان ما ظهر التعاطف على السيدة الطيبة وشرعت تقول إنها ستذهب في الحال، فلا بد وأن الصدمة كانت كبيرة على أعصاب السيدة المسكينة. خاصة وأن السيدة المسكينة كانت متأثرة أصلاً بسبب الرحلة وتركها لابتنتها آه، نعم؛ من المؤكد أنها ستذهب في الحال، وحقيقتها ليست مقلقة فيمكن تفتيشها أثناء غيابها.

غادرت بسرعة وتم فحص محتلتاتها بسرعة فقد كانت قليلة جداً، ومن الواضح أنها لم تلاحظ الأسلاك المفقودة من صندوق قبعتها.

وضعت الأنسة دينهام كتابها جانباً وهي تراقب يوارو، ثم

سأمته المفاتيح بناء على طلبه، وعندما أنزل إحدى الحقائق وفتحها قالت له: لماذا أرسلتها يا سيد يوارو؟

- أنا يا آنسة؟ لعتني بالسيدة الأميركية.

- عذراً مثلاً... ولكنه يظل عذراً.

- لا أفهمك يا آنستي.

قالت: أظن أنك تفهمني جيداً، ثم ابتسمت وقالت: لقد أردت الانفراد بي، أليس كذلك؟

- أنت تقوليني ما لم أفقه وتضعين الكلمات على لساني يا آنستي.

- كما أضع الأفكار في رأسك؟ لا، لا أظن ذلك؛ فالأفكار موجودة أصلاً هناك. هذا صحيح، أليس كذلك؟

- (إن عندما مثلاً يا آنستي...

- «بكاد المريب يقول خذوني... أهذا ما كنت ستفعله؟ يجب أن تعترف لي بامتلاكي شيئاً من الملاحظة والحس المنطقي السليم؛ فليسب ما أفتحت نفسك بأنني أعرف شيئاً عن هذا العمل الشنيع... جريمة القتل هذه التي وقعت لرجل لم أره أبداً من قبل.

- إنك تتحيلين أموراً يا آنسة.

- لا، إنني لا أتخيل الأمور أبداً، ولكن يبدو لي أن وقتاً طويلاً يضع بسبب عدم قول الحقيقة وبسبب المناورة حول القضية بدلاً

من الدخول في صلب الموضوع.

- وأنت لا تحبب إضاعة الوقت. نعم، أنت تفضلين الدخول في صلب الموضوع وتحببين الطريقة المباشرة؛ لذلك سوف أتعامل معك بالأسلوب المباشر وأسألك عن معنى كلمات سمعتها أثناء الرحلة من سوريا. لقد خرجت من القطار في محطة قونية لتسرين رجلي، وقد سمعت صوتك يا آنسة وصوت العقيد في الليل. كنت تقولين له: "ليس الآن، ليس الآن، عندما ينتهي كل شيء". عندما يكون كل شيء ورائنا. ما الذي عنيت بهذه الكلمات؟

قالت يهدوء تام: أنقذتني كنت أعني... جريمة قتل؟

- أنا الذي أسألك يا آنسة.

تهدأت وغرقت قليلاً في أفكارها، ثم قالت وكأنها صحت من شروء: إن لهذه الكلمات معنى يا سيدي، ولكنني لا أستطيع أن أخبرك به. أستطيع فقط أن أعطيك كلمتي بصدق وشرف بأنه ثم تقع عينا على هذا الرجل راثيت في حياتي حتى رأيته على هذا القطار.

- وترفضين أن توضحني معنى تلك الكلمات؟

- نعم... إذا أردت أن تصوغها كذلك. إنها تخص... مهمة توليتها.

- مهمة انتهت الآن؟

- ماذا تعني؟

- لقد انتهت، أليس كذلك؟

- لماذا نظن ذلك؟

- اسمعي يا آنسة، سأذكر لك حادثاً آخر. لقد تأخر القطار في طريقه إلى إسطنبول، وكنت متضايقاً جداً يا آنسة. إن الهدوء ورواثة الجاش من طبيعتك، ولكنك فقدت ذلك الهدوء حينئذ.

- لم أشأ أن ينقطع خط رحلتي.

- أنت تقولين ذلك. ولكن قطار الشرق السريع - يا آنسة - يغادر إسطنبول كل يوم من أيام الأسبوع، وحتى لو ضاعت عليك الصلة بالخط، فإن ذلك لن يعني إلا تأخيراً لأربع وعشرين ساعة فقط.

لأول مرة ظهر على الأنسة ديهنام أنها فقدت أعصابها؛ يبدو أنك لا تدرك أنه قد يكون لدى المرء أصدقاء ينتظرون قدومه في لندن، وأن تأخير يوم قد يعرقل الترتيبات ويسبب الكثير من الإزعاج.

- آه، إن الأمر كذلك! أهنئك أصدقاء ينتظرون قدومك ولا تريد أن تسببي لهم الإزعاج؟

- طبعاً.

- ولكن رغم ذلك فالأمر غريب...

- ما هو الغريب؟

- لقد حصل تأخير آخر لهذا القطار، وهو في هذه المرة تأخير

جداي جدا، حيث لا توجد إمكانية إرسال بوقية إلى أصدفائك أو محاولة الوصول إليهم عن طريق الاتصال... الاتصال...

- الاتصال البعيد؟ تعني بواسطة الهاتف؟

- آه، نعم، المكالمات بعيدة المدى كما تسمونها في إنكلترا.

ابستت ماري دينهام على الرغم عنها وقالت: نعم؛ إنه لأمر مزعج جداً - كما قلت - أن لا يتمكن المرء من الاتصال، إما بواسطة الهاتف أو بوقياً.

- ولكن - على الرغم من ذلك يا آنسة - فإن سلوكك هذه المرة مختلف جداً، فأنت لم تفقدي صبرك، بل أنت هادئة جداً وذات مزاج فلسفي.

احمزت وجنته ماري دينهام قليلاً وغضت على شفتها ولم تعد تشعر بميل للإشماع.

- لم تعجبي يا آنسة؟

- أنا آسفة، لم أعرف أن هناك سؤالاً ينبغي الإجابة عليه.

- توضح التغيير في سلوكك يا آنسة؟

- ألا تظن أنك تثير ضجة على أمر لا يستحق يا سيد بوارو؟

مدّ بوارو يده بإشارة اعتذار وقال: ربما كان ذلك عيباً قبيحاً معشر رجال التحري؛ إذ نتوقع أن يكون السلوك منسجماً دائماً، وليس في قاموسنا تغييرات المزاج.

لم تجب ماري دينهام.

- هل تعرفين العقيد أربوثوت جيداً يا آنسة؟

تُحِيل إليه أنها اتراحت لتغيير الموضوع، قالت: قابلته للمرة الأولى على هذه الرحلة.

- هل لديك أي سبب يدعوك للاعتقاد بأنه ربما كان يعرف هذا الرجل وانثيت؟

هزت رأسها نافية وقالت: أنا متأكدة جداً من أنه لم يعرفه.

- لماذا أنت متأكدة؟

- من الطريقة التي تحدث بها.

- ولكن، على الرغم من ذلك يا آنسة، فقد عثرنا على منطوق

غليون على أرض مقصورة الرجل الميت، والعقيد أربوثوت هو الرجل الوحيد على القطار الذي يدخل الغليون.

راقبها جيداً، إلا أنها لم تُبدِ أية مفاجأة أو عاطفة، بل اكتفت بالقول: هراء! إن هذا احتمال سخيف؛ فالعقيد أربوثوت هو آخر رجل في الدنيا يمكن أن يتورط في جريمة... وخصوصاً في جريمة مسرحية كهذه.

- يجب أن أذكرك بأنك لا تعرفينه جيداً يا آنسة.

رفعت كتفها بلا مبالاة وقالت: إنني أعرف أمثاله جيداً.

قال بكثير من اللطف: أما زلت ترفضين إيجازي بمعنى تلك الكلمات: عندما يكون كل شيء ورائنا؟

قالت يبرود: ليس لدي شيء آخر لأقوله.

- لا يهم، سأكتشف ذلك.

انحنى وغادر المقصورة وأغلق الباب خلفه.

سأل السيد بوك: هل كان ذلك من الحكمة يا صديقي؟ لقد جعلتها تحترس الآن، ومن خلالها جعلت العقيد يحترس أيضاً.

- إذا أردت أن تنسك أرنباً فعليك أن تضع ابن عرس في حجره، وإذا كان الأرنب في الداخل فإنه سيهرب. وهذا كل ما فعلته!

* * *

دخلوا مقصورة هيلداغارد شميدت. كانت المرأة تنفث بالانتظار وتعبيرات وجهها تتم عن الاحترام، ولكنها كانت تخلص من المشاعر.

ألقي بوارو نظرة سريعة على محتويات الحقيبة الصغيرة التي كانت على المقعد، ثم أشار إلى مسؤول التذاكر أن يُزِل الحقيبة الكبيرة عن الرف وقال: المفاتيح؟

- إنها غير مقلدة يا سيدي.

حل بوارو الأحزمة ورفع الغطاء، وما لبث أن هتب: "هآ"، ثم

التفت نحو السيد بوك قائلاً: "أذكرك ما قلت؟ انظر هنا". وعلى وجه الأنثى كان زي بني من أزياء مسؤولي التذاكر موضوع بغير ترتيب.

تهافت تماسك السيدة الألمانية فجأة وصاحت: آه! هذا ليس بي، وأنا لم أضعه هنا. لم أنظر في تلك الحقيبة منذ غادرتنا إسطنبول. صدقوني... حقاً. إنها الحقيبة.

نظرت من رجل إلى آخر نظرة رجاء، فأخذها بوارو من ذراعها بلطف مهدئاً وقال: كل شيء على ما يرام؛ إننا نصدقك، فلا تتألمي. أنا متأكد من أنك لم تضعي هذا الزي هنا مثلما أنني متأكد من أنك طباعة ماهرة. أنت طباعة ماهرة، أليس كذلك؟

تحيرت المرأة وابتنست رغماً عنها وقالت: نعم، فعلاً؛ كل سيداتي قلن ذلك، إنني...

توقفت وفتحت قمها، وبدت خائفة مرة أخرى فقال بوارو: لا، أؤكد لك أن كل شيء على ما يرام، وسوف أخبرك كيف حدث هذا. إن ذلك الرجل الذي رأيته بزي مسؤول التذاكر قد خرج من مقصورة الرجل الميت واصطدم بك، وهذا من سوء حظك. كان يأمل ألا يراه أحد، فماذا يفعل؟ عليه أن يتخلص من الزي، فلم يعد هذا الزي حماية له بل خطراً عليه.

انتقلت نظراته إلى السيد بوك والدكتور كونستانتين اللذين كانا يستمعان بشغف.

- لقد عطلت النلوج في الخارج كل مخططاته، فأين يستطيع أن يخفي هذه الملابس؟ إن جميع المقصورات مليئة، ولكن كلا،

تقدم من من أمام واحدة بابها مفتوح مما دل على أنها خالية. لا بد
ولأنها مقصورة المرأة التي اصطدم لثوبه بها، وهكذا تسلسل داخلها
وسرع عنه الذي وحشره بسرعة في الحقيبة التي وجدها على الرف،
فبدلت قد يمر بعض الوقت قبل أن يُكتشف وجوده.

قال السيد بولك: وبعد ذلك؟

قال يوارو: لهذا ما يجب أن تبحث فيه. ثم رفع السترة.
وكان الثور الثالث من الأعلى مفقوداً. ومد يوارو يده في جيب
السترة فأخرج مفتاحاً مما يستعمله مسؤولو التذاكر لفتح أبواب
جميع المقصورات.

قال السيد بولك: هذا يفسر كيف استطاع رجلنا أن يمر عبر
الأبواب المغلقة، وأستلكت للسيدة هوبارد ثم لكن ضرورية. فبعض
تخطر عشا إذا كان الباب مغلقاً لم لا فإن الرجل استطاع أن يمر عبر
أبواب المواصل بسهولة. ومن يستطيع الحصول على زي مسؤول
التذاكر فليبعه مفتاحه.

قال يوارو نعم. هذا صحيح.

- كان يجب علينا أن نعرف ذلك حقاً. ألا تذكر أن ميشيل قال
إن باب مقصورة السيدة هوبارد المؤدي إلى الممر كان مغلقاً عندما
أتمى ليّدة على الجرس؟

قال مسؤول التذاكر: هذا صحيح يا سيدي. ولهذا ظننت أن
السيدة كانت تحلم بالتأكد.

تابع السيد بولك. ولكن الأمر انضج الآن. لا شك في أنه أراد
أن يفتح الباب الموصل أيضاً ولكنه ربما سمع حركة في السرب
اخافته.

قال يوارو: بقي لدينا فقط أن نعثر على قميص النوم
القرمزي.

- هذا صحيح، ولكن هاتان المقصورتان الأخيرتان بقطعهما
رجال.

- ستفتشهما بعض النظر عن ذلك.

- آه، بالتأكيد! بالإضافة إلى أنني أذكر ماذا قلت.

الصاع هيكتور ماكوين مطيعاً للتفتيش وقال بابتسامة مازحة:
إنني أفضل أن تقوموا بذلك. إذ أنني أشعر بأنني أول من تشكون
فيه، فيما عليكم إلا أن تجدوا وصية ترك لي فيها الرجل العجوز كل
أمواله حتى تكتمل الأدلة ضدي.

نظر السيد بولك نحوه بشك. فقال ماكوين بسرعة: إنني أفرح
فقط. ما كان ليترك لي شيئاً واحداً؛ فكل ما في الأمر أنه كان بحاجة
إلي. وخاصة من ناحية اللغات. إن المرأة معرض لكثير من المتاعب
إذا لم يكن يتكلم سوى اللغة الأميركية. وأنا لا أعتبر نفسي لغوياً
ولكنني أعرف كيف أتفاهم في موضوعات الشراء وحجز الفنادق
بالفرنسية والألمانية والإيطالية.

كان صوته أعلى من المعتاد، وكأنه لم يرتح لموضوع التفتيش رغم ما أبداه من استعداد.

نهض بوارو قائلاً: لا شيء، ولا حتى وصية بنصف الإرث! تنهد ماركين وقال مازحاً: لقد زال عن ظهري عبء كبير.



التجهوا نحو المقصورة الأخيرة، ولم يسفر البحث في أمتعة الإيطالي المضخم وال خادم عن شيء.

وقف الرجال الثلاثة في نهاية العربة ينظر بعضهم إلى بعض، وسأل السيد بوك: ماذا بعد ذلك؟

قال بوارو: سنعود إلى عربة المضخم، فنحن نعرف الآن كل ما تحتاج إليه: لدينا إفادات المسافرين، وإفادات أمتعتهم، وما رأيناه بأعيننا من أدلة، ولا نستطيع أن نتوقع أية مساعدات أخرى. لقد آن الأوان لكي نستخدم عقولنا.

مد يده إلى جيبه وأخرج عبئة لفائف التبغ فوجدها فارغة، فقال: سأضخم إليكم بعد قليل، فأنا بحاجة إلى التدخين. إنها قضية جادة جداً ومثيرة جداً للفضول، من التي كانت تلبس قميص النوم القرمزي؟ أين هي الآن؟ أتمنى لو أعرف، إن في هذه القضية شيئاً ما... عاملاً ما... لا أستطيع أن أضغ يدي عليه. إنها صعبة لأنها تجعلت صعبة، ولكننا سنناقشها. اعذروني لدقيقة

مشى مسرعاً عبر الممر إلى مقصورته حيث كان يحتفظ ببعض علب التبغ في إحدى حقائبه. أنزل الحقيبة وفتح القفل، ثم جلس على كعبيه وحذق. كان قميص نوم قرمزي مُزين بأشكال النين مرتباً بعناية فوق الأمتعة.

تمتم قائلاً: الأمر هكذا إذن... إنه تحد. حسناً، سأقبل التحدي.



الجزء الثالث

هیرکیول بوارو يفکر

الفصل الأول

أيّ منهم؟

كان السيد بوك والدكتور كونستانتين يتحدثان عندما دخل بوارو عربة المطعم ، وقد بدا السيد بوك مكتئباً وقال عندما رأى بوارو: "تفضل هنا". ثم أضاف عندما جلس صاحبه: إذا استطعت أن تحل هذه القضية - يا عزيزي - فسوف أؤمن بالمعجزات حقاً!

- أتثير هذه القضية قلقك؟

- طبعاً هي تثير قلقي؛ فأنا لا أعرف لها أولاً من آخر.

قال الطبيب: "وأنا أوافقك"، ثم نظر نحو بوارو باهتمام وقال: كي أكون صريحاً، فإنني لا أستطيع أن أرى ما الذي ستفعله الآن.

قال بوارو مفكراً بعينين حالمتين: حقاً؟ ولكن هذا ما بشير اهتمامي في هذه القضية، فنحن מחجوبون عن الإجراءات الروتينية التي تتبع عادة. هل يقول هؤلاء الناس (الذين أخذنا إفاداتهم) الحقيقة أم هم كاذبون؟ ليست لدينا وسيلة للتأكد من ذلك إلا ما يمكن أن نتذكره نحن. إن هذه القضية هي تمرين للعقل.

قال السيد بورك: هذا كله جيد جداً، ولكن ماذا لديك مما
يمكن أن نطعن منه؟

- لقد أخبرتكم أنني، لدينا إفادات الركاب والأدلة التي رأيناها
باعتبارنا.

- يا لها من إفادات! إنها لم تُخبرنا بشيء أبداً.

هز بوارو رأسه تافهاً وقال: أنا لا أوافقك يا صديقي، إفادات
الركاب أعطتنا العديد من النقاط المثيرة.

قال السيد بورك مُشككاً: أنا لم ألاحظ ذلك أبداً.

- هذا لأنك لم تُنصت.

- حسناً، أخبرني: ما الذي فاتني؟

- سأعطيك مثلاً واحداً. إن أول إفادة سمعناها هي إفادة الشاب
ماكويين، وقد تقوّ بما أفهه عبارة مهمة جداً.

- عن الرسائل؟

- لا، ليس عن الرسائل. حسب ما أذكر فقد كانت كلماته
كالتالي: "لقد سافرتنا كثيراً، حيث أراد السيد راتشيت أن يرى العالم،
وقد كان يعيقه عدم معرفته باللغات. لقد عملت له دليلاً أكثر من
عملي سكرتيراً".

انتقلت نظراته من وجه الغريب إلى وجه السيد بورك وقال:
ماذا؟ أما زلنما غير قادرين على الاستيعاب؟ لا يوجد عذر لذلك،
حيث ستحت لكما فرصة أخرى عندما قال إن البرء معرض لكثير

من المتاعب إذا لم يكن يتكلم سوى اللغة الأميركية.

قال السيد بورك من غير أن تفارقه الحيرة: ماذا تعني...؟

- آه، إنكما تريدان أن أفتر لكما الأمر كلمة كلمة! حسناً، ها
هو ذا إذن: إن السيد راتشيت لم يكن يتحدث الفرنسية، ولكن - رغم
ذلك - عندما وصل مسؤول التذاكر ليبد على جرسه أيلة أمس كان
صوتاً يتكلم الفرنسية هو الذي أخبره بأنه كان مخطئاً وأنه ليس بحاجة
إليه، وفوق ذلك استخدمت عبارة لغوية قوية لا يمكن أن تصدر عن
رجل لا يعرف إلا بضعة كلمات فرنسية.

صاح كولستانتين بانفعال: هذا صحيح، كان يجب علينا أن
نستنتج ذلك! أذكر أنك وكثرت على الكلمات عندما أعدتها علينا،
وأفهم الآن تردّدك في اعتماد دليل الساعة المحطمة، ففي الواحدة
إلا ثلاث وعشرين دقيقة كان راتشيت ميتاً أصلاً!

أنهى السيد بورك العبارة قائلاً: وكان قاتله هو الذي يتحدث.

رفع بوارو يده معترضاً وقال: دعونا لا نتعجل الأمور أو نفترض
أكثر مما نعرف حقاً، وأظن أن بوسعنا القول إنه في ذلك الوقت
(الواحدة إلا ثلاث وعشرين دقيقة) كان في مقصورة راتشيت شخص
آخر وأنه إما فرنسي أو أنه يتحدث الفرنسية بطلاقة.

- إنك حذر جداً يا صديقي العزيز.

- يجب علينا أن نتقدم خطوة خطوة؛ فليس لدينا دليل فعلي
يقول إن راتشيت كان ميتاً في ذلك الوقت.

- وماذا عن الصبيحة التي أبقتك؟

- نعم، هذا صحيح

قال السيد بوك متأملاً: إن هذا الاكتشاف لا يؤثر كثيراً على الأمور. لقد سمعت شخصاً ينحرك في المقصورة المجاورة، وذلك الشخص لم يكن رانثيت وإنما الرجل الآخر. لا شك في أنه كان يغسل الدماء عن يديه وينظف المكان بعد الجريمة ويحرق الرسالة التي تُجرّمه، ثم ينتظر حتى يصبح الوضع هادئاً، ثم عندما يقطن أن الوضع آمن يقفل باب رانثيت من الداخل ويفتح الباب الموصل إلى مقصورة السيدة هوبارد ويسلّ خارجاً بتلك الطريقة. في الواقع كان الأمر كما فكرنا فيه تماماً، والاختلاف الوحيد هو أن رانثيت قد قُتل قبل الوقت الذي ظنناه بنصف ساعة، وقد تم تحطيم الساعة وهي في الواحدة والربع كشاهد يستطيع القاتل استخدامه للدفع بغيابه عن مسرح الجريمة وقت وقوعها.

قال بوارو: ولكنه ليس شاهداً قوياً؛ فعقارب الساعة كانت تشير إلى الواحدة والربع، وهو الوقت الذي غادر فيه القاتل مسرح الجريمة بالضبط.

قال السيد بوك بشيء من الحيرة: هذا صحيح. بماذا تخبرك الساعة إذن؟

- إذا تم تغيير عقارب الساعة (وأقول - هنا - إذا...) فإن الوقت الذي وُضعت عليه العقارب لا بد من أن تكون له أهمية، ورد الفعل الطبيعي هو أن نشك في أي شخص لديه دفع بالغبية خلال الوقت المشار إليه، وهو في هذه الحالة الواحدة والربع.

قال الطبيب: نعم، نعم؛ هذا تحليل جيد.

- يجب علينا أن نوجه عنايتنا أيضاً إلى الوقت الذي دُخل فيه القاتل إلى المقصورة. فمسي كانت لديه الفرصة للقيام بذلك؟ إذا لم يكن مسؤول التذاكر مشاركاً في الجريمة، فيوجد وقت واحد فقط، وهو أثناء توقف القطار في فينكوفشي. فبعد أن غادر القطار فينكوفشي كان مسؤول التذاكر يجلس مواجهاً للممر، وفي الوقت الذي قد لا ينتبه أحد من الركاب إلى مسؤول تذاكر فإن الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يلاحظ وجود مسؤول تذاكر دخيل هو المسؤول الحقيقي، ولكن أثناء توقف القطار في فينكوفشي كان مسؤول التذاكر على الرصيف في الخارج، وبذلك يكون الجو خالياً للآخر.

قال السيد بوك: إذن، وباستخدام استنتاجنا السابق، لا بد من أن يكون أحد الركاب، وهكذا نعود إلى حيث كنا. أي راكب منهم؟

ايسم بوارو وقال: لقد وضعتُ قائمة، وإذا أردتما رؤيتها فلعلها تُنعش ذاكرتكما.

انحنى الطبيب والسيد بوك فوق القائمة معاً. كانت مرتبة وأنيقة ومكتوبة حسب الترتيب الذي تمت به عملية مقابلة الركاب:

هيكور ماكوين، أميركي الجنسية، السرير رقم ٦،
الدرجة الثانية.

الدافع: قد يكون الدافع ناتجاً عن علاقته مع القتيل.
دفعه بالغبية عن مسرح الجريمة: منذ منتصف الليل

وحتى الثانية صباحاً (من منتصف الليل وحتى الواحدة والنصف يشهد له العقيد أربونوت، ومن الواحدة والرّبع وحتى الثانية يشهد له مسؤول التذاكر).

الدليل ضده: لا يوجد.

ظروف مثيرة للشك: لا يوجد.

مسؤول التذاكر بيير ميشيل، فرنسي الجنسية.

الدافع: لا يوجد.

دفعه بالغية عن مسرح الجريمة: منذ منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً (رأه هيركيول يوارو في العمر في نفس الوقت الذي تحدث فيه الصوت من مقصورة رايشيت في الساعة ١٢،٣٧. من الساعة ١،٠٠ صباحاً وحتى ١،١٦ يشهد له مسؤولان آخران من مسؤولي التذاكر).

الدليل ضده: لا يوجد.

ظروف مثيرة للشك: الزي الرسمي الذي عُثر عليه هو نقطة اتصاله، لأنه يبدو أن القصد من وراء ذلك هو إثارة الشك حوله.

إدوارد ماسترمان، إنكليزي الجنسية، السرير رقم ٤، الدرجة الثانية.

الدافع: قد يكون الدافع ناتجاً عن علاقته مع الميت، فقد كان هذا خادمه.

دفعه بالغية عن مسرح الجريمة: من منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً (يشهد له أنطويو فوسكاريلي).

الدليل ضده أو ظروف مثيرة للشك: لا يوجد، ما عدا أنه الرجل الوحيد ذو الطول والحجم اللذين يمكنانه من ارتداء زي الخطوط، وبالمقابل يستبعد أن يتكلم الفرنسية بطلاقة.

السيدة هوبارد، أميركية الجنسية، السرير رقم ٣، الدرجة الأولى.

الدافع: لا يوجد.

دفعها بالغية عن مسرح الجريمة: من منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً: لا يوجد.

الدليل ضدها أو ظروف مثيرة للشك: قصتها حول وجود الرجل في مقصورتها مدعومة بإفادات هاردمان وإفادة السيدة شسيدت.

غريتا أولسون، سويدية الجنسية، السرير رقم ١٠، الدرجة الثانية.

الدافع: لا يوجد.

دفعها بالغية عن مسرح الجريمة: بين منتصف الليل والثانية صباحاً (شهادة ماري دينهام). ملاحظة: كانت آخر من يرى رايشيت حياً.

الأميرة دراغوميروف، متجنسة بالجنسية الفرنسية، سرير رقم ١٤، الدرجة الأولى.

الدافع: كانت على علاقة حميمة مع عائلة أرمسترونغ، وهي إيشبنة سونيا أرمسترونغ.

دفعها بالغيبه عن مسرح الجريمة: من منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً (يشهد لها مسؤول التذاكر وعيادتها).

الدليل ضدها أو ظروف مثيرة للشك: لا يوجد.

الكونت أندريه، هنغاري الجنسية، جواز دبلوماسي، سرير رقم ١٣، الدرجة الأولى.

الدافع: لا يوجد.

دفعه بالغيبه عن مسرح الجريمة: من منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً (يشهد له مسؤول التذاكر، ولكن هذه الشهادة لا تغطي الفترة من الواحدة وحتى الواحدة والربع).

الكونتيسة أندريه، كما في أعلاه، السرير رقم ١٢، الدرجة الأولى.

الدافع: لا يوجد.

دفعها بالغيبه عن مسرح الجريمة: من منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً حين تناولت منوم الترايونيول ونامت (يشهد لها زوجها كما وجدت عليه ترايونيول في خزانها).

العقيد آريونوت، بريطاني الجنسية، السرير رقم ١٥، الدرجة الأولى.

الدافع: لا يوجد.

دفعه بالغيبه عن مسرح الجريمة: من منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً، فقد تحدث مع ماكوين حتى

١٠٣٠ ثم ذهب إلى مقصورته ولم يغادرها (يشهد له ماكوين ومسؤول التذاكر).

الدليل ضده أو ظروف مثيرة للشك: متظف غليون.

سايروس هاردمان، أميركي الجنسية، السرير رقم ١٦، الدرجة الأولى.

الدافع: لا يوجد.

دفعه بالغيبه عن مسرح الجريمة: من منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً: لم يغادر مقصورته (يشهد له ماكوين ومسؤول التذاكر).

الدليل ضده أو ظروف مثيرة للشك: لا يوجد.

أنطونيو فوسكاريلي، أميركي الجنسية (إيطالي المولد)، السرير رقم ٥، الدرجة الثانية.

الدافع: لا يوجد.

دفعه بالغيبه عن مسرح الجريمة: من منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً (شهادة إدوارد ماسترمان).

الدليل ضده أو ظروف مثيرة للشك: لا يوجد، ما عدا أن السلاح المستعمل قد يكون مناسباً لمقلته (برأي السيد بوك!).

ماري دينهام، بريطانية الجنسية، السرير رقم ١١، الدرجة الثانية.

الدافع: لا يوجد.

دفعها بالغيبه عن مسرح الجريمة: من منتصف الليل

وحتى الثانية صباحاً (نشهد لها غريتا أولسون).

التدليل ضدها أو ظروف مثيرة للشك: المحادثة التي سمعها هيركيول بوارو ورفضها لتفسير هذه المحادثة.

هيلدغار شيدت، ألمانية الجنسية، السري رقم ٨،
الدرجة الثانية.

الدافع: لا يوجد.

الشاهد معها: من منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً
(يشهد لها مسؤول التذاكر وسيدتها). أوت إلى سيريها
ثم أيقظها مسؤول التذاكر في نحو ١٢,٣٨ وذهبت
إلى سيدتها.

ملاحظة: إن إفادات الركاب تدعمها إفادة مسؤول
التذاكر بأنه لم يدخل أحد إلى مقصورة السيد راتشيت
أو يغادرها بين منتصف الليل والساعة الواحدة (عندما
ذهب هو إلى العربة التالية) ومن ١,١٥ وحتى الساعة
الثانية.

قال بوارو: أريدكم أن تفهموا أن هذه الوثيقة هي مجرد ملخص
لإفادات التي سمعناها، وقد رُبِّت بهذه الطريقة للمسهولة.

أعادها السيد بولك وقد تغيرت قسمات وجهه وقال: إنها
لا توضح شيئاً.

قال بوارو وهو يسلمه ورقة ثانية وقد ارتسمت على وجهه
إبتسامة بسيطة: قد تجد هذه أقرب إلى ذوقك.

الفصل الثاني

عشرة أسئلة

كان مكتوباً على الورقة: «أشياء بحاجة إلى توضيح»، ونحتها
الأسئلة التالية:

- ١ - المتدليل المطرّز بحرف «ه»، لمن هو؟
- ٢ - متلف الغليون، هل سقط من العقيد أوبوثوت؟ أم من
شخص آخر؟
- ٣ - من التي كانت تلبس قميص النوم القرمزي؟
- ٤ - من هو الرجل (أو المرأة) الذي كان يتخفى في زي
الخطوط؟
- ٥ - لماذا تشير عقارب الساعة إلى الواحدة والربع؟
- ٦ - هل ارتكبت الجريمة في ذلك الوقت؟
- ٧ - هل ارتكبت قبل ذلك؟
- ٨ - هل ارتكبت بعد ذلك؟
- ٩ - هل نستطيع التأكد من أن أكثر من شخص طعن راتشيت؟
- ١٠ - ما هي التفسيرات الأخرى الممكنة لطبيعة جراحه؟

قال السيد بوك وقد تهلل وجهه قليلاً لهذا التحدي لذكائه:
دهونا نفكر ماذا نستطيع أن نفعل، ولنبدأ بالتعديل. ويجب أن تكون
مُرتَّبين ومنهجين.

قال بوارو وهو يومن برأسه بشيء من الرضا: بالتأكيد.

تابع السيد بوك بشيء من أساليب المدرسين: إن حرف الهاء
مرتبط بثلاثة أشخاص: السيدة هوبارد، والأنتسة دينهام (حيث أن
اسمها الثاني هو هيرميون) والخادمة هيلداغارد شميدت.

- آه، ومن بين هؤلاء الثلاثة...؟

- يصعب القول. ولكني أرجح أن يكون للأنتسة دينهام، فربما
تُدعى عادة باسمها الثاني وليس الأول، كما أن بعض الشكوك تحوم
حولها أيضاً؛ فالمحادثة التي سمعتها - يا صديقي - تثير الفضول بكل
تأكيد، وكذلك رفضها لتوضيح تلك المحادثة.

قال الدكتور كونستانتين: أما أنا فأقول إنه للأميركية، فذلك
المتدبل ثمين جداً، والعالم كله يعرف أن الأميركيين لا يهتمون بما
يدفعون.

قال بوارو: إذن فأنتما تستبعدان الخادمة؟

- نعم؛ فقد قالت هي نفسها إنه متدبل يعود إلى واحدة من
الطبقة العليا.

- السؤال الثاني عن الغليون: هل سقط من العقيد أربوثوت
ألم من شخص غير؟

- هذا أكثر صعوبة، فأنا أميل إلى أن شخصاً قد أسقط منظف
الغليون كي يُتهم الرجل بالأمر.

قال الطبيب: كما قلت يا سيد بوارو، فإن وجود دليلين في
وقت واحد يدل على درجة كبيرة من الإهمال، وأنا أتفق مع السيد
بوك في أن المتدبل دليل حقيقي ولذلك لم يعترف أحد بأنه له، أما
منظف الغليون فهو دليل مصطنع. ومما يدل على صحة هذه النظرية
أن العقيد أربوثوت لم يظهر أي تردد في الاعتراف بأنه يدخن الغليون
ويستعمل ذلك النوع من المنظف.

قال بوارو: إنك تحلل الأمور بشكل جيد.

تابع السيد بوك: السؤال الثالث: من هي التي كانت تلبس
قميص النوم القرمزي؟ بالنسبة لهذا السؤال فأني أعترف بأنني
لا أمتلك أدنى فكرة. هل لديك أية أفكار حول هذا الموضوع
يا دكتور كونستانتين؟

- أيداً.

- إذن تعترف بهزيمتنا هنا. أما السؤال الثاني فله عدة احتمالات:
من هو الرجل أو المرأة الذي تخفى بزي الخطوط؟ يستطيع المرء أن
يقول بكل تأكيد من هم الذين لا يمكن أن يكونوا قد قاموا بذلك:
فهاردمان والعقيد أربوثوت وفوسكاريللي والكونت أندريه
طوال القامة كلهم. أما السيدة هوبارد وهيلداغارد شميدت وغريتا
أولسون فهن عريضات الكتف. وبذلك يبقى لدينا الخادم والأنتسة
دينهام والأميرة دراغوميروف والكونتيسة أندريه. ولا أظن أن أيّاً

من هؤلاء يمكن أن يفعل ذلك؛ فغريتا أونسون من جهة وأنطونيو فوسكاريلاتي من جهة أخرى يحتفلان أن الأسة ديتهام والخادم لم يغادرا مقصورتيهما، وهنذا غاردا شديدة تقسم أن الأميرة كانت في مقصورتها، كما يخبرنا الكونت أن زوجته تناولت شراباً منوماً، ولهذا يبدو من المستحيل أن يكون أي مناهم هو ذلك الشخص. وهذا أمر غريب جداً.

قال الدكتور كونستانين: لا بد من أن يكون أحد هؤلاء الأربعة، إلا إذا كان شخصاً من الخارج واستطاع أن يجد مكاناً يختبئ فيه. وهذا - كما اتفقنا - مستحيل.

تابع السيد بوك إلى السؤال الثاني على القائمة، رقم ٥: لماذا تشير عقارب الساعة المحفوظة إلى الواحدة والربع؟ أرى أن لذلك تفسيرين؛ فإما أن يكون القاتل قد فعل ذلك ليبعد عن نفسه التهمة في ذلك الوقت ثم حبل بيته وبين مغادرة المقصورة بعد ذلك عندما سمع أشخاصاً يتحركون، أو... انظروا، جاءني فكرة!

انظر الآن الثاني الآخران باحترام بينما كان ذهن السيد بوك يجاهد للعثور على الحل. وأخيراً قال: وجدتها! لم يكن القاتل المتخفي بري الخطوط هو الذي عثت بالساعة، وإنما الشخص الذي أسميته القاتل الثاني! الشخص الأعسر الذي يستعمل يده اليسرى... أو - إذا شئت - المرأة ذات قبيص النوم القرمزي. لقد وصلت لاحقاً فحركت عقارب الساعة إلى الوراء كي يتسنى لها أن تثبت وجودها في مكان آخر في ذلك الوقت.

قال الدكتور كونستانين: عظيم. فكرة أحسن تخيلها.

قال بوارو: في الواقع لقد قامت بطعنه في الظلام من دون أن تدرك أنه كان ميتاً، ولكنها استنتجت - بطريقة ما - أن لديه ساعة في جيب سترة نومه، فأخرجتها وأعادتها العقارب إلى الخلف دون أن ترى وكسرها.

نظر السيد بوك نحوه ببرود وسأل: أليس لديك فكرة أفضل تقترحها؟

اعترف بوارو: "في هذه اللحظة؟ لا". ثم تابع كلامه: على أية حال لا أظن أن أياً منكم يدرك أهم نقطة في موضوع الساعة.

سأل الطبيب: وهل يحدد السؤال رقم ٦ ماهية تلك النقطة؟ ثم أضاف: بالنسبة لسؤال: هل ارتكبت الجريمة في ذلك الوقت (أي الواحدة والربع) فإن جوابي هو: لا.

قال السيد بوك: أوافقك الرأي. والسؤال التالي: هل ارتكبت الجريمة قبل ذلك؟ وأنا أقول نعم. ماذا ترى يا دكتور؟

هر الطبيب رأسه موافقاً وقال: نعم، ولكن نستطيع أن نجيب بالإيجاب أيضاً على السؤال: هل ارتكبت الجريمة بعد ذلك؟ إنني أنقل مع نظريتك يا سيد بوك، كما يتفق معها السيد بوارو برأيي، رغم أنه لا يؤيد أن يلزم نفسه بشيء. دخل القاتل الأول قبل الواحدة والربع ودخل القاتل الثاني بعد الواحدة والربع. أما بالنسبة لموضوع استخدام اليد اليسرى، أما كان علينا أن نتخذ إجراءات للتأكد من الركاب الذين لا يستخدمون سوى أيديهم اليسرى؟

قال بوارو: لم أغفل هذه النقطة كلياً، وربما لاحظتم أنني

طلبت من كل راكب إما أن يوقع أو أن يكتب عنوانه، وهذا ليس دليلاً قطعياً لأن بعض الناس يقومون ببعض الأعمال مستخدمين اليد اليمنى وبعضها الآخر باليد اليسرى، وبعض الناس يكتبون باليمين مثلاً، ولكنهم يلعبون الغولف باليسرى، ولكن لا نستطيع أن نستبعد تماماً ما استنتجناه من أن كل من سألهم أخذوا القلم وكتبوا باليمين ما عدا الأميرة دراغوميروف التي رفضت أن تكتب.

قال السيد بوك: الأميرة دراغوميروف؟ مستحيل.

قال الدكتور كونستانين مشككاً: أشك في أن تكون لديها القوة لإحداث ذلك الجرح الذي نتج عن طعنة يد يسرى. لقد استخدمت قوة كبيرة لإحداث ذلك الجرح.

- قوة أكبر مما تستطيع امرأة أن تستخدمها؟

- لا، لن أقول ذلك، ولكن قوة أكبر من تلك التي تملكها امرأة متقدمة في السن، كما أن ثيئة الأميرة دراغوميروف بالذات واهنة.

قال بوارو: قد تكون المسألة مسألة رجحان الذهن على القوة الجسدية، فالأميرة دراغوميروف ذات شخصية قوية جداً وإرادة عظيمة، ولكن دعونا نترك هذا الأمر الآن.

قال الطبيب: إلى السؤالين ٩ و ١٠: هل نستطيع أن تكون متأكدين من أن راتشيت قد طعن من قبل أكثر من شخص، وما هو التفسير الآخر الممكن وراء اختلاف الطعنات؟ في رأيي ومن وجهة النظر الطبية لا يوجد أي تفسير آخر لتلك الجراح. لا يمكن أن يقوم شخص بطعن آخر بضغفٍ أولاً ثم بعنف، وباليه اليمنى أولاً ثم

باليسرى. بعد مرور بعض الوقت الذي ربما امتد إلى نصف ساعة بحيث يطعن شخصاً ميتاً... إن ذلك منافٍ للمنطق.

قال بوارو: نعم، إنه منافٍ للمنطق. ولكن هل تنظن أن نظرية وجود قاتلين اثنين هي نظرية منطقية؟

- كما قلت أنت بنفسك: ما هو التفسير الآخر وراء ذلك؟

حدثي بوارو أمامه وقال: هذا ما أسأل نفسي عنه، وهذا ما لم أتوقف عن سؤاله.

ثم اتكأ إلى الخلف في كرسيه وربت على جبهته وقال: من الآن فصاعداً كل شيء هنا! لقد فحصنا جميع الأمور، والحقائق واضحة وأماننا ومرتبطة ومنظمة بشكل منطقي؛ فلقد جلس الركاب هنا واحداً وراء الآخر وأدلوها بإفادتهم، ونحن نعرف كل ما يمكن معرفته... من الخارج.

ثم ابتسم ابتسامة حانية في وجه السيد بوك وقال: لقد كانت نكتة قديمة تنتدبها حول الجلوس والتفكير بالحقيقة، أليس كذلك؟ حسناً، سأضع نظريتي موضع التنفيذ هنا أمامكم، ويجب أن نفعلوا الشيء نفسه. دعونا نغلق أعيننا نحن الثلاثة ونفكر...

هل قام واحد من الركاب أو أكثر بقتل راتشيت؟ وأي منهم؟

* * *

كبرياء وحساسون جداً في مسألة كرامتهم. سيجعلون من هذا الأمر قضية كبرى، إذ ليس من المعتاد أن تسنح لهم فرصة كهذه، وسوف يُنشر الأمر في جميع الصحف...

بعد ذلك شَرِدَت أفكار السيد بوك إلى أمور أخرى بعيدة سبق له التفكير بها مرة مرة.

أما أفكار الدكتور كونستانتين فقد دارت على النحو التالي: إن هذا الرجل الضئيل عجيب. أهو عبقري أم مجنون؟ هل سيحل هذه القضية الغامضة؟ مستحيل، فأنا لا أرى لها حلاً. إنها مُحيرة جداً. قد يكون الجسيم كاذبين، ولكن حتى هذا الاحتمال لا يُشكل عزاء؛ فلو كانوا كاذبين جميعاً لكان ذلك مجزاً كما لو كانوا صادقين جميعاً. إن تلك الجراح غريبة ولا أستطيع أن أفهمها... كان الأمر أسهل فهماً لو أنه قُتل بالرصاص على الطريقة الأميركية، فهي طريقة لا خلاف فيها. إن أميركا بلد غريب، وأنا أود أن أذهب إلى هناك، فهي بلاد البدع والأفكار الجديدة...

ثم مضت أفكاره إلى أمور خاصة جداً.

أما هيركيول بوارو فقد جلس ثابتاً لا يتحرك، بل كان من شأن من يراه أن يظنه نائمًا.

ثم فجأة، وبعد ربع ساعة من السكون الكامل، بدأ حاجباه يتحركان ببطء على جبهته وتنهَّد قليلاً وتمتم في نفسه: ولكن لِمَ لا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فمن شأنه أن يقصر كل شيء.

انفتحت عيناه وكانتا خضراوين كعيني القط، وقال يهدوء:

الفصل الثالث

بعض النقاط ذات المغزى

مضت ربع ساعة كاملة قبل أن يتكلم أحد. بدأ السيد بوك والدكتور كونستانتين بمحاولة اتباع تعليمات بوارو في النظر عميقاً في النقاط المتناقضة والمبهمة للخروج بحل واضح وصحيح.

وكانت أفكار السيد بوك تدور كالتالي: من المؤكد أنني يجب أن أفكر، ولكنني فعلت ذلك مراراً. من الواضح أن بوارو يرى أن الفئدة الإنكليزية متورطة في هذه القضية، ولا أملك إلا أن أشعر بأن ذلك مستبعد جداً؛ فالإنكليز شديدو البرود، ولعل ذلك عائد إلى مبالغتهم في التحسب... ولكن هذه ليست المشكلة، إذ يبدو مستبعداً أن يكون الإيطالي قد فعلها، وهو أمر مؤسف.

لا أحسب الخادم الإنكليزي كذب عندما قال إن زميله الإيطالي لم يغادر المقصورة. ولماذا يكذب؟ أسأله متى ستخلص من كل هذا. لا بد من أن أعملاً تتم إنفاذاً من اللوح، إنهم بطيئون جداً في هذه البلاد... تمضي ساعات قبل أن يفكر أحد بالقيام بعمل ما. إن التعامل مع الشرطة في هذه البلاد بشير الأعصاب، فهم ينتفخون

حسناً، لقد فكرت، فماذا عنكما؟

كان الرجلان مستغرقين في التفكير فحفظا كثيراً، وقال السيد بوك بشيء من الشعور بالذنب: لقد فكرت أنا أيضاً ولكني لم أصل إلى نتيجة. إن فك طلاسم الجرائم من اختصاصك يا عزيزي لا من اختصاصي أنا.

وقال الطبيب: لقد فكرت أنا أيضاً بكل جدية؛ فكرت بتفطريات عديدة ممكنة، ولكن أياً منها لم يرضيني.

أوماً بوارو برأسه بود، وكان إيماءته تقول: تماماً؛ هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب أن نقوله. لقد أعطيناني طرف الخيط الذي توقعته!

اعتدل في جلسته نافخاً صدره وعبث بشاربيه، ثم بدأ يتكلم بأسلوب الخطيب المتمرس الذي يخاطب جمهوراً من الناس: لقد راجعت الحقائق في ذهني يا صديقي، وراجعت كذلك إقادات الركاب، وخرجت بالنتيجة التالية: إنني أرى تفسيراً معيناً ما زال في طور التكوين، ولكن من شأنه أن يفسر الحقائق التي تعرفها. إنه تفسير غريب جداً، ولا أستطيع أن أجزم -بعد- بأنه التفسير الصحيح. ولكي أكتشف ذلك بشكل قاطع علي القيام ببعض التجارب.

أود، في البداية، أن أذكر بعض الحقائق التي تبدو لي ذات مغزى. ولنبدأ أولاً بتعليق قاله لي السيد بوك في هذا المكان نفسه عندما تناولنا أول غداء لنا معاً على القطار. لقد علق على حقيقة أننا محاطون بأناس من مختلف الطبقات والأعمار والحسيات، وهذه

حقيقة نادرة بعض الشيء في مثل هذا الوقت من السنة، فعرنا أثينا-باريس وبوخارست-باريس خاليتان تقريباً مثلاً. ويجب أن نتذكر أيضاً الركاب الذي لم يأت؛ فأنا أرى ذلك مهماً. ثم عدوا بعض النقاط الصغيرة التي بدت لي موحية، وأذكر منها -مثلاً- وضعية حقيبة حمام السيدة هوبارد، واسم أم السيدة أرسترونغ، وأسلوب التحري لدى السيد هاردمان، واقترح السيد ماكويين بأن رائشيت هو الذي أحرق الورقة التي رأينا بقاياها، والاسم الأول للاميرة دراغوميروف، وبقعة الدهن على جواز السفر الهنغاري.

حدي إلى الرجلان، فسألهما بوارو: هل توضح لكما هذه النقاط شيئاً؟

قال السيد بوك بصراحة: لا شيء أبداً.

- والسيد الطبيب؟

- لا أفهم شيئاً مما تقول.

في تلك الأثناء اغتنم السيد بوك فرصة استيعابه لنقطة ملموسة وحيدة مما ذكره صديقه وبدأ يبيح في جوازات السفر، ثم التقط جواز سفر الكونت والكونتيسة أندريه وفتحها.

- هل هذا ما تعنيه؟ هذه البقعة الفذرة؟

- نعم؛ إنها بقعة دهن حديثة نوعاً ما. ألاحظ أين مكانها؟

- في بداية أوصاف زوجة الكونت، وعلى اسمها الأول بالضبط، ولكنني أعترف لك بأنني ما زلت لا أفهم شيئاً.

- سأبحث الموضوع من زاوية أخرى. فلنعد إلى المتديل الذي
وجد في مسرح الجريمة، فكما قلنا سابقاً: يوجد ثلاثة أشخاص
ترتبط أسمائهم بحرف الهاء وهم السيدة هوبارد والأسة ديتنهام
والخادمة هيلداغارد شميدت. حسناً، دعونا نناقش أمر المتديل
من زاوية أخرى. إنه متديل ثمين يا صديقي، إنه من النوع الفاخر،
وهو مصنوع باليد ومطرز في باريس، فإذا استعدنا مسألة الحرف،
فمن الركايات يمكن أن تملك مثل هذا المتديل؟ ليست السيدة
هوبارد، وهي امرأة غنية ولكنها لا تميل إلى الترف المبالغ به في
مسألة الملابس. وليست الأسة ديتنهام، فمثل هذا النوع من النساء
الإنكليزيات يشترين متاديل قطنية عادية وليس متديلاً ثميناً قد يصل
نمته إلى مئتي فرنك، وبالتأكيد ليست الخادمة. ولكن على القطار
امرأتين يمكنهما أن تمتلكا مثل هذا المتديل، فدعونا نفكر إذا كان
بإمكاننا أن نجد علاقة بين أي منهما وبين الحرف «ه». وهاتان
المرأتان هما الأميرة دراغو ميروف...

فأطع السيد بوك باستهزاء: واسمها الأول تناليا.

- تماماً، واسمها الأول (كما قلت قبل قليل) يُوحى بالكثير
بكل تأكيد. والمرأة الأخرى هي الكونتيسة أندرينيه، وفورا تفكر فكرة
ما إلى أذهاننا...

- بل إلى ذهنك أنت!

- حسناً إلى ذهني أنا. إن اسمها الأول على جواز السفر معض
بقعة من الدهن، قد يقول قائل أنها مجرد صدفة، ولكن فكروا في
اسمها الأول: إيلينا، لتفترض أنه هيلينا بدلاً من إيلينا، إذ يمكن

بسهولة تحويل حرف الألف الأولى إلى هاء ثم توضع بقعة الدهن
فنعطلي على التعديل.

صاح السيد بوك: هيلينا! هذه فكرة عظيمة.

- إنها فكرة عظيمة حقاً! وبعد ذلك بحثت عن دليل يؤيد هذه
النظرية، مهمماً كان بسيطاً... وقد وجدته. فقد كان أحد ملصقات
حقائب الكونتيسة ميللاً قليلاً، وقد صدق أنه ألصق على الحرف
الأول من اسمها في أعلى الحقيبة، وقد تم تبلييل ذلك الملصق ونزعه
ووضعه في مكان مختلف.

قال السيد بوك: لقد بدأت تقنعني، ولكن من المؤكد أن
الكونتيسة أندرينيه...

- آه! والآن يا عزيزي، يجب أن تدور وتبحث الموضوع
من زاوية مختلفة تماماً. كيف أريد لهذه الجريمة أن تظهر للجميع؟
لا تنسوا أن اللوج أجهضت كل الخطة الأصلية للقاتل. دعونا نتخيل
للحظة أن اللوج غير موجودة وأن القطار استمر في سيره كما ينبغي،
فماذا كان سيحدث؟ فلفظ إن الجريمة كانت ستكتشف غالباً هذا
الصباح أيضاً عند الحدود الإيطالية، وإن كثيراً من هذه الأدلة نفسها
ستوفر للشرطة الإيطالية. كان من شأن السيد ماكوي أن يقدم رسائل
التهديد نفسها، ومن شأن السيد هاردمان أن يبلغهم بقصته نفسها،
ومن شأن السيدة هوبارد أن تتلف على إخبارهم كيف مر رجل عبر
مقصورتها، وكان سيتم العثور على الزر. اظن أن من شأن شيتين اثنين
فقط أن يكونا مختلفين، وهما: أن الرجل كان ميمبر عبر مقصورة
السيدة هوبارد قبل الواحدة بقليل، وأن زي الخطوط الرسمي كان

سيُعثَر عليه مرمياً في أحد الحمامات.

- أنت تعني...

هوينة، هذا إذا قبلنا قصة هاردمان على أنها الحقيقة. إلا أن رانشيت استلم رسالة واحدة مختلفة تماماً، وهي التي تحتوي على ذكرٍ للعقلة آرمسترونغ، والتي رأينا جزءاً محترقاً منها في مقصورته. فإذا ما كان رانشيت قد فشل في فهم الأمر بسرعة فإن الهدف من الرسالة كان التأكد من أنه فهم السبب وراء تهديد حياته. وكما كنتُ أقول دوماً، لم يكن مقررًا لتلك الرسالة أن تُكشَف وكان الهمم الأول للقاتل هو أن يتخلص منها، ولذلك كان هذا هو الخطأ الثاني في خطته. الأول كان التلجج، والثاني هو تمكننا من قراءة ما كُتِب في تلك القصاصة. إن التخلص من الرسالة بهذه العناية لا يمكن إلا أن يعني شيئاً واحداً فقط، وهو: لا بد وأن على متن القطار شخصاً يرتبط بعلاقة حميمة مع عائلة آرمسترونغ لدرجة أن العثور على تلك الرسالة من شأنه أن يعرض ذلك الشخص للشك فوراً. ولأن تأتي إلى الدليلين الآخرين اللذين عثرنا عليهما، سوف أُنجاوِز عن منظم الغليون، فقد تحدثنا بما فيه الكفاية، ولنبحث في موضوع المنديل، فلو نظرنا إلى الأمر بشكل مبسط أفلتاً إنه يدين شخصاً أول حرف من اسمه هو «هـ» وإنه سقط من ذلك الشخص بلا قصد.

قال الدكتور كونستانتين: تماماً، ثم اكتشفت أنها أسقطت المنديل فاتخذت فوراً الخطوات اللازمة لإخفاء اسمها الأول.

- ما أسرعك! إنك تقفز إلى النتائج بأسرع مما أسمح لنفسني بذلك.

- هل من بديل آخر؟

- بالتأكيد. افترض - مثلاً - أنك ارتكبت جريمة وتود أن تلتصق

- أعني أن الجريمة كان مخططاً لها أن تبدو وكأنها عمل رجل من الخارج؛ حيث سيُفترض أن القاتل قد غادر القطار في محطة برود التي كان مقررًا أن يصلها القطار في الساعة الواحدة إلا دقيقتين. وربما كان من شأن شخص ما أن يمر أمام مسؤول تذاكر غريب في الممر، وكان الذي سيترك في مكان ظاهر لكي يُظهر بوضوح كيف تمت الحيلة. عندها لا يمكن أن يُشكَّ بأَي من الركاب، وهذه - يا صديقي - هي الكيفية التي أريد لهذه الجريمة أن تظهر بها أمام العالم الخارجي. إلا أن ما حدث للقطار بسبب الثلوج غيّر كل شيء. وأظن أن هذا هو السبب الأول وراء مكوث القاتل مع ضحيته لهذه المدة الطويلة؛ فقد كان ينتظر أن يستمر القطار في سيره، إلا أنه أدرك - أخيراً - أن القطار لن يتحرك وأن عليه التفكير بخطة مختلفة، إذ سيُعرف الآن أن القاتل ما زال في القطار.

قال السيد بوك وقد نفذ صبره: نعم، نعم؛ أفهم ذلك. ولكن ما هو موقع المنديل من كل هذا؟

- مساعدو إلى المنديل بطريقٍ دائري نوعاً ما. يجب أن تُدركوا - في البداية - أن رسائل التهديد كانت تمويهاً، وربما تكون قد تُسبخت من قصة بوليسية أميركية. إنها ليست حقيقية، بل كان القصد منها تضليل الشرطة فقط. إن ما يجب أن نسأله أنفسنا هو: هل خدعت تلك الرسائل رانشيت؟ ظاهرياً يبدو أن الجواب هو "لا"، فتعليقاته إلى هاردمان تبدو أنها تُشير إلى عدوٍ «خاص» كان رانشيت يدرك

التهمة بشخص آخر، ويوجد على القطار شخص ذو علاقة حميمة بعائلة أرمسترونغ، وهذا الشخص امرأة، ولنترض أنك تركت منديلاً يعود إلى تلك المرأة، سيتم التحقيق معها وسيُكتشف ارتباطها بعائلة أرمسترونغ... وبنا لننصر! فالدافع هناك، وهناك دليل يثبت التهمة.

اعترض العيب قاتلاً: ولكن في هذه الحالة، بما أن المرأة المشار إليها بريئة فإنها لن تتخذ خطوات لإخفاء هويتها.

- آه، حقاً؟ أهذا ما تظنه؟ في الواقع هذا هو رأي محاكم الشرطة أيضاً. ولكنني أعرف الطبيعة البشرية يا صديقي، وأؤكد لك بأن أكثر الناس براءة من شأنهم فقدان صوابهم وإرتكاب أسخف التصرفات عندما تواجههم فجأة إمكانية محاكمتهم بتهمة القتل. كلا... إن بقعة الدهن وتغيير ملمس الحقيبة لا يثبتان الذنب، بل يثبتان أن الكونثيسة أندرينه حريصة على إخفاء هويتها لسبب ما.

- وما هي - برأيتك - العلاقة التي تربطها بعائلة أرمسترونغ؟ فهي تقول إنها لم تذهب إلى أميركا.

- بالضبط، فهي تتكلم إنكليزية ركيكة ولها مظهر أجنبي تبالغ في إظهاره. ولكن لن يكون صعباً تخمين من تكون، ذكرت - قل قليل - اسم والدة السيدة أرمسترونغ، إنها ليندا آردن، وقد كانت ممثلة مشهورة، وممثلة شكسبيرية أيضاً. فكراً بمسرحية «كما تحبها» وبغاية آردن وروزالين... لقد أخذت اسمها الفني من اسم تلك الغاية. إن اسم ليندا آردن (الذي عُرفت به في جميع أنحاء العالم) لم يكن اسمها الحقيقي، وربما كان اسمها غولدنبرغ. ومن المحتمل جداً أن تكون دماء وسط أوروبا في عروقها؛ فقد ذهبت جنسيات عديدة

إلى أميركا. وأقترح عليكما - يا سيدي - أن تكون الأخت الصغرى للسيدة أرمسترونغ (والتي كانت أكبر من طفلة بقليل وقت حدوث المأساة) هي هيلينا غولدنبرغ... الابنة الصغرى لليندا آردن، وأنها قد تزوجت الكونت أندرينه عندما كان ملحفاً في واشنطن.

- ولكن الأميرة دراغوميروف تقول إنها تزوجت رجلاً إنكليزياً.

- رجلاً إنكليزياً لا تذكر الأميرة اسمه! إنني أسألكما يا صديقي: هل يُعقل هذا؟ لقد أحبت الأميرة دراغوميروف الممثلة ليندا آردن كما تحب السيدات العظيمات الممثلات العظيمات، وقد كانت إشبينة لواحدة من بناتها، فهل يمكن أن تسمى بهذه السرعة اسم زوج الابنة الأخرى؟ هذا مستبعد تماماً. نعم؛ أظننا نستطيع القول إن الأميرة دراغوميروف كانت تكذب. لقد عرفت أن هيلينا على متن هذا القطار؛ فقد رأتها، وأدركت فوراً - حالما سمعت من هو رائشت حقاً - أن هيلينا ستكون موقع شبهة، ولذلك عندما سألتها عن الأخت كذبت فوراً وبغوض قائلة إنها لا تتذكر ولكنها... "تظن أن هيلينا تزوجت رجلاً إنكليزياً"... وهي ملاحظة أبعد ما تكون عن الحقيقة.

دخل أحد مضيئي المطعم عبر الباب الموجود في نهاية الغرفة واقترب منهم وخاطب السيد بولك قائلاً: هل تقدم العشاء يا سيدي؟ إنه جاهز منذ مدة.

نظر السيد بولك نحو بوارو فأوما الأخير برأسه موافقاً وقال: طبعاً، طبعاً. قدموا العشاء.

اختفى النادل عبر الباب الآخر، وشرعان ما شمع صوت جرسه
بقرع وصوته يعلو منادياً بعدة لغات: العشاء جاهز... العشاء جاهز.



الفصل الرابع

بقعة دهن على جواز سفر هنغاري

اشترك بوارو في طاولة مع السيد بوك والطبيب. وكان الناس
المجتمعون في العربة هادئين فلم يتكلموا إلا قليلاً، حتى السيدة
هوبارد الثائرة كانت هادئة على غير العادة، وقد تمتعت فيما كانت
تجلس: "إنني لا أشعر برغبة في تناول شيء..."، ثم تناولت شيئاً
يسيراً من كل ما عُرض عليها بتشجيع من السيدة السويدية التي بدت
وكانها تعتبر السيدة هوبارد إحدى مسؤولياتها.

قبل أن يبدأ بتقديم الوجبة، كان بوارو قد أمسك برئيس
الندلاء من كُمه ونتم له شيئاً، وقد ختمن كوستانتين فحوى ما قاله
بوارو للنادل، إذ لاحظ أن النادل حرص على التأخر في خدمة
الكونت والكونتيسة أندرييه، وأنه تأخر في نهاية الوجبة في تقديم
الفاتورة لهما. لذلك كان الكونت والكونتيسة آخر من بقي في عربة
المطعم.

وعندما نهضا أخيراً وتوجها نحو الباب نهض بوارو بسرعة
وتبعهما قائلاً: معذرة يا سيدتي، لقد أسقطت منديلك.

كان يمد يده بمتديل صغير مربع طُزُر عليه الحرف «هـ»
أخذته ونظرت إليه ثم أعادته إلى بوارو قائلة: أنت مخفي يا سيد!
إنه ليس متديلي.

- ليس متديلك؟ هل أنت متأكدة؟

- متأكدة تماماً يا سيد.

- ولكنه يحمل أول حرف من اسمك يا سيدتي؛ حرف
الهاء.

بدت حركة مفاجئة من الكونت إلا أن بوارو أهمله وقيت
عيناه تحدقان إلى وجه الكونتيسة، فقهرت إليه بثبات وأجابت:
لا أفهمك يا سيد؛ إن أول حرف من اسمي هو الألف.

- لا أظن ذلك. إن اسمك هيلينا وليس إيلينا... هيلينا
غولدنبرغ الابنة الصغرى لثيودا آردن، هيلينا غولدنبرغ أخت السيدة
آرمسترونغ.

ساد صمت ثقيل لبرهة، وتحول ثوب كل من الكونت
والكونتيسة إلى انبياض. وقال بوارو بصوت لطيف: إن الإنكار
لا يفيد. إنها الحقيقة، أليس كذلك؟

انفجر الكونت بحدّة: إنني أصابك يا سيد، بأي حق...؟

ولكن زوجته قاطعته بأن وضعت يدها الصغيرة باتجاه فمه
قائلة: لا يا رودلف. دعني أتكلّم؛ فمن غير المفيد أن أتكر ما قلته
هذا السيد، من الأفضل أن أجلس ونتكلّم في الموضوع.

كان صوتها قد تغير، ورغم احتفاظه ببنوة الجنوب الغنية إلا أنه
أصبح - فجأة - أكثر وضوحاً وحسماً، وبدأ لأول مرة صوتاً أميركياً
صرفاً.

أطاع الكونت إشارة يدها وظل صامتاً، وجلساً جتياً إلى جنب
مقابل بوارو، ثم قالت الكونتيسة: إن كلامك صحيح جداً يا سيد.
أنا هيلينا غولدنبرغ؛ الأخت الصغرى للسيدة آرمسترونغ.

- ولكنك لم تطلعيني على هذه الحقيقة في الصباح يا سيدتي
الكونتيسة.

- نعم.

- في الواقع إن كل ما أخبرتني به أنت وزوجك كان مجرد
كذب.

صاح الكونت غاضباً: يا سيد...

- لا تغضب يا رودلف، فرغم أن السيد بوارو يقول الحقيقة
بصورة قاسية، إلا أنه لا سبيل للإنكار ما يقول.

- أنا سعيد بأنك تعترفين بالحقيقة بهذه السرعة يا سيدتي، هلاً
أخبرني الآن عن السبب؟ وكذلك لماذا غيرت اسمك الأول في
جواز السفر؟

قال الكونت: أنا المسؤول تماماً عن ذلك التغيير.

قالت هيلينا يهدوء: من المؤكد - يا سيد بوارو - أنك تستطيع

أن نُحْتَمَنَ مبروري كذلك... بل مبرورنا، إن هذا الرجل الذي قُتل هو الشخص الذي قُتل ابنة أخي الطفلة، والذي قُتل أخي، والذي حطم قلب زوج أخي. الأشخاص الثلاثة الذين أحببتهم أكثر من أي شيء في هذه الدنيا، والذين كانوا بيّني... وكانوا عالمي!

ارتفع صوتها برقة عاطفية، وبدت -بحق- ابنة أمها التي كانت القوة العاطفية لتبشيلها تبشر عوامل الجواهر العفيرة، ثم مضت في هدوء أكثر: من بين جميع الناس في القطار... ربما أكون الوحيدة التي لدي أكبر دافع لقتله.

- ألم تقبله يا سيدي؟

- أقسم لك يا سيد بوارو (وزوجي يعرف ذلك وسوف يقسم أيضاً) أنني لم أرفع عليه يداً، ورغم كل ما قد فعلتني لأفعل ذلك.

قال الكونت: وأنا أيضاً -يا سادة- أقسم لكم بشرتي أن هيلينا لم تغادر المقصورة ليلة أمس. لقد تناولت متوماً كما قلت تماماً، وهي بريئة تماماً.

تقلعت نظرات بوارو بينهما، فيما كثر الكونت: أقسم لكم بشرتي.

هز بوارو رأسه قليلاً وقال: ورغم ذلك تعمدت تغيير الاسم في جواز السفر!

تكلم الكونت بصدق وعاطفة قائلاً: فكّر في وضعي يا سيد بوارو، أنظن أنني كنت أستطيع أن أحتمل سحب زوجتي إلى مستنقع

قضية بوليسية قدرة. إنها بريئة، وأنا واثق من ذلك. ولكن ما قالته صحيح، فارتباطها بعائلة أرمسترونغ سيجعلها موضع شك فوراً. كانت ستعرض للتحقيق وربما للاعتقال، ولأن صدقة سيئة وضعتنا على نفس القطار الذي سافر به هذا الرجل راثيت فقد شعرت بأنني لا أملك إلا خياراً واحداً. إنني أعترف لك بأنني كذبت عليكم جميعاً... إلا في شيء واحد، وهو أن زوجتي لم تغادر مقصورتها أبداً ليلة أمس.

تكلم بجديّة يصعب معها رفض كلامه. فرة بوارو ببطء قائلاً: لا أقول إنني آخذ بك يا سيدي؛ فأنا أعلم أن عائلتك عريقة ذات كبرياء، وستجد مرارة حقاً لو غرقت زوجتك في قضية جنائية بشعة. أستطيع أن أتعاطف مع هذا الاعتياز، ولكن كيف تفسر وجود منديل زوجتك في مقصورة الرجل الميت؟

قالت الكونتيسة: هذا المنديل ليس لي يا سيد.

- على الرغم من وجود حرف الهاء؟

- على الرغم من وجود الحرف. إن مناديلي شبيهة به، ولكنها ليست بنفس النقشة. أعلم -بالطبع- أنني لا أتوقع أن تصدقني، ولكنني أؤكد لك أن الأمر كذلك؛ إن هذا المنديل ليس لي.

- أيمكن أن يكون أحدهم قد وضعه هناك ليتم تجريبك؟

ايسمت قليلاً وقالت: أنت تريد حملي على الاعتراف بأنه لي، ولكنه -صدقاً- ليس لي يا سيد بوارو.

تكلّمت بثقة عظيمة، فقال: إذا لم يكن هذا السنديل لك إذن، فلم غيرتما الاسم في جواز السفر؟

أجاب الكونت قائلاً: لأننا سمعنا أنه قد عُثر على مندبل عليه الحرف «ه» فناقشنا الموضوع قبل أن تتم مقابلتنا وأوضحنا لهيلينا أنه حالما يُعرف أن اسمها الأول يبدأ بهذا الحرف فإنها ستعرض لتحقيق شديد. كان الأمر سهلاً للغاية، وهو أن نغير اسم هيلينا إلى إيلينا.

علّق بوارو بهجاء: إن لديك -يا سيدي الكونت- مواهب لا تتوفر إلا للمجرم محكّن، عبقريّة طبيعية كبيرة وعزم شديد على إعاقة العدالة.

مالت الفتاة إلى الأمام وقالت: آه، لا، لا، لقد أوضح لك دواعي أفعالي يا سيد بوارو.

ثم غيرت كلامها من الفرنسية إلى الإنكليزية وقالت: لقد كنت خائفة... خائفة جداً. ألا تفهم؟ لقد كانت التجربة الأولى لقطيعة في ذلك الوقت، ولا أحتمل أن تُثار آلامها من جديد ولا أن يتم اتهامي وربما زجّي في السجن. لقد كنت خائفة جداً يا سيد بوارو، هذا كل ما في الأمر. ألا تفهم ذلك أبداً؟

كان صوتها جميلاً وعميقاً وغنياً ومتوسلاً... صوت ابنة الممثلة ليندا آردن.

نظر بوارو إليها بجذبة وقال: إذا كان لي أن أصدقك يا سيديتي (ولا أقول إثني لن أفعل) فيجب عليك أن تساعدني.

- أساعدك؟

- نعم. إن سبب الجريمة يكمن في الماضي... في تلك المأساة التي حطمت بيتك. عودي معي إلى الوراثة -يا سيديتي- فلعلّي أجد العلاقة التي تربط هذه الأشياء جميعاً.

قالت بأسى: وماذا عندي لأخبرك به؟ لقد ماتوا جميعاً... ماتوا جميعاً... ماتوا جميعاً... روبرت، وسونيا، وديزي الغالية. كانت جميلة وسعيدة وذات خصلات شعر مجددة جميلة، وكنا كلنا نهيم حباً بها.

- كانت هناك ضحية أخرى يا سيديتي... ضحية غير مباشرة إذا صح التعبير؟

- سوزان المسكينة؟ نعم، لقد نسبت أمرها. استجوبها الشرطة، إذ كانوا على قناعة بأن لها علاقة بالأمر. ربما كانت لها علاقة، ولكنها علاقة بريئة، أظن أنها تحدثت ببراءة مع شخص ما عن مواعيد خروج ديزي، ولقد عانت المسكينة كثيراً واعتقدت أنها تُعتبر مسؤولة عن الحادث.

ارتعشت ثم أضافت: ثم رمت بنفسها من النافذة، آه! لقد كان الأمر قبيحاً... ثم غطت وجهها بيديها.

- ماذا كانت جنسيتها يا سيديتي؟

- كانت فرنسية.

- وماذا كان اسمها الأخير؟

- هذا غريب، ولكنني لا أستطيع أن أتذكر. كنا جميعاً نناديها سوزان. لقد كانت فتاة مرحجة جداً، وكانت متعلقة بديزي.

- كانت خادمة الطفلة، أليس كذلك؟

- بلى.

- ومن كانت العربية؟

- كانت العربية ممرضة متدربة من أحد المستشفيات، وكان اسمها ستينغليبرغ. وكانت هي الأخرى متعلقة بديزي... وبأختي.

- والآن يا سيدتي، أريدك أن تفكري ملياً قبل أن تجيبي عن هذا السؤال: منذ صعدت على هذا القطار، هل رأيت أحداً تعرفه؟

حدقت إليه وقالت: أنا؟ لا، لا أحد أبداً.

- وماذا عن الأميرة دراغوميروف؟

- آه! هي؟ إنني أعرفها بالطبع. ظننت أنك تعني أي أحد... أي أحد من... من الماضي.

- هذا ما عنيته يا سيدتي. والآن فكري بعناية وتذكري أنه مرت سنوات على تلك المأساة، وربما يكون منظر الأشخاص قد تغير قليلاً.

فكرت هيلينا بعمق ثم قالت: لا، أنا متأكدة... لا يوجد أحد.

- أنت أيضاً كنت فتاة صغيرة في ذلك الوقت. ألم يكن عندك أحد يرفع شؤوك أو يشرف على دراستك؟

- آه! بلى. كانت لدي مربية فظيعة، وكانت في نفس الوقت سكرتيرة لسونيا. كانت إنكليزية، امرأة ضخمة ذات شعر أحمر.

- ماذا كان اسمها؟

- الأتيسة فريبودي.

- هل كانت شابة أم مسنة؟

- بدت مسنة جداً بالنسبة لي، ولكن لا أظن أن عمرها كان يزيد عن الأربعين. وبالطبع كانت سوزان تهتم بملاهي وتخدمني.

- ألم يكن في المنزل موظفون آخرون؟

- الخدم فقط.

- وأنت متأكدة... متأكدة جداً يا سيدتي، من أنك لم تعرفي على أحد في القطار؟

أجابت بثقة: نعم، لا أحد يا سيدتي، لا أحد أبداً.

- يا صديقي، هذا أمر طبيعي... فماذا يمكنه أن يفعل غير ذلك؟ إنه يعيش زوجته ويود أن ينقذها! إنه يكذب بطريقة مثقنة، وبأسلوب السيد النجلى، ولكن ماذا يمكن أن يكون كلامه إن لم يكن كذبا؟

- لدي فكرة شاذة مفادها أنه ربما يقول الحقيقة.

- لا، لا. تذكر المتدبل؛ فهو يؤكد القصة بأكلها.

- آه، أنا لست متأكداً تماماً من المتدبل. ألا تذكر أنني كنت أقول دائماً بوجود احتماليين بالنسبة لصاحبة المتدبل.

- ولكن مع ذلك...

توقف السيد بوك عن الحديث عندما فُتح الباب الموجود في النهاية ودخلت الأميرة دراغوميروف عربة المطعم. تقدمت نحوهم مباشرة ونهض الرجال الثلاثة على أقدامهم، ولكنها أغفلت الرجلين الآخرين وتحدثت إلى يوارو قائلة: اعتقد - يا سيد - أن معك متديلاً يخصني.

نظر يوارو نحو الرجلين بانتصار وقال: أهذا هو يا سيدتي؟

أخرج المتدبل الصغير المربع فقالت: هذا هو، وعلى زاوية أول حرف من اسمي.

قال السيد بوك: ولكن هذا الحرف هو الهاء يا سيدتي الأميرة، واعتذرتني إذا قلت إن اسمك الأول هو ناتاليا.

نظرت إليه ببرود وقالت: هذا صحيح يا سيد، ولكن متادبلي

الفصل الخامس

الاسم الأول للأميرة دراغوميروف

عندما غادر الكونت والكونتيسة نظر يوارو إلى صاحبيه وقال: إننا نتقدم، أليس كذلك؟

قال السيد بوك من قلب صادق: عمل رائع. أنا ما كنت لأشك بالكونت والكونتيسة أندريه، وأعترف بأنني كنت أحسبهما صادقين جداً. لا أظن أن شمة شكاً في أنها قد ارتكبت الجريمة، أليس كذلك؟ إنه أمر مؤسف. ومع ذلك فلن يحكموا عليها بالإعدام، إذ توجد ظروف مخففة تحيط بالجريمة. سنقضي بضع سنوات في السجن، وهذا كل ما في الأمر.

- أنت متأكد من أنها مذنب.

- من المؤكد أنه لا يوجد في ذلك شك يا صديقي العزيز! لقد ظننت أن أسلوبك في الحديث معها كان فقط لتهدئة الموقف حتى نخرج من الثلوج ويأتي الشرطة لتولي الموضوع.

- ألا تصدق تأكيد الكونت وقسمه بشرقه على براءة زوجته؟

تُطرز دائماً بالأحرف الروسية، وحرف الهاء بالإنكليزية يشابه تماماً حرف النون بالروسية.

فوجئ السيد بوك قليلاً. كان في هذه السيدة العجوز الصلبة شيء يجعله يشعر بالتوتر وعدم الارتياح. قال لها: ولكنك لم تخبرينا أن هذا المندبل لك أثناء الاستجواب هذا الصباح.

قالت الأميرة بجفاء: أنت لم تسألني.

قال بوارو: أرجوك، تفضلي بالجلوس يا سيدتي.

تنهدت وقالت: "أظن أن من الأفضل أن أفعل ذلك". ثم جلست وقالت: لا داعي لأن تجعلوا من هذا الأمر قصة طويلة أيها السادة إن سؤالكم التالي سوف يكون: كيف حدث أن يكون مندبلي مرمياً عند جثة رجل مقتول؟ وجوابي على ذلك هو أنني لا أعرف أبداً.

- أنت لا تعرفين حقاً؟

- أبداً.

- اعذريني يا سيدتي، ولكن إلى أي حد تستطيع الاعتماد على صدق إجاباتك؟

قال بوارو هذه الكلمات بلطف شديد، فأجابت الأميرة بازدياء: أظنك تعني حقيقة أنني لم أخبركم بأن هبلينا أندرينيه هي أخت السيدة أرمسترونغ؟

- في الواقع لقد تعمدت أن تكذبي علينا حول هذه النقطة.

- بالتأكيد، وسأفعل ذلك ثانية؛ فأما كانت صديقتي، وأنا أؤمن - يا سادة - بالولاء، الولاء لأصدقاء المرء وعائلته وطبقته.

- ألا تؤمنين بعمل ما في وسعك لتحقيق العدالة؟

- إنني - في هذه الحالة تحديداً - أؤمن بأن العدالة... العدالة المحضة... قد تحققت.

مال بوارو إلى الأمام وقال: لا بد وأنتك ترين الصعوبة التي أقم بها يا سيدتي. ففي موضوع المندبل هذا، هل أستطيع تصديقك؟ أم أنك تحمين ابنة صديقتك؟

- آه، إنني أفهم ما تعنيه.

افتتر وجهها عن ابتسامة بالسة ثم قالت: يمكن إثبات كلامي هذا بسهولة يا سادة. سوف أعطيكم عنوان الأشخاص الذين يصنعون لي مندابلي في باريس، وما عليكم إلا أن تعرضوا عليهم هذا المندبل وسوف يخبروكم بأنهم صنعوه لي حسب طلبي قبل سنة. إن المندبل لي يا سادة.

ثم نهضت قائلة: هل لديكم أي سؤال آخر تودون طرحه علي؟

- هل عرفت خادماتك المندبل عندما عرضناه عليها هذا الصباح يا سيدتي؟

- لا بد وأنها قد عرفت. هل رآته ولم تقل ذلك؟ حسناً، هذا يُظهر أنها تتمتع هي الأخرى بالولاء.

وبالتحفة بسيطة من رأسها خرجت من عربة المطعم.

نستم بوارو بهدوء: هذا هو إذن. لقد لاحظتُ تردداً بسيطاً عندما سألتُ الخادمة إن كانت تعلم لمن هذا المتدبل. كانت غير واثقة فيما إذا كان يجب عليها أن تعترف بأنه لسيدها أو لا، ولكن كيف يتفق ذلك مع فكريتي الأساسية الغربية تلك؟ نعم، قد يتفق بالفعل.

قال السيد بوك بإشارة خاصة به: آه، إنها سيدة عجوز فظيعة!

سأل بوارو الطيب: هل يمكن أن تكون قد قتلت واثبتت؟

هو الطيب رأسه نائفاً وقال: بوجود تلك القطعات التي وُجِدت بقوة واخترتت المضلات؟ أبداً. لا يمكن للشخص بمثل هذه البنية الضعيفة أن يكون قد قام بذلك.

- وماذا عن القطعات الواحدة؟

- أما القطعات الواحدة، فمعهم.

قال بوارو: إنني أفكر فيما حدث هذا الصباح عندما قلت لها إن قوتها في إبادتها لا في ذراعيها، قلت ذلك على سبيل إنقاذ شرك لها، إذ أردت أن أعلم إن كانت ستنظر إلى ذراعها اليمنى أو اليسرى، ولكنها لم تفعل أيّاً من ذلك بل نظرت إليهما معاً. إلا أنها أجابت إجابة غريبة، فقد قالت: "لا، ليست لدي قوة في يدي". ولا أدري أحزن أم أفرح لذلك. وهذا رد غريب، وهو يؤكد لي

اعتقادي حول الجريمة.

- ولكن الرد لم يحسم موضوع استعمال اليد اليسرى.

- نعم، بالمناسبة، هل لاحظتما أن الكونت أندريه يحتفظ بمتدبله في جيب صدره الأيمن؟

هو السيد بوك رأسه نائفاً، ثم عاد ذهنه إلى الحقائق المثيرة التي كشفت في نصف الساعة الأخيرة فتمتم: كذب... لم كذب، ثم المزيد من الكذب! يدعشتي عدد الأكاذيب التي قُلبت لنا هذا الصباح.

قال بوارو بسرور: وما يزال أمانتنا المزيد مما ستكشفه.

- أنظن ذلك؟

- سيخيب أمني كثيراً إن لم يكن الأمر كذلك.

قال السيد بوك: "إن هذا الخداع فظيع". ثم أضاف مؤبناً: ولكن يبدو أن هذا يسرّك.

قال بوارو: إن حسنة ذلك هي التالية: إذا كذب عليك شخص ما وواجهته بالحقيقة فإنه يعترف بكذبه عادة، وهذا ناتج - في معظم الأحيان - عن المفاجأة الكبيرة التي يتعرض إليها. كل ما نحتاج إليه هو أن يكون حدسك صادفاً حتى تحدث هذا التأثير، وهذا هو الأسلوب الوحيد الذي يجب اتباعه في هذه القضية، حيث أختار كل راكب بدوره وأفكر في إقاده وأقول في نفسي: "إذا كان فلان

يكذب ففي أية نقطة يكذب؟ وما هو السبب وراء هذا الكذب؟"،
ثم أجيب: "إذا كان فلان يكذب - وأقول: إذا - فإن الكذب سيكون
لسبب محدد وفي نقطة محددة". لقد فعلنا ذلك بنجاح مع الكونيتية
أندريته، وسوف نتابع الآن ونحاول نفس الأسلوب مع عدد من
الركاب الآخرين.

- وماذا يحدث لو افترضنا أن حدسك كان مخطئاً
يا صديقي؟

- تكون - وقتها - قد استبعدنا شخصاً واحداً على الأقل من
دائرة الشك.

- آه، أنت تتبع أسلوب إلغاء من ثبت براءته؟

- تماماً.

- ومن سترى تالياً؟

- سترى ذلك «الرفيق الطيب» كما يقولون في الهند... العقيد
آربوثنوت.

الفصل السادس

مقابلة ثانية مع العقيد آربوثنوت

بدا واضحاً أن العقيد آربوثنوت كان مترعجاً لأنه طُلب إلى
عربة المطعم لمقابلة ثانية. كان تعبير وجهه ساخطاً جداً عندما جلس
وقال: حسناً؟

قال بوارو: اعتذر كثيراً على إزعاجك مرة ثانية، ولكن أظن أنه
لا تزال في جعبتك بعض المعلومات التي يمكن أن نُطلعنا عليها.

- حقاً؟ لا أكاد أرى ذلك.

- في البداية، أترى منطلق الغليون هذا؟

- نعم.

- أهو واحد من منظفاتك؟

- لا أدري؛ فأنا لا أضع عليها إشارة خاصة.

- أتدرك - أيها العقيد آربوثنوت - أنك الرجل الوحيد من بين
ركاب هذه العربة الذي يدخن الغليون؟

- في هذه الحالة قد يكون واحداً من منظفتي.

- أتعلم أين عثرت عليه؟

- لبست ثدي أية فكرة.

- لقد وجد قرب جثة الرجل الميت.

رفع العقيد أربوثنوت حاجبيه، فتابع بوارو: هل تستطيع أن تخبرنا كيف يمكن أن يصل إلى هناك يا عقيد أربوثنوت؟

- إذا كنت تعني أنني أسقطته هناك بنفسه، فالجواب هو: لا، لم أفعل.

- هل ذهبت إلى مفصورة السيد راتشيت في أي وقت؟

- أنا لم أتكلم مع الرجل مجرد كلام أبداً.

- لم تتكلم معه أبداً ولم تقتله؟

ارتفع حاجبا العقيد مرة أخرى بسخرية وقال: لو أنني فعلت ذلك لكان من المستبعد جداً أن أخبرك به. الحقيقة أنني لم أقتل الرجل.

تمتم بوارو: آه، حسناً، هذا لا يهم!

- معذرة، ماذا قلت؟

- قلت إن هذا لا يهم.

- آه!

بدا أربوثنوت وكأنه قد فوجئ ونظر إلى بوارو بعدم ارتياح، ولكن الرجل الضليل تابع قائلاً: لأن منظف الغليون لا يهم. أستطيع أنا بنفسه أن أفكر في أحد عشر سبباً جيداً لوجوده هناك.

حدق أربوثنوت إليه فيما تابع بوارو يقول: إن ما أردت أن أراك حقاً بشأنه هو قضية مختلفة تماماً. ربما تكون الأنسة ديينهام قد أخبرتك بأنني سمعت بعض الكلمات التي تحدثت بها في المحطة في قونية.

لم يجب أربوثنوت.

- قالت: "ليس الآن، عندما ينتهي كل شيء"، عندما يكون كل شيء وراءنا. هل تعلم إلى أي شيء كانت تشير هذه الكلمات؟

- أنا أسف يا سيد بوارو، ولكن يجب علي أن أرفض الإجابة عن هذا السؤال.

- لماذا؟

قال العقيد بصلاة: أفرح عليك أن تسأل الأنسة ديينهام نفسها عن معنى هذه الكلمات.

- لقد سألتها.

- ورفضت أن تخبرك؟

- نعم.

- أظن - إذن - أن من الواضح تماماً أنني لن أتكلم.

- كيلا تكشف سيرة؟

- تستطيع أن تصوغ العبارة كذلك إذا أردت.

- أخبرتني الآنسة دينهام أن هذه الكلمات تتعلق بمسألة تخصها.

- لم لا بتقبل كلامها إذن؟

- لأن الآنسة دينهام - يا عقيد آربوثنوت - هي ما يمكن للمرء تسميته شخصية تتركز عليها الشبهات.

قال العقيد بحماسة: هذا هراء!

- إنه ليس كذلك.

- ليس لديك شيء ضدها أبداً.

- وماذا عن حقيقة أن الآنسة دينهام كانت مربية في منزل آرمسترونغ في الوقت الذي احتُطفت فيه ديزي آرمسترونغ الصغيرة؟

سادت فترة من الصمت الثقيل، ثم هز بوارو رأسه ببطء وقال: كما ترى، إننا نعرف أكثر مما نظن. إذا كانت الآنسة دينهام بريئة فلماذا أخفت الحقيقة؟ لماذا أخبرتني أنها لم تذهب أبداً إلى أميركا؟

تنتح العقيـد وقال: ألا يمكن أن تكون مُخطئاً؟

- أنا لست مُخطئاً. لماذا كذبت علي الآنسة دينهام؟

هز العقيد آربوثنوت كتفيه وقال: من الأفضل أن نسألها هي، ولكنني ما زلت أظنك مُخطئاً.

رفع بوارو صوته ونادى، فأتى تادل المطعم من الطرف البعيد للعربة، فقال له: اذهب واسأل السيدة الإنكليزية في المقصورة رقم ١١ أن تتلطف وتأتي إلي هنا.

- حسناً يا سيدي.

غادر الرجل، وجلس الرجال الأربعة في صمت. بدأ وجه العقيد آربوثنوت وكأنه قد قُذ من خشب؛ كان جامداً لا يتم عن أي شعور.

وما هي إلا لحظات حتى دخلت ماري دينهام عربة المطعم.

* * *

- لا يا آنسة، هذا خطأ.

- لقد أسأت فهمي؛ أعني أنه صحيح أنني كذبت عليك.

- آه! أنعترفين بذلك؟

ارتسمت ابتسامة على شفتيها وقالت: بالتأكيد... بما أنك اكتشفت ذلك.

- أنت صريحة على الأقل يا آنسة.

- لا يبدو أمامي أي خيار آخر.

- هذا صحيح بالطبع. والأل يا آنسة. هل لي أن أسألك عن سبب ذلك التهرب؟

- ظننت أن السبب واضح ووضوح الشمس يا سيد بوارو.

- إنه ليس واضحاً بالنسبة لي آنسة.

قالت بصوت هادئ ثابت فيه أثر من الصلاة: يجب أن أكسب معيشتي.

- وماذا يعني ذلك؟

رفعت عينيها ونظرت إلى وجهه مباشرة قائلة: ماذا تعرف يا سيد بوارو عن الصراع للحصول على عمل شريف والاحتفاظ به؟ أنظن أن وفاة اعتقلت لعلاقتها بقضية قتل ونشر اسمها (بل ربما نشرت صورها...) في الصحف الإنكليزية، أنظن أن أية امرأة إنكليزية عادية

الفصل السابع هوية ماري دينهام

لم تكن تلبس قبعة، وقد ارتد رأسها إلى الوراء وكأنه علامة على التحدي. كانت تسريحة شعرها المشدود إلى الخلف تجعلها تبدو وكأنها مقدمة سقينة تمخر بشموخ عياب بحر مانج... كانت جميلة في تلك اللحظة.

اتجهت عيناها نحو آريوشوت للحظات... مجرد لحظات، ثم قالت لبوارو: هل أردت أن ترائي؟

- أردت أن أسألك يا آنسة: لم كذبت علينا هذا الصباح؟

- كذبت عليكم؟ لا أعلم ماذا تعني.

- لقد أخفيت حقيقة أنك كنت تعيشين -عملياً- في منزل أرمسترونغ عندما حدثت المأساة. لقد أخبرتني أنك لم تذهبي أبداً إلى أميركا.

رأها تنقبض للحظة، ثم استعادت سيطرتها على نفسها وقالت: نعم. هذا صحيح.

من الطيفه المرميى مشحوب استخدام تلك القناه مريبه لاولادها؟

- لا ارى مانعا من ذلك ان لم ينهها لوم في هذا الامر.

- آه، اليوم؟ ليست المسألة مسألة لوم، بل القضية وتسلط

الأقواء! لقد نجحت في الحياة حتى الآن يا سيد بوارو، فقد حصلت على وظائف ممتعة بأجر جيد، ولم أكن مستعدة لأن أعرض مركزى هذا الخطي، في وقت لا توجد فيه قضية تستفيد من ذلك.

- سأزعم - أنتى - أنني كنت أفضل من يحكم على ذلك.

وليس أنت.

رفعت كتفيها بلا مبالاة، فقال بوارو: كان بإمكانك - مثلاً - أن

تساعدني في مسألة التعرف على الأشخاص.

- ماذا تعنى؟

- أيمكن - يا آنسة - أنك لم تعرفي في الكونيتسه أندريه

على الأخت الصغرى لمسيده أرمسترونغ، والتي كنت لعنيتها في نيويورك؟

- الكونيتسه أندريه؟

هزت رأسها ثم قالت: قد يبدو هذا غريباً جداً لك، إلا أنني

لم أعرفها. إذاً أنا لم تكن واضحة عندما كنت أعرفها، فقد مضى على ذلك أكثر من ثلاث سنوات. صحيح أن الكونيتسه ذكرتنى شخص ما - اسم غيرتي - ولكنها بدت غريبة جداً، ولم أرى بيتها

وبين طالبة المدرسة الأمريكية الصغيرة تلك. ولكن الحقيقة أنني لم أنظر إليها إلا بلحظة بسيطة عندما دخلت عربة المطعم. لقد لاحظت ملابسها أكثر من وجهها!

استمتت إشمامة باهتة ثم أضافت: هذا دأب النساء! كما كانت لدي مشاغلي الخاصة.

- أكن تخبريني بسوك يا آنسة؟

كان صوت بوارو لطيفاً جداً ومقتعاً، ولكنها ردت بصوت خافت: لا أستطيع... لا أستطيع!

وقجاة، وبلا مقدمات، انهارت وأخفت وجهها بين ذراعيها الممدودين وأجهشت بالبكاء المر وكان قلبها سينفطر. فنهض العقيد بسرعة إلى جانبها وهو يقول: إني... أنظري إلي...

ثم توقفت والتفت نحو بوارو يرمقه بنظرات غاضبة وقال: سأحطم كل عظمة في جسدك اللعين أيها الصغير القذر...

أعترض السيد بولك قائلاً: سيدي...

ولكن أديولتوث الضقت إلى القناه قائلاً: ماري... بالله عليك...

نهضت بسرعة وقالت: لا شيء، إني بخير، أنت لا تريدني أكثر من ذلك يا سيد بوارو، أليس كذلك؟ إذا كنت تريدني في شيء آخر فيجب عليك أن تأتي وتعتبر عليّ، آه، يا بني من حقا... جعلت نفسي أبدو حقا!

أسرعت خارج الغرفة. وفل أن يتبعها آريونوت التقت مرة أخرى نحو بوارو قائلاً: "لا علاقة للألثة ديينهام بهذا الأمر. أبداً. أتسمعني؟ وإذا ما أفلتتني أو تدخلت في شؤونها فسوف يكون حسابك معي أنا، ثم مشى خارجاً.

قال بوارو: أحب أن أرى إنكليزياً غاضباً؛ فهم يبعثون السرور في النفس، وكلما زاد انفعالهم كانوا أقل تحكماً باللغة.

إلا أن السيد بولك لم يكن مهتماً بالفعالات الإنكليزية، بل استحوذ عليه الإعجاب بصاحبه فصاح قائلاً: يا صديقي، إنك لعظيم! تخمين مُعجز آخر، أمر قطع!

وقال الدكتور كولستاتين بإعجاب: إن طريقة تفكيرك بهذه الأشياء رائعة حقاً.

- آه، نيس لي الفضل هذه المرة؛ فهذا لم يكن تخميناً، لقد كادت الكونتيسة أندريه تخبرني بذلك.

- ماذا؟ كلا بالتأكيد؟

- أتذكرون أنني سألتها عن مريستها أو وصيقتها؟ كنت قد قررت -في قرارة نفسي- أنه إذا كانت ماري ديينهام متورطة في هذا الموضوع فلا بد وأنها كانت ضمن موظفي منزل أرمسترونغ.

- نعم، ولكن الكونتيسة أندريه وصفت امرأة أخرى مختلفة تماماً.

- بالضبط. قالت إنها كانت طويلة في وسط العمر ذات شعر

أحمر... والحقيقة أنها أوصاف تناقض تماماً أوصاف الألثة ديينهام. ثم كان عليها أن تخرع اسماً بسرعة، وفي هذه النقطة فصحتها الرطب اللاواعي للأفكار. لقد قالت إن اسمها هو الألثة فريودي. أتذكر أن؟

- نعم.

- حسناً، ثعلبكم لا تعرفان ذلك، ولكن يوجد في لندن متجر كان يُسمى حتى عهد قريب "ديينهام وفريودي". وفيما كان اسم ديينهام يحول في خاطرها فإن الكونتيسة حاولت التفكير باسم آخر بسرعة، وأول ما خطر ببالها هو اسم فريودي، وبالتطبع فهمت الأمر على الفور.

- هذه كذبة أخرى. ولماذا فعلت الكونتيسة ذلك؟

- ربما بسبب البزيد من الولاء، وهذا يجعل الأمر أكثر صعوبة.

قال بولك بحدة: يا إلهي! أليذهب علينا كل من في الفطار؟

قال بوارو: هذا ما أوشكنا أن نكتشفه قريباً.

في هذه الأثناء طلب يوارو من اثنائه أن يحضر أطلونيوس
فوسكانيني. وعندما دخل الإيطالي الضخم كانت في عيشة نظرة
اجتراس. وكان ينظر من جانب إلى آخر كحيوان وقع في فخ.
قال: ماذا تريدون؟ ليس لدي ما أقوله، لا شيء. هل تسمعونني؟
يا إلهي!

ثم ضرب يده على الطاولة، فقال يوارو بحزم: بل لديك شيء
آخر تقوله إنه الحقيقة!

- الحقيقة؟

نظر نحو يوارو نظرة تاملية وقد ذهب كل الاعتداد واللفظ
من سلوكه. فقال يوارو: نعم، يعني أعرف أصلاً ما سوف تقول،
ولكن سيكون من صالحك لو جاء ذلك منك عن الخاص.

- إنك تتكلم مثل الشرطة الأميركبي. إنهم عادة ما يقولون:
"نصبر بما لديك... أفضل بما لديك".

- آه، إذن فقد كانت لك تجربة مع شرطة نيويورك؟

لا، لا، أبداً. لم يستطيعوا أن يشعروا شيئاً ضدي... رغم أنهم
حاولوا كثيراً.

قال يوارو بدهشة: كان ذلك في قضية أرمسترونغ، أليس
كذلك؟ كنت السابق؟

قابلت عباءة عيني الإيطالي. فاختلعت ملامح النجح من وجه
الرجل الضخم وقال: لماذا تسألني إن كنت تعرف؟

الفصل الثامن

اكتشافات أخرى مثيرة

قال السيد بونك: لن يدهشي شيء بعد الآن، أي شيء! وحتى
لو ثبت أن كل من على القطار كانوا من مستخدمي مترز أرمسترونغ
فإنني لن أبدي دهشة!

قال يوارو: هذه ملاحظة عميقة جداً. أتحب أن ترى ماذا لدى
تعبك المتفعل. الرجل الإيطالي. ما يقوله عن نفسه؟

- أثرت تجربة تخمين آخر من تخمينات الشبهة؟

- تماماً.

قال كوستنكين: إنها قضية في غاية الغرابة بالفعل.

- لا، إنها ضيعة جداً.

أضح السيد بونك يده في أنفه في نفس مضحك وقال: إذا كان
هذا ما تسميه طبيعياً بصري... ثم حاولت الكلمات المناسبة

- لماذا كذبت عليّ هذا الصباح؟

- بسبب أعمالي، بالإضافة إلى أنني لا أائق بأجهزة الشرطة اليوغسلافية. إنهم يكرهون الإيطاليين وما كانوا لينصفوني.

- ربما كانت العدالة تحديداً هي ما سيطبقونه عليك!

- لا، لا. لم تكن لي أية علاقة بقضية الليلة الماضية؛ فأننا لم أغادر مقصورتي أبداً، وسوف يخبركم بذلك الرجل الإنكليزي ذو الوجه الطويل. لست أنا من قتل هذا الخنزير... راتشيت. لا تستطيع أن تثبت شيئاً ضدي.

- كان يوارو يكتب شيئاً، فرفع رأسه وقال يهدوه: حسناً، تستطيع أن تذهب.

- تباشاً فوسكارينلي بشيء من التماثل وقال: أندرك أنني لم أكن انفاعل... وأنه لم يكن ممكناً أن تكون لي علاقة لي بالأمر؟

- قلت إنك تستطيع أن تذهب.

- إنها مؤامرة، إنكم متلصقون التهمة بي! كل ذلك بسبب رجل خنزير كان يجب أن يذهب إلى الكرسي الكهربائي! من العار أنه لم يذهب، فلو كنت أنا... لو تم اعتقالنا أنا...

- ولكن لم تكن أنت الفاعل، ولم تكن لك علاقة باختطاف الطفلة، أليس كذلك؟

- ما هذا الذي تفوهه؟ لقد كانت تلك الطفلة محبوبة البيت

كله، وكانت لتأديني ثوبو. كانت تجلس في السيارة وتنتظرهم بالأمسك بمعجلة القيادة، وكان كل من في البيت يهيم حياً بها! حتى الشرطة أدركوا ذلك، آه، يا لها من طفلة جميلة!

- كان صوته قد رنّ وأغرورت عيناه بالدموع، ثم التفت فجأة ومضى خارج عربة المطعم.

- نادي يوارو: يبيترو.

- جاء النادل راكضاً، فقال له: اطلب لنا السيدة السويدية من المقصورة رقم ١٠.

- حسناً يا سيدي.

- صاح السيد بوك: كاذب آخر؟ آه... كلا... إن هذا مستحيل! إنني أقول لكم إن هذا غير ممكن!

- يجب أن تعرف يا عزيزي، حتى لو تبين -في النهاية- أن كل من على القطار كان لهم دافع لقتل راتشيت فعلياً أن تعرف ذلك. وعندما تعرف ذلك نستطيع أن نحدد أين يقع الذنب.

- قال السيد بوك بأسى: إن رأسي يدور.

- أدخل النادل غريتا أولسون بوة، فقد كانت تبكي بحرقه. ثم انهارت على مقعد مواجه لبوارو وبكت بكاء متواصلًا، فربت يوارو على كتفها وقال: لا تزعجي نفسك يا سيدي، لا تزعجي نفسك. فقط بعض الكلمات الصادقة، هذا كل ما نريده. لقد كنت ممرضة الطفلة ديزي أرمسترونغ، أليس كذلك؟

قالت المرأة البائسة وهي تبكي: هذا صحيح... هذا صحيح...
 آه، لقد كانت ملاكاً، ملاكاً صغيراً رائعاً يشبه الناس... فهي لم تعرف
 سوى اللطف والحب، وقد حفظتها ذلك الرجل الشرير وعامليها
 بشوة... وأنها المسكينة... وذلك الحب الذي لم يُقدّر له أن
 يعيش أبداً، أنت لا تستطيع أن تفهم... لا تستطيع أن تعرف، لو أنك
 كنت هناك كما كنت أنا... لو أنك رأيت المأساة كلها! كان يجب
 علي أن أخبرك بالحقيقة هذا الصباح، ولكنني كنت خائفة... خائفة،
 لقد مُررت جداً لأن ذلك الرجل الشرير قد مات ولأنه لن يتمكن
 من قتل وتعذيب الأطفال الصغار بعد الآن... آه! إنني لا أستطيع أن
 أتكلم... ثم بعد ذلك المزيد من الكلام.

بكت بحرقة أكثر من السابق، واستمر بوارو في ملاحظتها قائلاً:
 لا بأس، لا بأس، إنني أفهم، إنني أفهم كل شيء... كل شيء، لن
 أسألك المزيد من الأسئلة. يكفي أنك اعترفت بما أعرف أنه الحقيقة.
 أقول لك إنني أفهم كل شيء.

ثم تعد غريبة أولسون قادرة على إيضاح كلامها بسبب التحجب،
 فنهضت وتحسست ضيقها نحو الباب، وعندما وصلته اصطدمت
 برجل.

كان ذلك الرجل هو الخادم ماسرمان، وقد جاء إلى بوارو
 مباشرة وتكلم بصوته الهادئ المعتاد الخالي من العواطف: أرجو ألا
 أكون متطفلاً يا سيدي، لقد ظننت أن من الأفضل أن آتي فوراً وأخبرك
 بالحقيقة. لقد كنت مراسلاً للعقيد أرمسترونغ في الجيش أثناء الحرب
 يا سيدي، ثم بعد ذلك أصبحت خادماً في نيويورك. لقد أخفيت

عنتك تلك الحقيقة هذا الصباح وكان ذلك خطأ كبيراً يا سيدي، ثم
 رأيت أنه من الأفضل أن أربح صبري وأخبرك بالحقيقة، ولكنني
 أمل - يا سيدي - بأنك لا تشك بطوبى بأية طريقة، إن طوبى - يا
 سيدي - لا يستطيع أن يؤدي ذبابة، وأستطيع أن أقسم جازماً بأنه لم
 يغادر المفصورة أبداً ليلة أمس. فكما ترى - يا سيدي - لا يمكن أن
 يكون هو الفاعل. قد يكون طوبى اجتنباً يا سيدي، إلا أنه مخلوق
 لطيف جداً، وليس مثل أولئك الإيطاليين البغيضين القتلة الذين نقرأ
 عنهم.

ثم توقف عن الكلام، فظفر بوارو نحوه بحدة وقال: أهذا كل
 ما لديك؟

- نعم: هذا كل ما لدي يا سيدي.

ثم سكت، وحين لم يتكلم بوارو انحنى انحناء بسيطة معتبراً،
 وبعد تردد بسيط غادر غرفة المطعم بنفس الأسلوب الهادئ الذي
 دخل به.

قال الدكتور كوستانتين: إن هذا أبعد احتمالاً وأندر حدوثاً
 مما تنطوي عليه أية قصة بوليسية قرأتها في حياتي!

وقال السيد بوك: أوافقك الرأي؛ فمن بين اثني عشر راكباً في
 تلك العربة ثبت أن تسعة كانوا على صلة بقضية أرمسترونغ، وإنني
 أسأل: ماذا ستكتشف الآن؟ أم أن علي أن أسأل: من ستكتشف
 الآن؟

قال بوارو: أكاد أستطيع الإجابة على سؤالك. ها قد أتى

الشرطي السري الأميركي : السيد هاردمان.

- هل أنتي هو الآخر ليعترف؟

كان الأميركي قد وصل إلى طاولتهم قبل أن يجيب بوارو، فنظر إليهم بعينين واعيتين، ثم جلس وقال: ما الذي يحدث على هذا القطار بالضبط؟ يبدو لي وكأنه دار للمجائين.

لمعت عينا بوارو وهو ينظر إليه وقال: أنت متأكد تماماً - يا سيد هاردمان - من أنك لم تكن الستاني في منزل أرمسترونغ.

أجاب السيد هاردمان: لم تكن لديهم حقيقة.

- أو كبير الخدم؟

- لا يوجد لدي السمات المناسب لعمل كهذا، لا، لم تكن لي أية صلة بمنزل أرمسترونغ... ولكنني بدأت أؤمن بأنني الوحيد الذي لم يكن مرتبطاً بهم! أنتستطيع تصديق ذلك؟ هذا ما أقوله: هل يمكنك تصديق ذلك؟

قال بوارو يهدوء: إنه أمر مذهل قليلاً بلا ريب.

قال السيد بوك: بل هو قطع.

سأل بوارو: هل لديك أية أفكار حول الجريمة يا سيد هاردمان؟

- لا يا سيدي، إنها تحيرني ولا أستطيع أن أجدها حلاً فلا يمكن أن يكونوا قد اشتركوا بها جميعاً، ومعركة الجاني من بينهم.

أمر فوق طاقتي. ما أود أن أعرفه هو كيف استطعت أن تكتشف كل هذا؟

- مجرد تخمين.

- إذن صدقتي أنك لم تكن لا يُشَقَّ له غبار. نعم، سأخبر العالم بأنك مخمن محنتك.

انكأ السيد هاردمان إلى الخلف ونظر نحو بوارو بإعجاب قائلاً: اعذرني، ولكن لا يمكن لمن يراك أن يصدق ذلك. إنني أرفع قبعتي احتراماً لك... إنني جاد فعلاً.

- أنت لطيف جداً يا سيد هاردمان.

- أبدأ، ولكن علي أن أعترف بقدراتك.

قال بوارو: ومع ذلك فالقضية لم تُحل بعد. هل تستطيع أن تحدد هوية قاتل السيد راتشيت بكل ثقة؟

قال السيد هاردمان: استعديني من ذلك؛ فأنا لا أستطيع أن أقول شيئاً أبداً، إلا أنني متأكد إعجاباً بك، وماذا عن الاثنين الآخرين اللذين لم تحقن هويتهما بعد؟ السيدة الأميركية الغربية والخدمة؟ أحسب أن بوسعنا اعتبارهما البريتنين الوحيدتين على القطار؟

قال بوارو وهو يبتسم: إلا إذا استطعنا أن نجد لهما مكاناً في مجموعتنا على أنهما - مثلاً - مديرة المنزل والطباخة في منزل أرمسترونغ.

قال السيد هاردمان وقد أثر النكوص: ما عاد في العالم ما يدعشني الآن. إنه بيت مجاني، إن هذا الأمر كله بيت مجاني!

قال السيد بوك: يا عزيزي! إن من شأن ذلك أن يكون مبالغ غير معقولة في المصادفات، فلا يمكن أن يكونوا جميعاً متورطين.

نظر يوارو نحوه وقال: أنت لا تفهمي... لا تفهم أبداً، أخبرني، هل تعلم من قتل رانشيت؟

قال السيد بوك: هل تعلم أنت؟

أوما يوارو برأسه بالإيجاب وقال: نعم؛ لقد عرفت ذلك منذ بعض الوقت. إن الأمر واضح تماماً لدرجة أنني أتعجب كيف لا تعرفان أنهما أيضاً.

ثم نظر نحو هاردمان وسأله: وأنت؟

هز المحقق رأسه نائفاً، وحدث إلى يوارو بفضول قائلاً: لا أعلم، لا أعلم أبداً، أي منهم هو؟

صمت يوارو لدقيقة ثم قال: لو تطلعت -يا سيد هاردمان- وجمعت الكل هنا، عندي حلان محتملان لهذه القضية وأريد أن أضعهما بين أيديكم جميعاً.

الفصل التاسع يوارو يقدم حلين

بدأ الركاب يتجمعون في غرفة المطعم واتخذوا مقاعدهم حول الطاولات. كانت تعابيرهم متشابهة وهي التوقع المشوب بالخشية، وكانت السيدة السويدية ما تزال تتحب والسيدة هويارد تُهدئ من روعها: تمالكي نفسك الآن يا عزيزتي؛ فكل شيء سيكون على ما يرام، يجب ألا تفقدي أعصابك. إذا كان أحدهما قاتلاً شريراً فإننا نعرف -حقاً- أنك لست ذلك القاتل. إن أي شخص يفكر في هذا يكون أحمق. اجلسي هنا، وسأبقى بجانبك، فلا تهتمي بشيء.

تلاشى صوتها عندما وقف يوارو، وكان مسؤول التذاكر يتحرك عند الباب ثم ما لبث أن قال: هل تسمح لي بالقاء هنا يا سيدي؟

قال يوارو: بالتأكيد يا ميشيل، ثم تتنحى وقال: أيها السيدات والسادة، سأتكلم بالإنكليزية، حيث أظن أن الجميع يفهمها. نحن هنا لنحقق في مقتل صامويل إدوارد رانشيت، المسمى كاسيتي. لهذه الجريمة حلان محتملان، وسوف أضعهما بين أيديكم، وسأطلب من السيد بوك والدكتور كونستانتين أن يحكما أي حل

هو الصحيح. إنكم تعرفون - جميعاً - حقائق القضية؛ فقد عُثر هذا الصباح على السيد راثيت مطعوناً، وآخر ما عُرف أنه على قيد الحياة كان في الساعة ١٢,٣٧ ليلة أمس عندما كُتب مسؤول التذاكر عبر الباب، وقد عُثر على ساعة محطمة ومتوقفة في جيب سترة ثومه وعقاربها تشير إلى الواحدة والرّبع، وقام الدكتور كونستانتين بفحص الجثة وحدّد وقت الوفاة بين منتصف الليل والثانية صباحاً. وكما تعلمون جميعاً فإن القطار قد توقف بسبب الثلوج في الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، وبعد ذلك الوقت كان من المستحيل أن يغادر أحد القطارات إن إفادة السيد هاردمان... وهو أحد موظفي وكالة تحريات في نيويورك (التفتت عدة رؤوس ونظرت نحو السيد هاردمان) تظهر أن أحداً ما كان يستطيع المرور أمام مقصورته (رقم ١٦ في نهاية الممر) من دون أن يراه؛ لذلك نحن مضطرون إلى استنتاج أن الفاعل موجود ضمن من يقفلون مقصورات عربة محددة، وهي عربة إسطنبول - كاليه. هذه كانت هي نظريتنا.

صاح السيد بوك مقاطعاً وقد فوجئ: ماذا؟

- ولكنني سأضع بين يديكم نظرية بديلة، وهي بسيطة جداً. لقد كان للسيد راثيت عدو معين يحاقه، وقد أعطى السيد هاردمان وصفاً لهذا العدو وأخبره بأن محاولة قتله - إن حصلت - ستتم في الليلة الثانية بعد مغادرة إسطنبول في أغلب الظن. والآن سأخبركم - أيها السيدات والسادة - أن السيد راثيت كان يعرف أكثر بكثير مما قاله؛ فالقاتل (وكما توقع السيد راثيت) قد استغل القطار في بلغراد، أو ربما في فينكوفشي، من خلال الباب الذي تركه العفيد أربونوت والسيد ماکوين مفتوحاً عندما نزلا إلى الرصيف. وتم

تزيده بالزّي الرسمي لمسؤول التذاكر فارتداه فوق ملبسه العادية، وكان معه مفتاح عام لكل المقصورات مما أعانته على الدخول إلى مقصورة السيد راثيت رغم أن بابها كان مغلقاً. كان السيد راثيت يركب تحت تأثير النوم، فطعنه هذا الرجل بقوة كبيرة وغادر المقصورة عبر الباب الموصل إلى مقصورة السيدة هوبارد...

قالت السيدة هوبارد وهي تومي برأسها موافقة: هذا صحيح.

- وقد وضع الخنجر الذي استعمله في حقيبة الحمام في مقصورة السيدة هوبارد أثناء عبوره، ومن غير أن يشعر فقد زوراً من بدله هناك، ثم انسل من مقصورتها إلى الممر، وبعد ذلك دسّ الزّي بسرعة في حقيبة في إحدى المقصورات الفارغة، وبعد عدة دقائق غادر القطار بملايسه العادية قبل أن يبدأ القطار سيره ثانية، مستخدماً - مرة أخرى - نفس المخرج. وهو الباب القريب من عربة المطعم.

شهق الجميع، وسأل السيد هاردمان: وماذا عن تلك الساعة؟

- هنا يكمن تفسير كل ما حدث. لقد نسي السيد هاردمان أن يعيد عقارب ساعته إلى الوداء بمقدار ساعة واحدة (وهو ما كان ينبغي عليه أن يفعله في ترايبرود) فبقيت ساعته تشير إلى توقيت أوروبا الشرقية، وهو يتقدم بمقدار ساعة عن توقيت وسط أوروبا. كان الوقت هو الثانية عشرة والرّبع عندما طُعن السيد راثيت وليس الواحدة والرّبع.

صاح السيد بوك: ولكن هذا التفسير مخيف، وماذا عن

النصوت الذي تكلم من داخل المقصورة في الواحدة إلا ثلاث وعشرين دقيقة، فهو إما أن يكون صوت السيد راثيث أو صوت قائله.

- ليس بالضرورة، فقد يكون صوت شخص ثالث. ربما يكون شخصاً قد ذهب ليحدث إلى السيد راثيث ووجده ميتاً، ففرع الجرس لينادي مسؤول التذاكر، ثم ساورته الشكوك وخاف أن يُتهم بالجريمة فتكلم على أنه راثيث.

اعترف السيد بولك مندمراً: هذا ممكن.

نظر بوارو نحو السيدة هوبارد وقال: نعم يا سيدتي، لعلك كنت تريدين قول شيء...

- لا أدري تماماً ما الذي كنت سأقوله، ولكن هل تظن أنني نسيت أن أعيد عقارب ساعتني إلى الوراء أيضاً؟

- لا يا سيدتي. أظن أنك سمعت الرجل يمر عبر مقصورتك، ولكن ذلك كان في اللاوعي. وفي وقت لاحق رأيت كابوساً عن وجود رجل في مقصورتك فصحوت فجلة وتوقعت الجرس للمسؤول.

اعترفت السيدة هوبارد قائلة: أظن أن هذا ممكن.

نظرت الأميرة دراغوميروف إلى بوارو نظرة مباشرة وقالت وكيف تفسر إعادة خادمتني يا سيد بوارو؟

- أمر بسيط جداً يا سيدتي. لقد تعرفت خادمتك على الاستبدال

الذي عرضته عليها فحاولت أن تحميك بشكل فيه الكثير من الارتباك. لقد صادفت الرجل بالفعل، ولكنها صادفته قبل ذلك... عندما كان القطار في محطة فينكوفشي. ثم ادعت أنها رآته في وقت لاحق في محاولة خرفاء لتزويدك بحجة غيباب مُحكمة.

أحنت الأميرة رأسها وقالت: لقد فكرت في كل شيء يا سيد، إنني معجبة بك.

ساد الصمت المكان، ثم قفز الجميع عندما ضرب كونستانتين بقبضته فجأة على الطاولة وقال: ولكن لا، لا... وألف لا! إنه تفسير لا يصمد أمام الحقائق؛ فهو ضعيف في الكثير من النقاط الصغيرة. لم تُركب الجريمة بهذه الطريقة، ولا بد من أن السيد بوارو يعرف ذلك جيداً.

التفت بوارو نحوه ورمقه بنظرة غريبة ثم قال له: أرى أن علي تقديم التفسير الثاني، ولكن لا تتخل عن هذا التفسير بسرعة؛ فقد توافق عليه لاحقاً.

ثم التفت ثانية وواجه الآخرين قائلاً: يوجد حل آخر ممكن للجريمة، وقد توصلت إليه كالتالي:

عندما سمعت جميع الأدلة استلقت إلى الخلف وأغلقت عيني وبدأت أفكر، فوجدت أن بعض النقاط كانت جذيرة بالانتباه. وذكرت هذه النقاط لصديقي، وقد سبق أن شرحت بعضها (مثل بقعة الدهن على جواز السفر) وسوف أشرح الآن بقية النقاط. أولها وأهمها هو تعليق ذكره السيد بولك في عربة المطعم أثناء الغداء في

اليوم الأول بعدما غادرتا إسطنبول، وهو أن الناس المجتمعين كانوا يختلفون فيما بينهم، ويمثلون مختلف الطبقات والجنسيات.

واقفته حينئذ، ولكن عندما خطرت تلك النقطة بيالي ثانية حاولت أن أتخيل إن كان ممكناً لمثل هؤلاء الناس أن يجتمعوا تحت أي ظرف آخر، وأجبت نفسي بأن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا في أميركا. ففي أميركا يمكن أن يتشكل العاملون في منزل ما من جنسيات كثيرة، سائق إيطالي، ومربية إنكليزية، وممرضة سويدية، وخادمة فرنسية، وهكذا... وهذا الأمر دعاني إلى اتباع مخططي في التخمين، وبمعنى آخر: إعطاء كل شخص الدور الذي يناسبه في مسرحية آرمسترونغ، تماماً كما يؤزج المخرج أدوار مسرحية، فخرجت نتائج مثيرة جداً ومُرضية.

كما قمتُ بفحص إفادة كل شخص على انفراد في ذهني، وخرجت نتائج تثير الفضول، ولتأخذ—مثلاً—إفادة السيد ماكوين. لقد كانت مقابلتي معه مرضية للغاية، ولكنه أطلق في المقابلة الثانية تعليقاً يثير الفضول، إذ وصفت له كيف عثرتُ على ملاحظة تذكر قضية آرمسترونغ، فقال: "ولكن من المؤكد..." ثم توقف قليلاً، ثم أضاف: "أعني أن ذلك كان إجمالاً من الرجل العجوز". وقد شعرت بأن ذلك لم يكن ما بدأ بقوله فعلاً. لنفرض أنه أراد أن يقول: "ولكن من المؤكد أنها احترقت!". وفي هذه الحالة فإن ماكوين كان يعرف عن الملاحظة وعن حرقها، وبمعنى آخر: فهو إما أن يكون القاتل، أو شريكاً لنقاتل—حسبُ جداً.

بعد ذلك نأتي إلى الخادم. لقد قال إن سيده كان معتاداً على

تناول المتوم عندما يسافر بالقطار. وقد يكون ذلك صحيحاً، ولكن هل كان من شأن راتشيت أن يتناول متوماً ليلة أمس؟ إن المسدس الذي كان تحت وسادته يكذب تلك العبارة؛ فقد أراد راتشيت أن يبقى يكامل حذره ليلة أمس، وأني منوم ثوابه فإنه قد تناوله دون أن يعلم. من الذي أعطاه إياه؟ من الواضح أنه إما ماكوين أو الخادم.

والآن نأتي إلى إفادة السيد هاردمان: لقد صدقت كل ما أخبرني به عن هويته، ولكن عندما وصف طُرقه في حماية السيد راتشيت بدت قصته سخيفة تماماً. فالطريقة الوحيدة الفعالة لحماية راتشيت كانت في أن يمضي ليلته داخل مقصورة راتشيت أو في مكان يستطيع منه مراقبة الباب، والشئ الوحيد الذي أظهرته إفادته بالفعل هو أن أحداً في أي جزء آخر من القطار لم يكن بوسعه أن يكون قاتل راتشيت، مما يضع دائرة واضحة حول عوبة إسطنبول—كاليه. وقد بدت تلك بالنسبة لي حقيقة غريبة غامضة، فوضعتها جانباً لأفكر بها أكثر.

ولعلكم سمعتم جميعاً الآن بتلك الكلمات التي سمعناها تدور بين الأئمة دينهام وبين العقيد أربوثنوت، إن الشئ العثير—في رأي—هو حقيقة أن العقيد أربوثنوت تادأها باسم ماري، ومن الواضح أنه كان على علاقة حميمة بها. ولكن كان يُفترض أن العقيد لم يقابلها إلا قبل بضعة أيام، وأنا أعرف نمط الإنكلير ممن هم على شاكلة العقيد. فحتى لو وقع في حب السيدة الشابة من أول نظرة، فإنه كان سيتقدم في علاقته معها ببطء ولباقة ولا يستعجل الأمور، لذلك استنتجت أن العقيد أربوثنوت والأئمة دينهام كانا—في حقيقة الأمر—يعرف أحدهما الآخر جيداً، وأنهما يتظاهران بأنهما غريبان لسبب ما، ونقطة

أخرى بسيطة وهي معرفة الألسنة دينهام باصطلاح «المكاملة البعيدة»
في وصف المكالمات الدولية، وهو اصطلاح أميركي، ولكن الألسنة
دينهام الخبرتي بأنها لم تذهب أبداً إلى أميركا.

ولمض إلى شاهد آخر: أخبرتنا السيدة هوبارد أنها عندما
تكون مستلقية في سريرها لم يكن باستطاعتها أن ترى إن كان الباب
الموصل بين المقصورتين مغلقاً بالمزلاج أم لا، ولذلك ظنبت من
الألسنة أولسون أن تتأكد من ذلك، والآن، رغم أن عبارتها هذه تكون
صحيحة لو أنها كانت تشغل المقصورات ٢ أو ٤ أو ١٢... أو أية
مقصورة ذات رقم زوجي (حيث يكون المزلاج أسفل مقبض الباب
مباشرة) إلا أن المزلاج في المقصورات الفردية (كالمقصورة رقم
٣) يكون فوق المقبض ولا يمكن أن يخفي خلف حقيبة الحياء
أبداً. لذلك أرغمت على استنتاج أن السيدة هوبارد اخترعت موقفاً
لم يحدث أبداً.

دعوني الآن أخبركم كلمة أو اثنتين حول مسألة الوقت: إن
النقطة المثيرة حقاً بالنسبة لي في موضوع الساعة المحطمة هو المكان
الذي وجدت فيه: في جيب سترة نوم رانشيت، وهو مكان غير مريح
ويستبعد أن يضع المرء ساعته فيه، خاصة بوجود علاقة ساعة عند
رأس السرير. لذلك شعرت أن من المؤكد أن الساعة وضعت هناك
عمداً وأنها خدعة، ولهذا فالجريمة لم ترتكب في الواحدة والربع.

هل أرتكبت قبل ذلك إذن؟ وبالذات في الواحدة إلا ثلاث
وعشرين دقيقة؟ إن صديقي السيد بولك يحتج في دعمه لهذه الفرضية
بالصبيحة العالية التي أبقيتني من نومي. ولكن لو أن السيد رانشيت

كان مخدراً لما كان باستطاعته أن يصيح. ولو أنه كان يستطيع أن
يصيح لكان بمقدوره أن يقاوم ليدافع عن نفسه. ولكن لم تكن هناك
دلائل تشير إلى مثل هذه المقاومة.

أذكر أن ماكويين تبه مرتين (وفي المرة الثانية بأسلوب ملفت
للانتباه) إلى حقيقة أن رانشيت لم يكن يتكلم الفرنسية، فاستجبت أن
كل ما حدث في الواحدة إلا ثلاث وعشرين دقيقة لم يكن إلا مسرحية
كنت أنا جمهورها! لقد كان بوسع أي امرئ أن يكتشف خدعة
الساعة المحطمة، فهي خدعة شائعة جداً في القصص البوليسية.
وقد افترضوا أنني لن أصدق بها وأنتي - وأنا المغتر المقنع بذلك -
سامضي لافتراض أن الصوت الذي سمعته في الواحدة إلا ثلاث
وعشرين دقيقة لم يكن صوت رانشيت باعتباره لا يتكلم الفرنسية
وإن رانشيت لا بد وأن يكون قد مات قبل ذلك، إلا أنني متأكد من
أن رانشيت كان ما يزال نائماً ومخدراً في الواحدة إلا ثلاث وعشرين
دقيقة!

غير أن المكيدة نجحت! فقد فتحت باب مقصورتي ونظرت
خارجاً، وقد سمعت - عملياً - العبارة الفرنسية تُستخدم. ولو أنني
كنت على درجة كبيرة من الغباء بحيث لا أدرك أهمية العبارة لكنت
تُبَهِت إلى ذلك، ولو دعت الضرورة أن يأتي ماكويين فيقول لي
بصريح العبارة: أعذرني يا سيد بوارو، لا يمكن أن يكون ذلك
المتحدث هو رانشيت؛ فهو لا يستطيع أن يتكلم الفرنسية. والآن:
متى كان وقت الجريمة الحقيقي؟ ومن قتله؟

في رأيي (وهذا رأي فقط...) أن رانشيت قد قُتل قريباً من

الساعة الثانية، وهو آخر وقت أعطاه لنا الطبيب كاحتمال لوقوع الجريمة. أمّا من قبله...

صمت ونظر إلى مستنعيه. وما كان باستطاعته أن يعترض على قلة الانتباه؛ فقد كانت الأعين كلها مشدودة إليه، وفي عسرة هذا الهدوء التام كان باستطاعة المجرم أن يسمع صوت وقع الدبوس على الأرض.

تابع كلامه ببطء:

أكثر ما أثار انتباهي هو الصعوبة البالغة في إثبات القضية ضد أي شخص بمفرده على القطار، وكذلك المصادفة الغريبة في أن الشهادة التي تُعطي كل شخص دفعةً بالغبية كانت تأتي من الشخص المُستبعد تماماً. ولهذا نجد أن السيد ماركين والعقيد آريونوت قد شهد كل منهما بغبية الآخر، وهما شخصان يُستبعد جداً أن تكون بينهما معرفة سابقة، والشئ نفسه حدث مع الخادم الإنكليزي والرجل الإيطالي، وكذلك مع السيدة السويدية والفنانة الإنكليزية. فقلت في نفسي: هذا عجيب... لا يمكن أن يكونوا جميعاً متورطين!

ثم رأيت الحقيقة يا سادة، فقد كانوا جميعاً متورطين حقاً، فوجود هذا العدد من الناس الذين تورطهم معاً قضية آرمسترونغ مسافرين على نفس القطار مصادفة ثم يكن أمراً مستبعداً بل مستحيلًا. لا بد وأن التدبير هو الذي جمعهم لا المصادفة، وتذكرت تعليقاً قاله العقيد آريونوت على المحاكمة بواسطة هيئة محلفين. إن هيئة المحلفين تتكون من اثني عشر شخصاً... ولدينا هنا اثنا عشر مسافراً. وقد طعن راتشيت اثني عشرة مرة؛ وإن ما ظل يحيرني

دائماً (وهو الخليط العجيب من الناس المسافرين في عربة إسطنبول-كاليه في مثل هذا الوقت الراكد من السنة) قد وُضِع الآن.

لقد نجا راتشيت من حكم العدالة في أميركا، ولم يكن في جرمه شك، ولذلك تخيلت وجود هيئة محلفين شكّلت نفسها بنفسها من اثني عشر شخصاً أدانوا راتشيت وحكموا عليه بالموت، ثم اضطروا -بسبب ظروف القضية- إلى أن يكونوا هم متفذي هذا الحكم. وفوراً، وحسب هذه الفرضية، وضحت القضية بأكملها.

نظرت إليها على أنها فسيّساء متكاملة تعب كل شخص فيها دوره المحدد، وقد رُتبت بحيث أنه إذا وقعت الشبهة على أي شخص منهم فإن إفادة واحد أو أكثر سيزيحه وتُعقّد المسألة. وقد كانت إفادة هاردمان ضرورية إذا اتهم شخص من خارج هذه المجموعة ولم يستطع إثبات بعده عن مكان الجريمة. ولم يكن ركاب عربة إسطنبول في خطر؛ فقد تم تدبير كل التفاصيل الدقيقة مسبقاً، وكان الأمر كله عبارة عن أجزاء متشعبة متشابكة بعضها مع بعض، تُخطّط لها بعناية بحيث تترابط جميعاً وبحيث أن كل معرفة جديدة نصل إليها تجعل الحل معقداً للغة. وكما علّق السيد بوك؛ فإن القضية بدت مستحيلة جداً! وكان هذا -بالضبط- هو الانطباع الذي أريد لهذه القضية أن تظهر به.

هل يفسر هذا الحل كل شيء؟ نعم؛ إنه يفسر كل شيء. فطبيعة الجراح: كل واحد منها سنده شخص مختلف، ورسائل التهديد الزائفة؛ لم تكن حقيقة بل مُصطنعة، إذ أنها كُتبت فقط لإظهارها كدليل (ولولا شك في وجود رسائل تهديد حقيقية تُحذّر راتشيت من

قدرة المبحوث. وقد اتفقا ماكوين واستبدل بها هذه الرسائل (أما قصة هارديان بأن الشبث قد استخدمه فهي كذبة من البداية وحتى النهاية. وبالنسبة لوصف الكاذب عن «الرجل الصغير الأصغر الاسم ذي الصوت الإنساني» فهو وصف مألوف. إذ أن له فائدة في عدم نقله على أي من مسؤولي التذاكر الحقيقيين، وفي الوقت ذاته يمكن أن ينطبق على امرأة أو على رجل.

تبدو فكرة الضعن - لأول وهلة - فكرة غريبة، ولكن عندما تفكر جيداً تجد أنها الطريقة المثلى في ظل ظروف الجريمة؛ فالخبر هو سلاح يمكن لأي شخص أن يستخدمه سواء أكان قريباً أم بعيداً. وهو لا يحدث صوتاً، وأيضاً (وقد تكون مخفية في ظني هذا) أن كل شخص دخل بدوره مقصورة السبد ارتبثت النعمته من خلال مقصورة السبد هوارد ثم قام بضعه. وهم جميعاً ليس من السهل أن يعرفوا أية صلة هي التي كتبت بها.

وقد تم إحراق آخر رسالة استلمتها رايتشت، وربما كان قد عُثر عليها على وسادته. وبدلاً من وجود دليل يشير إلى قضية أرستروونغ لا يوجد أي سبب للاستبعاد لأي راكب على القطار. وقد كل من شأن الجريمة أن تعزى إلى شخص من خارج القطار. وكان من شأن بضعة مسافرين أن يلهووا بأنهم راو «الرجل الصغير الأسمر ذا الصوت المتدلي» وهو يغادر القطار في محطة ليرود.

لا أعلم بالضبط ما الذي حدث عندما اكتشف المشتريون أن ذلك الجزء من خطهم كان مستخدماً بسبب ما حدث لقطار. أظن أن مشاورة مبرعة قد تمت وقروا أنه يتابعوا مهمتهم. صحيح أن

الشكوك سوف تحوم الآن حول أحد الركاب أو حولهم جميعاً، إلا أن العدة كانت قد أعدت لمثل هذا الاحتمال. وبُذعت البدائل، والثشي الوحيد الذي بقي هو تعقيد القضية أكثر. إذ تم إسقاط دليلين في مقصورة الرجل الميت: أحدهما يوقع التهمة على العقيد آرستروونغ (الذي كان لديه أقوى دفع بالعبية عن مكان الجريمة، والذي كانت إثبات علاقته بعائلة أرستروونغ الأصعب من بين الجميع)، والدليل الثاني (المتدلي) يوقع التهمة على الأميرة دراغوميروف. وبسبب مكانتها الاجتماعية وبُيئتها الضعيفة وشاهد الإثبات لصالحها (والذي قدمته خادماتها ومسؤول التذاكر) بسبب كل ذلك، فإنه من الصعب إثبات أي شيء ضدها. ولزيادة التعقيد في القضية تم رمي طعم مزيف، وهو المرأة الخرافية التي ترتدي قميص النوم القرمزي. ومرة أخرى تحطمت لي أن أشهد على وجود هذه المرأة، إذ صُرب باب مقصورتي بشدة. وعندما نهضت ونظرت خارجاً رأيت قميص نوم قرمزي يخفي في نهاية الممر. كما تمت رؤيتها من قبل مجموعة من الركاب الشبهاء مسؤول التذاكر. والألسنة ديبته ومكوين أظن أن شخصاً يملك روح الدعاية قام بوضع قميص النوم القرمزي فوق الأمتعة في حقبتى بينما كنت أقبل الناس في عربة المطعم. ولا أعلم من أين أتى قميص النوم أصلاً، وأظن للمكونيسة الدريته لأن أمتعتها لم تحتج إلا على قميص نوم فاخر من الشيفون الذي يمكن اعتباره عباءة ترتدي وقت شرب الشاي وليست قميص نوم.

وعندما علم ماكوين أن الرسالة التي أحرقت بعناية لم تُدمر تماماً، وأنه تم التعرف منها على كلمة أرستروونغ. قام بإعلان البأ للأخريين. وفي هذه اللحظة بدا سوف المكونيسة أندريته صعباً

تلعغية، فقام زوجها -فوراً- باتخاذ الخطوات الضرورية لتعديل جواز السفر، وكان هذا هو الأمر الثاني الذي أوقعهم في سوء الحظ. لقد اتفقوا جميعاً على أن يُنكِروا أية علاقة بعائلة أرمسترونغ، وكانوا يعرفون أنه لا توجد لدى طريقة لتعويض الحقيقة، ولم يفتنوا أنني سأهتم بالموضوع إلا إذا أثبت شكوكي حول شخص محدد.

كانت هناك نقطة أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار، فلو افترضنا أن نظريتي حول الجريمة نظرية صحيحة (وأعتقد أنها لا بد وأن تكون صحيحة) إذن لا بد وأن يكون مسؤول التذاكر على علاقة بالخطأ. ولكن إن كان الأمر كذلك فسوف يكون لدينا ثلاثة عشر شخصاً وليس اثنا عشر شخصاً، وبدلاً من المقولة السائدة: «من بين هؤلاء الناس الكثير شخص مذنب»، واجهتني مشكلة أنه من بين اثنا عشر شخصاً واحد فقط بريء، فمن هو؟

نقد وصلت إلى استنتاج غريب، وهو أن الشخص الذي لم يشترك في الجريمة كان -في الواقع- هو الأشد احتمالاً لأن يكون متورطاً، وأعني الكونتيسة أندرييه. لقد أثر بي صدق زوجها عندما أقسم بشرفه على أن زوجته لم تغادر المقصورة في تلك الليلة، فقررت حينئذ أن الكونت أندرييه أخذ مكان زوجته.

وإذا كان الأمر كذلك فإن بيير ميشيل واحد من الاثني عشر شخصاً بالأكيد، ولكن كيف نفسر تورطه؟ إنه رجل محترم ويعمل لدى الشركة منذ سنوات. وهو ليس من النوع الذي يمكن رشوته لمساعد في الجريمة. إذن لا بد من أن يكون بيير ميشيل على علاقة بقضية أرمسترونغ. إلا أن ذلك بدا مستبعداً، ثم تذكرت الممرضة

الفرنسية التي انتحرت، فلو فرضنا أن تلك الفتاة المسكينة كانت ابنة بيير ميشيل فإن هذا يوضح الأمر، كما يوضح -أيضاً- المكان الذي تم اختياره لارتكاب الجريمة. هل كان موقع أشخاص آخرين غير واضح في هذه المسرحية؟ سأقول إن العقيد أربوثنوت كان صديقاً لعائلة أرمسترونغ وربما اشترك معه في الحرب، وأظن أن الخادمة هيلداغارد شيدت كانت من ضمن أفراد منزل أرمسترونغ. قد أكون تهماً جداً للطعام مما يجعلني أعرف الطباخة الماهرة بالغريرة، وقد نصبت لها فخاً ووقعت به؛ قلت لها إنني أعلم أنها طباخة ماهرة فأجابته: «نعم حقاً، فكل سيداتي يقتلن ذلك». ولكن لو أنها كانت توظف على أنها خادمة فتادراً ما ستسح الفرصة لمستخدميها ليعرفوا إن كانت طباخة ماهرة أو لا. ثم نأتي إلى هاردمان. لقد بدا -فعلاً- أنه لا ينتمي إلى أفراد منزل أرمسترونغ، ولكن يمكنني أن أخمن أنه كان يحب الفتاة الفرنسية الفتيلة.

بقيت لدينا السيدة هوبارد، وسوف أقول لكم إن السيدة هوبارد قد لعبت أهم دور في هذه المسرحية؛ فلأنها تقطن المقصورة المجاورة للمقصورة واثبتت فيها كانت معرضة للشك أكثر من أي شخص آخر. وبسبب الظروف المحيطة لم يكن ممكناً تدبير دفع بالغنية بالنسبة إليها. وللعب هذا الدور الذي لعبته (دور الأم الأميركية العنادية جداً والتي تبلغ حداً من السخف في أمومتها) كانت الحاجة ملحة إلى مثثلة قادرة على أداء هذا الدور. ولكن لماذا البحث بعيداً؟ لقد وُجدت مثثلة من داخل عائلة أرمسترونغ، وهي أم السيدة أرمسترونغ، الممثلة ليندا آردن...

في تلك اللحظة قالت السيدة هوبارد بصوت رقيق ناعماً

يختلف عن الصوت الذي استخدمته طوال الرحلة: تقاطعنا أحبيبت أداء الأدوار الكوميديّة. ثم تابعت بشروء تلك الهفوة حول موضع حفيظة الحمام كانت سخيفة، وهي تظهر أن عليّ المرأة أن يتدرب على أدواره بعناية. فقد تدربت على هذه النقطة في طريق عودتنا، وأظن أنني كنت في مقصورة ذات رقم زوجي، ولم أفكر أبداً باختلاف مواقع المزالج.

ثم غيرت جلستها قليلاً ونظرت إلى بوارو وقالت: أنت تعرف كل شيء يا سيد بوارو... إنك رجل رائع. ولكن حتى أنت لا يمكنك أن تتخيل كيف كان الأمر في ذلك اليوم المشؤوم في نيويورك. لقد كنت أجن من الحزن، وكذلك التخدم، والتعقيد أربوثنوت كان هناك أيضاً، فقد كان من أعر أصدقاء جون أرمسترونغ.

قال أربوثنوت: فقد أنقذ حياتي أثناء الحرب.

قرونا منذ ذلك الوقت (ولا أدري، فقد نكون مجالين...) إن حكم الإعدام الذي لم يُنفذ في كاسيني يجب أن تنفذه نحن. فقد كنت لثي عشر شخصاً، أو -الأخرى- أحد عشر شخصاً، إذ كان والد سوزان في فرنسا بالطبع. وفي بداية الأمر فكرنا في أن نُجري أفرقة حول من يقوم بذلك، ولكننا صمنا -في النهاية- على هذه الطريقة. كان النساق أنطوني هو الذي أشار بها، وبحسب ماري لاحقاً جميع التفاصيل مع هيكثور ماكوين، فقد كان يحب ابنتي سونيا، وكان هو الذي وضح لنا كيف استطاعت أمال كاسيني أن تنفذه من المحاكمة في أمريكا. لقد استغرقت وقت طويلاً حتى أصبحت حطفتة تامه جداً؛ إذ كان غيت أولاً أن نغير على رانشيت. وقد تمكن

هاردمان من ذلك في النهاية. لم حاولنا أن نحمل رانشيت على استخدام ماسترمان وهيكتور أو أحدهما على الأقل. وقد استطعنا ذلك، ثم بحثنا الأمر مع والد سوزان (إذ كان العقيد أربوثنوت مصراً على أن يكون اثني عشر شخصاً، ويبدو أنه اعتقد أن هذا يجعل الأمر متكاملًا). ولم يكن يحيد فكرة الطعن كثيراً، إلا أنه وافق على أنها تحل معظم الإشكالات). وكان والد سوزان مستعداً للقيام بدوره؛ فقد كانت سوزان ابنته الوحيدة. وعرفنا من هيكتور أن رانشيت سيعود من الشرق عاجلاً أو آجلاً على قطار الشرق السريع، ووجود بير ميشيل على ذلك القطار منجبا فرصة لا تعوض، بالإضافة إلى أنها طريقة جيدة نغدم أضرار خارجية. وكان لا بد لزواج ابنتي من أن يعرف بالطبع، وقد أضمر على أن يأتي معنا على القطار. ثم رتب هيكتور الأمور بحيث يسافر رانشيت في اليوم المناسب الذي تكون فيه نوبة عمل ميشيل في القطار. وأردنا أن نحجز كل مقصورة في عربة إسطنبول-كاليه. ولكن للأسف... كانت هناك مقصورة لم يتمكن من الحصول عليها؛ فقد كانت محجوزة قبل فترة طويلة لمدير الشركة. وكان السيد هاريس شخصية وهمية، ولكن سيكون صعباً للغاية أن يشترك غريب مع هيكتور في مقصورته، ثم وفي آخر لحظة أثبت أنت...

توقفت عن الكلام قليلاً، ثم أكملت: حسناً، أنت تعرف كل شيء يا سيد بوارو. فماذا سنفعل؟ إن كان لا بد من كشف الحقائق فلياً وضعت التوم عليّ وحدي؟ فقد كنت على استعداد تام لأن أضل ذلك الرجل اثني عشرة مرة وحدي، فهو لم ينسب فقط في موت ابنتي وطفلتها وذلك الطفل الذي ربما كان حياً وسعيداً

